www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

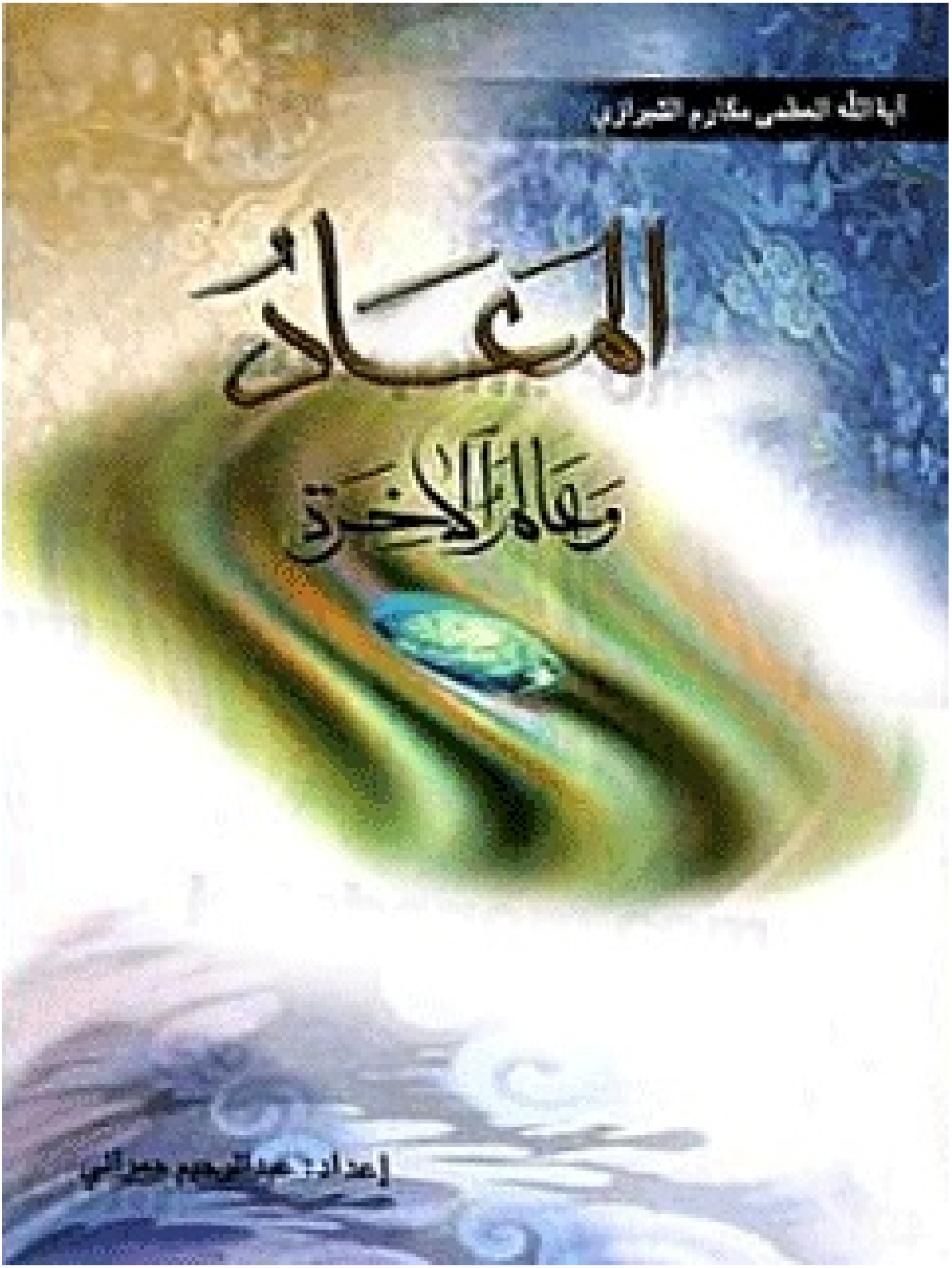
آية الله العظمى مكارم الشيرازي
المعاد
وعالم الآخرة
إعداد: عبد الرحيم عقراني

بسم الله الرحمن الرحيم

المعاد و عالم الاخرة

كاتب:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
المعاد و عالم الاخرة ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
المقدمة ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
الأيمان بالمبدأ والمعاد ----- ۱۲
ماذا نعلم عن عالم ما بعد الموت؟ ----- ۱۳
۱- آفاق من أبحاث الكتاب ----- ۱۳
۲- كبيرة الكاتب ----- ۱۳
۳- شهادة التأريخ ----- ۱۴
هل الموت هو نهاية الحياة أم بداية حياة جديدة؟ ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
الموت ليس بهذا الرعب ----- ۱۵
الشعور الإنسانى حين الموت ----- ۱۶
عبثية الهرب من الواقع ----- ۱۶
رؤيتان لمصير الإنسان ----- ۱۶
لماذا نخاف من الموت؟ ----- ۱۷
ما مصدر هذا الخوف و القلق من الموت؟ ----- ۱۷
العنصر الآخر لخشية الموت ----- ۱۸
جذور المعاد فى أعماق الفطرة ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
المشى فى المتاهات ----- ۲۰
الانحراف عن الفطرة و التخبط فى المتاهات ----- ۲۰

خرافات مضحكة و مؤسفة! ----- ۲۱
نوافذ على العالم الآخر ----- ۲۲
القيامة تهب الحياة نكهتها ----- ۲۴
عامل تربوى مؤثر ----- ۲۵
عامل مؤثر واقى و عامل محرک قوى ----- ۲۵
القيامة فى باطنكم ----- ۲۷
القيامة ردود على الألغاز ----- ۲۹
اشارة ----- ۲۹
العالم فى عين فرخ! ----- ۲۹
القيامة فى الكتب السماوية ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
الكتب التاريخية بدل الكتب السماوية ----- ۳۱
القيامة فى الأناجيل ----- ۳۲
القرآن و الآخرة ----- ۳۳
أول إرشاد ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
الطريق الأول: التذكير بالخلق الأول ----- ۳۳
الطريق الثانى: تكرر رؤيتنا للقيامة ----- ۳۴
اشارة ----- ۳۴
الردّ على إشكال مهم ----- ۳۵
الطريق الثالث: معاد الطاقة وقيامتها ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
حرارة النار من الشمس! ----- ۳۷
قيامة الطاقة بعد موتها ----- ۳۷

اشارة ----- ۳۷
نقطتان مهمتان ----- ۳۸
الطریق الرابع: لم القیامة لیست ممکنة؟ ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
رؤیتنا لهذا العالم ----- ۳۹
إشکال محیّر ----- ۴۰
جواب ----- ۴۰
الطریق الخامس: أصحاب الکهف ----- ۴۱
حقیقة أم خیال؟ ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
السبات الشتوی ----- ۴۳
نموذج آخر: دفن المرتاضین ----- ۴۳
تجمید بدن الإنسان الحی ----- ۴۳
الطریق السادس: فترة الجنین شبح من القیامة ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
شبح القیامة ----- ۴۵
القیامة فی تجلیات الفطرة ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
۱- الفطرة، أول دلیل علی الطریق ----- ۴۶
۲- حبّ البقاء ----- ۴۶
۳- القیامة لدی الأقوام السابقة ----- ۴۷
۴- القیامة الصغری و الکبری ----- ۴۷
الادله العقلیه للمعاد ----- ۴۸
الدلیل العقلی الأول: العدالة الشاملة ----- ۴۸

اشارة ----- ۴۸
المحاکم الخاصة ----- ۴۸
قانون العدالة فی عالم الوجود ----- ۴۹
هل الإنسان کائن إستثنائی؟ ----- ۴۹
الدلیل العقلی الثانی: تقول فلسفة الخلق هنالک عالم بعد الموت ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
هل نحن جسر لترقی الآخرین؟ ----- ۵۱
إنعکاس هذا المنطق فی القرآن ----- ۵۱
الدلیل العقلی الثالث: لو کان الموت نهایة لکان خلق الإنسان عبثا ----- ۵۲
الدلیل العقلی الرابع: بقاء الروح علامة علی القیامة ----- ۵۳
إستقلال الروح ----- ۵۴
اشارة ----- ۵۴
أدلة الماديين على عدم إستقلال الروح ----- ۵۵
ثغرات هذا الإستدلال ----- ۵۶
أدلة إستقلال الروح ----- ۵۶
اشارة ----- ۵۶
۱- العلم بالعالم الخارجی ----- ۵۷
۲- وحدة الشخصیة ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
تفادی خطأ فاحش ----- ۵۸
تبریرات و تفاسیر ----- ۵۸
۳- عدم تطابق الکبیر و الصغیر ----- ۵۹
اشارة ----- ۵۹
سؤال ضروری ----- ۵۹

جواب ----- ۶۰
۴- الظواهر الروحیة لیست کالکیفیات المادیة ----- ۶۰
۵- الأدلة التجریبیة علی إستقلال الروح ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
أقسام الأدلة التجربیة ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
۱- الإرتباط بالأرواح ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
ماذا یقول الماديون بشأن هذه المطالب المدهشة؟ ----- ۶۲
ملاحظات مهمّة ----- ۶۲
۲- التنویم المغناطیسی ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
ما ردّ الماديين علی هذا الموضوع؟ ----- ۶۵
۳- النوم و الرؤیا ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
الرؤیا و الأحلام ----- ۶۶
۴ و ۵- الأعمال المذهلة للمرتاضین ----- ۶۸
اشارة ----- ۶۸
النتیجة ----- ۶۹
ملاحظة مهمّة ----- ۶۹
بقاء الروح فی القرآن ----- ۷۰
المعاد الجسمی و الروحی ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
النظریة الأولی: المعاد الروحی ----- ۷۰

النظریة الثانیة: المعاد الجسمانی و الروحانی ۷۰
النظریة الثالثة: المعاد الروحی و شبه الجسمی ۷۱
النظریة الرابعة: المعاد جسمانی فقط ۷۱
اشارة ۷۱
الإسلام و المعاد ۷۱
المعاد الجسمانی علی ضوء العقل ۷۲
الاشکالات الاربعه حول معاد الجسمانی ۷۲
۱- شبهة الآکل و المأکول ۷۲
اشارة ۷۲
إجابة و تحقیق ۷۳
إجابة أوضح ۷۳
سؤال ۷۵
جواب ۷۵
۲- قلّة التربة علی الأرض ۷۶
اشارة ۷۶
جواب: ۷۶
۳- ما الجسم الذی یشمله المعاد؟ ۷۷
اشارة ۷۷
جواب: ۷۷
۴- أین تقام القیامة؟ ۷۷
اشارة ۷۷
جواب: ۷۷
شهداء المحکمة الکبری للمعاد ۷۸
اشارة ۷۸

الف- شهداء القیامة ۷۹
اشارة ۷۹
کیفیة هذه الشهادة ۷۹
ب- الحساب فی تلک المحکمة ۷۹
ج میزان الأعمال ۸۰
الثواب و العقاب ۸۱
تجسم الأعمال ۸۲
اشارة ۸۲
هل یمکن تجسم الأعمال؟ ۸۲
الجنّة و النار ۸۴
اشارة ۸۴
الخلود و العذاب الأبدی ۸۵
اشارة ۸۵
سؤال مهم ۸۵
إجابات غیر مقنعة ۸۶
حلّ الإشکال ۸۶
أین النار و الجنّة؟ ۸۷
علامات القیامة ۸۹
اشارة ۸۹
۱- الزلزلة العظیمة ۸۹
۲- إنطفاء جذوة الشمس و القمر ۸۹
۳- الیوم الذی یحطم فیه کل شیء! ۸۹
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ۹۰

المعاد و عالم الاخرة

اشارة

سرشناسه : مکارم شیرازی ناصر، ۱۳۰۵ - عنوان قراردادی : معاد و جهان پس از مرگ .عربی عنوان و نام پدیدآور : المعاد و عالم‌الاخره تالیف مکارم‌الشیرازی اعداد عبدالرحیم حمرانی مشخصات نشر : قم مدرسه الامام علی‌بن ابی‌طالب ع ۱۴۲۵ق [۱۳۸۳]. مشخصات ظاهری : ۲۶۴ ص. شابک : ۱۰۰۰۰ ریال ۹۶۴-۸۱۳۹-۲۸-۸ : ؛ ۱۳۰۰۰ ریال(چاپ دوم) وضعیت فهرست نویسی : فاپا یادداشت : عربی. یادداشت : پشت جلد به انگلیسی: Resurrection day hereafter. یادداشت : چاپ دوم: ۱۴۲۸ق. = ۱۳۸۶. یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس موضوع : معاد موضوع : مرگ موضوع : رستاخیز شناسه افزوده : حمرانی عبدالرحیم شناسه افزوده : مدرسهٔ الامام علی بن ابی طالب (ع) رده بندی کنگره : BP۲۲۲/م۷م۶۰۴۳ ۱۳۸۳ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴ شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۲۹۹۰۵

المقدمة

اشارة

أبی! أهدی هذه البضاعة الزهیدة إلی روحک الطاهرة وردّاً لخدماتک الجلیلة اللامتناهیة، لیبقی اسمک یذکر بخیر ویکون ذلک سکینة لک فی جوار الرحمة الإلهیة، و کذلک علامة متواضعة علی عدم إنکار ولدک للجمیل وعرفانه بالحق «۱».

الأیمان بالمبدأ والمعاد

الأصلان المذکوران من أهم أرکان الاسلام، وذلک لتعذر إنتظام أی مشروع أخلاقی وعملی بدونهما، کما لا یسع أی إنسان أن یسلک نهج الحق والعدل والورع والتقوی. أمّا الإیمان بالمبدأ فیعنی أنّ الإنسان یری نفسه بین یدی اللّه الذی یعلم بکافة نیّات الإنسان وأفعاله وأعماله صغیرها وکبیرها وظاهرها وباطنها، بل إنّه یعلم حرکة أعین الآثمین، ویسمع حسیس المتناجین، و هو علیم بکل ما یخطر علی قلوبنا و یقتدح فی أذهاننا: «یَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْیُنِ وَمَا تُخْفِی الصُّدُورُ» «۱». إنّه قریب مَنّا، بل أقرب إلینا من حبل الورید: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ» «۲». لیس هنالک أی حجاب یمکنه أن یحجبنا عنه، وهو لا ینفک عنّا فی أی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶ زمان ومکان: «وَهُوَ مَعَکُمْ أَیْنَما کُنْتُمْ» «۱». و أمّا الإیمان بالمعاد، فهو یعنی الإیمان بمحکمة العدل الإلهی التی لیس لها أی شبه بمحاکم الدنیا وهذا العالم الذی نعیش فیه، فجمیع الأعمال حاضرة لدیه: «وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً» «۲». و السّجل یضم کافة الأعمال بغض النظر عن صغرها و کبرها: «لَا یُغَادِرُ صَغِیرَةً وَ لَاکَبِیرَةً الّا احْصَاهَا» «۳». و نحن الذین ینبغی علینا أن نقرأ ملّف أعمالنا، کما علینا أن نقضی بشأن أنفسنا و نحکم فیها: «اقْرَأْ کِتَابَکَ کَفی بِنَفْسِکَ الْیومَ عَلَیْکَ حَسِیباً» «۴». ونحن الذین سندلی بشهاداتنا علی أعمالنا بما فی ذلک أعضاؤنا وجوارحنا التی ستشهد فی تلک المحکمة: «وَ شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ» «۵» فلا سبیل إلی الإنکار ولا سبیل إلی الرجوع و تلافی ما فرط منّا، ولیس لنا طاقة علی تحمل العذاب الإلهی، کما لیس من سبیل للهرب. المحسنون والصالحون و المقربون فی جوار الحق و رحمة الله یتلذذون بالنعم التی لم ترها عین أو تسمع بها أذن أو تخطر علی قلب بشر؛ بینما یتجرّع المسیئون و الآثمون و الظالمون غصص جهنم التی تطلع علی أفئدتهم فتحرقهم: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِی تَطَّلِعَ عَلَی الافْئِدَةِ» «۶». نعم لو عشنا الإیمان بالأصلین المذکورین، بل لو کانت لأرواحنا أدنی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷ إلتفاتة إلیهما لکفانا ذلک و کان لنا معیناً فی تربیة أنفسنا وهدایتها، وبخلافه إذا غاب الإیمان بالمبدأ و المعاد فسوف لن یکون هناک أیة شرعة أو منهاج یمکنه

إصلاح الإنسان. و الكتاب الذى بين يديك- و الذى نهضت دار سرور للنشر بطبعه- هو جهد متواضع من أجل إحياء الأصل الثانى يعنى المعاد، بلسان العصر وبصيغة إستدلالية سهلة الإدراك و الفهم لجميع المستويات ويتضمن أجوبة شافية لكافة الأسئلة وعلامات الاستفهام. نأمل أن نعيش السعى فى بناء الذات و تهذيب النفس قبل حلول ذلك اليوم من خلال الإيمان بهذا الأصل الاعتقادى المهم. قم- الحوزة العلمية ناصر مكارم الشيرازى نيسان ۱۹۹۷ م

ماذا نعلم عن عالم ما بعد الموت؟

۱- آفاق من أبحاث الكتاب

لقد كتب القليل النادر للأسف الذى لا يتجاوز عدداً محدوداً فى مجال المعاد و قيامة الأرواح و الأجساد و العالم الأخر بعد الموت رغم الأهميّة القصوى التى تحظى بها هذه الموضوعات، و على الرغم من تعطش أفراد الجنس البشرى لمعرفة ماذا سيحدث بعد الموت، هل ستستمر الحياة وفى إطار أفق أوسع وأشمل أم لا؟ هل أنّ ظروف الحياة فى العالم الآخر هى ذاتها بالنسبة للحياة فى هذا العالم، أم حالنا بالنسبة إلى حقائق ذلك العالم حال الجنين الذى لايمكنه أن يتصور أوضاع الحياة خارج رحم أمّه فلا يدرك من مفاهيم الحياة وشروق الشمس و ضياء القمر و مداعبة نسيم الربيع و جمال البراعم و الزهور و تلاطم الأمواج و عظمة عالم الخلق سوى أنّها قبضة من اللحم و الدم. فهل لجهودنا فى ظلّ هذه الحالة أن تكلل بالنجاح؟ هل حقّاً ستكون أعمالنا السيئة والصالحة معنا فى ذلك العالم، و هى التى ستسوقنا إلى العذاب والنقمة أو الراحة والنعمة؟ وهل يمكننا أن نحيط خبراً بذلك العالم رغم عدم عودة أحد منه؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰ هل الموت أليم؟ ما الذى يشعر به الإنسان حين الموت؟ هل تبقى الروح مع تعفن الجسد و تآكله؟ ما هى الروح؟ و كيف يمكن التعرف عليها و الإرتباط بها من وجهة النظر العلمية والفلسفية؟ هل حقّاً يمكن عودة هذا الجسم إلى الحياة (المعاد الجسمانى) رغم كونه فى حالة تغيير على الدوام و أحياناً تنتقل بعض ذراته إلى غيره من الأبدان على مرور الزمان؟! هل للإيمان بالمعاد آثار تربوية واجتماعية وفكرية وأخلاقية على روح الإنسان وجسمه؟ وبالتالى هل يمكن البرهنة على المسائل المرتبطة بعالم ما بعد الموت على ضوء الأسس العلمية و ....؟ هذه هى الأسئلة و الاستفسارات التى يتصدى الكتاب الحاضر لمناقشتها وبحثها. و بالرغم من خضوع مضامين هذا الكتاب للبحث و الدرس لسنوات، لكن وكما ذكرنا سابقاً فإنّ قلّة الأبحاث فى هذا المجال تجعل من الممكن تطرق العيوب و النقائص لهذا الكتاب، ومن هنا نناشد العلماء و المفكرين أن يبعثوا لنا بانتقاداتهم ومقترحاتهم ووجهات نظرهم لنستقبلها بكل رحابة صدر ونستفيد منها فى هذا الكتاب ولهم منّا جزيل الشكر و التقدير. وأرى من الضرورى ألا يتسرع الأخوة القراء الأعزاء- و بسبب حداثة أغلب الأبحاث- فى إصدار أحكامهم النهائية قبل مطالعة جميع الكتاب. و قد تبدو مباحث هذا الكتاب شيئاً هامشياً وأجنبياً عن واقع الحياة، بالنسبة لُاولئك الذين لا تعنى الحياة فى مدرستهم الفكرية سوى الخبز والماء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱ وأقصى ما يميز مدرستهم شعار الخبز والماء للجميع، مع ذلك وعلى فرض أننا نمتلك مثل هذه الرؤية الضيقة و المحدودة، فانّنا سنشاهد التأثير العميق الذى يلعبه الإيمان بعالم الآخرة- الحياة بعد الموت- فى سبغ هذه الحياة المادية بالهدوء والسكينة و الدعة و الاستقرار و فى الواقع أنّ الإنسان من دون الإيمان بالمعاد ليس بقادر على تطبيق العدالة الاجتماعية، ولا السير فى مراحل التكامل الإنسانى والمعنوى والأخلاقى. و هنا أرى ضرورة الإشارة إلى أمرين بعد هذه المقدمة:

۲- كبيرة الكاتب

لقد إبتدأت و لله الحمد الكتابة فى مجال العقائد الإسلامية بالاسلوب العصرى فى كتاب «خالق العالم» و إنتهيت بالكتاب الحاضر، و ممّا لاشك فيه أنّ مثل هذه الكتابات أحدثت تطوراً نوعياً فى كيفية طرح العقائد الدينية ضمن إطار جديد يجعل من اليسير إدراكها

من قبل الجميع. إلّاأنّى أرانى مضطراً- لبيان حقيقة قد يتصور القارى أنّها من العُجب والأنانية أو مجرّد بيان حقيقة فى هذا المجال، و هى أنّ هذه السلسلة من الأبحاث التى خاضت فى أهم المسائل العقائدية الإسلامية و التى طرحت فى أربعة كتب هى: ۱- خالق العالم (فى أدلة التوحيد و مناقشة المدارس المادية) ۲- معرفة اللّه (فى صفات اللّه و مسألة الجبر والتفويض) ۳- القادة العظماء (فى ضرورة زعامة الأنبياء و مسألة الوحى و ما شابه ذلك) ۴- القرآن و النبى الخاتم (بشأن المضامين الإعجازية للقرآن و معرفة نبى الإسلام) كان لها بالغ الأثر فى أوساطنا و لا سيما لدى شريحة الشباب الواعى، وما كثرة طبع هذه الكتب ونفاذها من الأسواق إلّادليل واضح على صحة الادعاء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲ المذكور، أمّا الدليل الآخر هو أنّ هذه الكتب أخذت تعتمد كمواد دراسية منهجية فى بعض الأوساط و المحافل الدينية والعلمية فى داخل البلاد و خارجها، و قد ترجمت بعضها إلى اللغات العربية و الاردية والانجليزية. و لعل نجاح ذلك يعود فى الحقيقة إلى أربعة عناصر هى: إجتناب المصطلحات الرنانة، الصدق فى الطرح، البعد عن التعصب، التجدد، إلاأنّ البعض يعتقد بأنّ هذه السلسلة من الكتب تنطوى على عيب كبير يقلل من قيمتها؛ و إذا لم تعرب عن دهشتك و ذهولك، فعيبها الكبير برأيهم يكمن فى بعدها عن المصطلحات والعبارات الطنانة الرنانة إلى جانب عدم تقعيد الجمل وايرادها بمنتهى السهولة والبساطة و تقريب المواضيع الصعبة إلى أذهان العموم؛ و لعلها هى الأمور التى تجعل مستوى البحث و اطئاً لاعالياً! و لا يسعنى هنا إلّاالاعتراف بهذا «العيب» أو «الذنب» و أعلم لو تركت العنان لقلمى ليسطر ما يشاء من المصطلحات المعقدة و العبارات المغلقة لبدا البحث لذلك البعض أكثر علمية، لكنى ما فعلت ذلك عامداً و أعتقد أنّ هذه هى رسالة الكاتب. و بالطبع يمكن القول بقوّة أنّه يمكن تعقيد كل بحث من أبحاث هذه السلسلة بحيث يصعب فهمها على أغلب القراء الاعتياديين، فيكتفون بالقول أنّها أبحاث علمية ذات مستوى رفيع لايسعنا إدراكه. والسؤال الذى نطرحه هنا هل يمكن التضحية بالمصالح العامّة المتمثلة بإدراك الحقائق من أجل حصول الكاتب على شخصية خيالية كاذبة؟! وهل يجيز الوجدان مثل هذا العمل لمن يملك القدرة على البساطة فى كتابة المواضيع؟! على كل حال لقد إعتدت على هذا الذنب و لا أرانى أقدر لا سامح الله المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳ على التخلى عن هذا الإدمان و الإصرار. و الغريب فى الأمر إنّنا نرى أغلب الكتب الجامعية و غيرها التى يمكن كتابة مطالبها بعبارات أسهل وأوضح دون أن يتطرق إليها أى خلل و نقص بغية الاقتصاد فى وقت و عمر الباحثين و عمومية نفعها و ثمرتها. فلا يمكن إتهام جميع كتّابها و مؤلفيها بعدم القدرة على البساطة فى التدوين. و بناءاً على هذا لابدّ من القول بأنّ البعض قد لايرغب بالقيام بهذا العمل، ولعل ذلك يؤدّى إلى فقدان الكتاب لقيمته العلمية لو اختصرت عباراته المغلقة! فلابدّ من الخروج على النظام الطبيعى لترتيب المطالب وتقديم و تأخير العبارات و الاستفادة من المفردات و الألفاظ الغريبة غير المألوفة و الطارئة أحياناً لتصبح أعظم علمية! و مازال ذلك يشكل أحد آلام مجتمعنا.

۳- شهادة التأريخ

المطلب الآخر الذى ضرورة ذكره للتأريخ هو أنّ أحد الأصدقاء أخبرنى ذات يوم قائلًا: كنت منهمكاً بترجمة كتاب عربى بشأن معرفة اللّه إلىاللغة الفارسية، فشعرت بأنّ مطالب الكتاب لم تكن غريبة علىَّ، فلما تأملتها وتمعنت النظر فيها وجدت أنّ أغلب أبحاثه هى عينا ذات أبحاث كتاب «خالق العالم» الذى ألفته، فقد تبيّن أنّ الكاتب المحترم المذكور قد ترجم المطالب و الأبحاث المذكورة دون ذكره لمصادر كتاب «خالق العالم» و أنّى الآن أقوم مرّة أخرى بإعادته من العربية إلى الفارسية! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴ فقلت بالتالى لا مانع لدىّ نشر هذه الترجمة طالما كانت خطوة فى سبيل معرفة اللّه وخدمة للعلم، ولكن على الأقل كى لا اتّهم بأنّى أقتبست منه المطالب دون ذكر المصادر و المراجع فاكتب هذه القضية فى مقدمة الكتاب! ثم رأيت أنّه لم يقتصر الأمر فى الاستفادة من هذه الأبحاث على ذلك الكاتب العربى المحترم، بل قام بعض الكتّاب الآخرين بالإتيان بذات العبارات أو بعض العبارات الأخرى فى كتبهم دون أدنى إشارة من قريب أو بعيد إلى المصادر. لعل هذه القضية لاتبدو بتلك الأهميّة ولكن أليس من الأفضل أن يستفرغ

الكتّاب الأعزاء وسعهم و يستفيدوا من طاقاتهم فى إبداعات جديدة بدلًا من مصادرة جهود الآخرين و الاستعانة بمطالبهم، فيعمل كل كاتب على ضوء إمكاناته المتاحة من أجل حلّ بعض المعضلات و المشكلات، كما يسلط الضوء على القضايا التى لم يتطرق لها الآخرون، و ليت شعرى ماذا يضر الكاتب لو لم يتحفظ عن ذكر المصادر و المراجع و يعترف بحقوق الآخرين؟! طبعاً لست أنكر أنّ لكل مفكر و عالم، الحق فى الاستفادة من أفكار الآخرين و إبداعاتهم، ولكن بشرط مراعاة الأمانة و الإشارة إلى مصادر الكتاب و الجهود التى بذلت من أجله إن تعرض لنقل مطالبه دون أية إضافة أو إبداع أو الإتيان بها بأسلوب عصرى جديد يجعلها تختلف عن سابقها. نسأل اللّه أن يوفقنا جميعاً لبذل الجهود من أجل حفظ دينه و خدمة خلقه. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵ و لا يسعنى هنا إلّاأن أناشد ثانية كافة الأخوة أن يتحفونا بما لديهم من توجيهات و إرشادات بهدف تكامل العمل و سد ثغراته. قم- الحوزة العلمية ناصر مكارم الشيرازى ذى القعده ۱۳۹۶

هل الموت هو نهاية الحياة أم بداية حياة جديدة؟

اشارة

عادة ما يعيش الناس حياتهم فى الزمان الحاضر و يكتفون بما هم عليه الآن، و الأفراد الذين يعيشون الزمان الماضى ليسوا قلائل أيضاً، و هذه الطائفة تنهمك على الدوام فى التعامل مع النماذج الحاوية لأحداث الماضى الحلوة والمريرة بعد إنتشالها من تحت الأنقاض، و الواقع أنّهم يقضون أعمارهم فى نبش قبور الماضين. فهم لا ينفكون عن أمرين؛ إمّا ذرف الدموع على الحوادث الأليمة، و إمّا التغنى ببطولات وأمجاد عظمائهم الذين دفنوا تحت التراب! نعم هناك من يفكر فى المستقبل ولّا سيما المستقبل البعيد و هم قليلون، و هنا يطرح هذا السؤال: ما السبب الذى يكمن وراء التحفظ عن التعرض لحوادث المستقبل والذى يتخذ أحياناً طابع الهروب؟ ترى أيعزى ذلك إلى طبيعة المستقبل الخارجة عن دائرة الحس، والناس أبناء الحس فهم يألفون هذه الأم فقط؟ أم يعزى ذلك إلى هالة من الغموض و الإبهام التى تغطى المستقبل فتجعله يكتسى حلّة مخيفة؛ الأمر الذى يثير الهلع لدى من يقترب منه؟ أم أنّ المستقبل شئنا أم أبينا مقرون بالمشيب و العجز و الكهولة و بالتالى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸ الموت والعدم، و هى الأمور التى يرتعش منها الفرد و يهرب منها بكل كيانه. ولكن على كل حال لامفر لنا من التعامل مع المستقبل رغم الخوف والهلع والإبتعاد و الهرب، و لا شك أنّ هذا المستقبل هو الذى‌يختزن مصيرنا و عاقبة أمرنا، فالماضى ولّى و إندثر و الحاضر سينتهى كلمح بالبصر إلى الماضى، و عليه فلا يبقى سوى المستقبل؛ المستقبل البعيد الذى تكتنفه الأسرار و الألغاز والذى ينتظرنا فنسير نحوه دون تريث، فلم لا ندركه و نفكر فيه؟

الموت ليس بهذا الرعب

إنّ الناس و رغم كل اختلافاتهم و تنوع مشاربهم الفكرية والعقائدية سيبلغون شاءوا أم أبوا و كيفما تحركوا و إنطلقوا نقطة مشتركة تتمثل بالموت وإختتام هذه الحياة. فنقطة إنطلاقة الحياة غنية كانت أم فقيرة، وفى وسط الجهل كانت أم العلم، و مقرونة بالسعادة أم الشقاء سيأتى عليها الموت بغتة فيجعل الجميع يعيشون حالة واحدة تسودهم فيها المساواة التامة المطلقة التى يعجز الكل عن الإتيان بها. و لهذا يمكن تأمل مقدار العمر و طول الحياة، بينما لايمكن مناقشة الموت، حتى لو استخرجنا ماء الحياة من الظلمات واحتينا جرعة منه، فإنّ الحياة الأبدية متعذرة محالة، لأنّ طول العمر لايعنى الأبدية قط. و على هذا الأساس يتفق جميع الأفراد على الإيمان بالموت رغم الفوارق الفكرية التى تسودهم، و لعل التعبير عن الموت باليقين على لسان آيتين من الآيات القرآنية هو إشارة إلى هذه الحقيقة، فقد صرحت إحدى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹ هاتين الآيتين بالقول: «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ الْيَقِينُ» «۱». و صرحت الآية الأخرى على لسان الآثمين: «وَ كُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ* حَتَّى اتَيْنَا الْيَقِينُ» «۲». و معنى ذلك لقاء المحسنين و الآثمين فى تلك

اللحظة القطعية واليقينة.

الشعور الإنسانى حين الموت

السؤال الذىيطرح نفسه هنا: بم يشعر الإنسان حين الموت؟ لا أحد يعرف الشعور الذى يخالج الإنسان حين الموت، حيث لم يعد أحد من هناك ليشرح للآخرين شعوره فى تلك اللحظة الحساسة. فهل مفارقة هذه الحياة كقلع السن اثر حالة التخدير و دون أى ألم ومعاناة، أم يعانى الإنسان حينها أقسى أنواع العذاب و الشدّة بحيث يعجز الإنسان عن وصف تلك الحالة؟ أم القضية تختلف باختلاف روحيات الأفراد و أخلاقياتهم وصفاتهم وأعمالهم؟ فهو سهل يسير على البعض كاستشمام رائحة الوردة، بينما ثقيل وصعب على البعض الآخر كحمل ثقل وزنه الجبل. و لعل هناك شعورا آخر يخالج الإنسان لحظة الموت لايسعه فكرنا و ذهننا ولايمكننا إدراكه فى ظل ظروف هذه الحياة. فلو قدر لوليد خرج من رحم أمّه العودة الثانية إلى توأمه الآخر فى الرحم، فهل يسعه شرح ما شاهده خارج رحم أمّه منذ الولادة حتى عودته ثانية إلى بطنها؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰ أليس هذا الأمر أشبه شيئاً بفرد أخرس يروم وصف رؤياه وما شاهده فى المنام لآخر مكفوف البصر؟!

عبثية الهرب من الواقع

إنّ أسوأ سبل مواجهة الحقائق المريرة يتمثل بالتهرب من إدراكها وإستيعابها أو إيداعها بوتقة النسيان. حقّاً ليس هناك خفة عقلية تفوق هذه القضية بأن ننسى شيئاً لاينسانا أبداً، أو نتوقع إعادة النظر بشأن مطلب حتمى لايمكن إجتنابه بأى شكل من الأشكال. لماذا لا نفكر بالموت و الحوادث التى تعقبه و مصير الروح بعد مفارقتها لهذه الحياة و مئات القضايا الأخرى ذات الصلة بالموت؟ و الحال وقوع الموت فى المستقبل القريب بالنسبة لنا يعد من الحوادث القطعية الحتمية التى لا غبار عليها و لا نقاش فيها. إنّنا حين نتصفح التاريخ نرى الموت قد صرع أقوى الأفراد و أقدرهم من قبيل الاسكندر و جنكيز خان و نابليون و من كان على شاكلتهم، كما قضى على أعظم العلماء و المفكرين و أقوى الأدباء و الشعراء و الكتّاب، فقد ركع الجميع للموت و استسلموا له، و عليه فليس من المعقول أن ننساه أو نخشاه و نخافه عبثاً، فقد ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال «وَ كَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ وَ طَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ» «۱». فما أحرانا أن نتقدم إلى الأمام بكل شجاعة و بسالة و واقعية لنقف على الأمور المتعلقة بنهاية الحياة و نحصل على الأجوبة الشافية و الوافية المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱ المنطقية بخصوص الألغاز و الأسرار التى تكتنف الموت.

رؤيتان لمصير الإنسان

هل لحظة الموت هى لحظة وداع كل شىء؟ لحظة نهاية الحياة؟ لحظة الغربة الأبدية و الإنفصال المطلق عن هذا العالم، و تحلل و عودة المواد المؤلفة لبدن الإنسان إلى عالم الطبيعة؟ أم هى لحظة الولادة الجديدة؟ أم هى خروج ثانى من رحم الدنيا إلى عالم واسع و شامل آخر؟ أم تحطيم قضبان سجن رهيب؟ أم التحرر من قفص ضيق و صغير و إفتتاح نافذة نحو عالم روحى واسع بعيد عن الزخارف المادية لهذا العالم و مجانب للهم و الغم و الألم و المعاناة والعداوة و الكذب و الظلم و الجور و الإجحاف و ضيق النظر و الحقد والضغينة والحرب و القتال، و بالتالى كل المنغصات و الكدورات التى ينطوى عليها هذا العالم؟ بغض النظر عن مدعى صحة الرؤيتين المذكورتين و إقترابها من الحقيقة والمنطق- و بالطبع سنتحدث فى الأبحاث القادمة باسهاب عن هذا الموضوع- فإنّ الرؤية الاولى تبدو مظلمة و مخيفة و أليمة و الثانية جميلة ورائعة و هادئة. فصورة الموت على ضوء النظرة الاولى تجعل شربت الحياة- مهما كانت الحياة مرفهة- علقماً مريراً على الإنسان أو تضطره للخضوع لأىشىء والاستسلام لأىظروف من أجل الفرار من الموت. و القضية على العكس تماماً بالنسبة للنظرة الثانية التى يسعها جعل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲ شربت الحياة عذباً و شربت الشهادة فى

سبيل الحق و الأهداف السامية أعظم عذوبة وحلاوة، و تلقن الإنسان بعدم الاستسلام لأى‌شيء و الانحناء لأى شرط بسبب هذه الحياة، بل عليه أن يكون حرّاً فى دنياه و لايخشى الموت المشرف! والخلاصة فإنّ الموت ليس مرعباً دائماً، فقد تكون هذه الحياة أعظم منه رعباً أحياناً.

لماذا نخاف من الموت؟

هنالك فردان يخافان من الموت؛ أحدهما من يفسّره بمعنى العدم والفناء المطلق، و الآخر من كانت صحيفة أعماله سوداء و مظلمة، أمّا من لم يكن من هؤلاء ولا اولئك فما مبرر خشيته من الموت، أفهناك شيء يفقده من جراء الموت؟ مشهورة هى حكاية «ماء الحياة» و التى تتناقل بسرعة فائقة حيث أقدم الإنسان منذ قديم الأيام بالبحث عن شيء يسمى «إكسير الشباب» و قد نمقوه بالأساطير و الخرافات و عقدوا عليه الآمال. و لعل القضية تفيد حقيقة تكمن فى خشية الإنسان من الموت وحبّه لمواصلة الحياة و الهروب من نهايتها، على غرار إسطورة «الكيمياء» تلك المادة الكيميائية الخفية التى لو أُضيفت على النحاس الذى لا قيمة له جعلته ذهباً ذا قيمة باهضة، و التى تفيد خوف الإنسان من الفقر الاقتصادى و مدى سعيه للحصول على الثروة. و إسطورة إكسير الشباب هى الأخرى تعكس هلع الكهولة و الضعف والتآكل و بالتالى الموت و نهاية الحياة. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳ إنّ أغلب الناس يخشون الموت و يهربون من مظاهره و يشمأزون من إسم المقبرة و يسعون جاهدين لاطماس الماهية الأصلية للقبور من خلال تزيينها و إضفاء بعض الجمالية عليها، حتى أنّهم يلجأون إلى تحذير الأفراد من بعض الأشياء الخطرة- غير الخطرة التى لايريدون للآخرين أن يقتربوا منها أو يخربوها من خلال الكتابة عليها «خطر الموت» و يرسمون عليها صورة لعظمين من عظام ميت فى حالة علامة فى خلف جمجمة جوفاء خالية من الروح تطالع الإنسان. و قد حفلت النتاجات الأدبية لمختلف أصقاع الدنيا بما يفيد خوف الإنسان من الموت، فبعض العبارات من قبيل «هيولا- الموت»، «شبح الموت»، «صفعة الموت» و «مخالب الموت» و ما إلى ذلك من التعبيرات التى تدل على مدى القلق والهلع و الضطراب. كما يؤيد ذلك القصة المعروفة بشأن رؤيا هارون الرشيد- الذى رأى فى المنام سقوط جميع أسنانه- فعبّر له شخصان تلك الرؤيا قال الأول: يموت جميع أفراد أهلك قبلك. و قال الثانى: إنّ عمر الخليفة سيكون أطول من جميع قرابته، فما كان ردّ فعل هارون الرشيد إلّاأن وهب الثانى مئة دينار، بينما جلد الأول مئة جلدة، فهذا دليل آخر على خشية الإنسان من الموت. و ذلك لأنّ الفردين عبّرا عن حقيقة واحدة، إلّاأنّ أحدهما ذكر الموت بالنسبة لقرابة الخليفة فكان جزاؤه مئة جلدة، وعبّر الآخر عن ذلك الموت بطول عمر الخليفة فتناول مئة دينار!. ناهيك عن كل ما سبق فقد إعتاد الناس بعض الأمثال و العبارات التى تكشف عن مدى خشيتهم من الموت، فإذا أرادوا مثلًا تشبيه فرد بآخر ميت فى قضية إيجابية خاطبه قائلًا «إسم اللَّه عليك» أو «أبعد اللَّه عنك» ذلك، أو المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴ فليخرس لسانى سيصبح الأمر بعدك كذا و كذا، أو ترتيب الأثر على كل شيء يبعد احتمال الموت أو يكون مؤثراً فى طول العمر، و إن بدا خرافة تماماً ولا أساس له و كذلك أدعيتهم التى تتضمن كلمة الدوام و الخلود من قبيل: دام عمره، دام مجده، دامت بركاته، خلد اللَّه ملكه، أطال اللَّه عمره و كل عام و أنتم بخير و ...! و التى تشكل كل واحدة منها دلالة على هذه الحقيقة. طبعاً لا يمكننا إنكار وجود بعض الأفراد النادرين الذى ليس لهم أدنى خشية من الموت، حتى أنّهم يسارعون لاستقباله، إلّاأنّهم قلائل، كما أنّ العدد الحقيقى أقل بكثير من اولئك الذين يزعمون ذلك.

ما مصدر هذا الخوف و القلق من الموت؟

عادة ما يخشى الإنسان «الزوال» و «العدم». يخشى «الفقر»، فهو زوال الثروة. يخشى «المرض» لأنّه زوال السلامة و العافية. يخشى «الظلمة» حيث ليس فيها نور. يخشى «الصحراء» و قد يخشى «الدار الخالية» لأنّه لا أحد فيها. بل يخشى الميت حيث لاروح فيه، و الحال لايخشى ذلك الشخص حين كان على قيد الحياة و الروح فيه! و بناءاً على ما تقدم فإن خشى الإنسان الموت فذلك لأنّه يراه

«فناءاً مطلقاً» و عدماً لكل شيء. و إن خشى الزلزلة و الصاعقة و الحيوان المتوحش، فذلك لأنّها تهدد وجوده بالفناء و العدم. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵ طبعاً لايبدو هذا الأمر غريباً من وجهة النظر الفلسفية، لأنّ الإنسان «وجود» و الوجود ينسجم مع الوجود الآخر، بينما ليست له أية سنخية وتناسب مع العدم، فما عليه إلّاالفرار و الهرب منه، لم لايهرب؟ إلّا أنّ هناك قضية مهمّة هنا لاينبغى الغفلة عنها و هى: كل هذه الأمور صحيحة إذا فسّر الموت بمعنى الفناء و العدم و نهاية كل شيء، و الحق لو فسّر كذلك فليس هناك شيء أعظم رهبة منه، و كل ما قيل بخصوص هيولا- الموت هو عين الصواب. أمّا إن إعتبرنا الموت- كولادة الجنين من بطن أمّه- ولادة أخرى و آمنا بإنّ اجتيازنا لهذا الممر الصعب يعنى وضع أقدامنا فى عالم أوسع و أشمل وأكمل من هذا العالم و هو مليء بأنواع النعم التى يصعب علينا تصورها فى ظل الظروف الراهنة و الحياة الفعلية. و خلاصة القول فإن اعتبرنا الموت أكمل و أسمى من هذه الحياة، و التى لا تعد سوى سجناً إن قارناها بالحياة فى ذلك العالم، فمن الطبيعى سوف لن تعد للموت مثل هذه المعانى التى تشير الخوف و الهلع و النقرة لدى النفس، وستكون له معانى جمالية رائعة قريبة من القلب محببة إلى النفس. لأنّه إن سلب من الإنسان جسمه زوده بالأجنحة ليحلق بها فى سماء الأرواح الشفافة اللطيفة التى تفوق التصور و الخيال و الخالية من كافة أشكال الإقتتال و التراع و العداء و الهموم و الغموم. و هنا نتذكر ذلك الشاعر الذى له مثل هذه الأفكار و هو يأمر حكيماً عالماً بلغة الشعر: فلتمت أيّها الحكيم من مثل هذه الحياة، فالموت من هذه الحياة لايعنى سوى البقاء، و لتحلق بأجنحتك كالطيور فتطوى تلك المسيرة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۶ الكاملة، ولا تخشى من الحياة التى تنتظرك فالخشية لابدّ أن تكون من هذه الحياة الضيقة المحدودة. فمن البديهى أنّ من ينظر هكذا إلى مسألة الموت لن يقول أبداً أنّ الموت حالة عبثية لا طائل من وراءه أو هو إنتحار و قتل للنفس، بل يراه حقيقة سامية يحث الخطى من أجل معانقتها، و ما أجمله إن كان وسيلة لبلوغ الأهداف المقدسة و السامية، و خلاص الإنسان من الذلة و الخنوع والبؤس و الشقاء.

العنصر الآخر لخشية الموت

هناك طائفة أخرى تخشى الموت لا- لأنّه يعنى الفناء و العدم المطلق، بل لأنّ صحيفة أعمالهم بلغت درجة من الاسوداد و الظلمة بحيث يشاهدون بأم أعينهم ما سيترتب عليها من جزاء أليم و عذاب شديد سيطالهم بعد الموت، أو على الأقل أنّهم يحتملون ذلك. فهؤلاء أيضا محقون فى خشيتهم الموت، لأنّهم بمثابة المجرم الذى اقتيد من قضبان السجن و حمل إلى المقصلة، طبعاً الحرية و الخلاص مطلوب، لكن لا- التحرر من السجن نحو المشقة! فحرية هؤلاء من سجن البدن أو سجن الدنيا يتزامن و حركتهم نحو المقصلة، «المقصلة» لا بمعنى الإعدام بل بمعنى العذاب الأسوأ منه. ولكن ما بال اولئك الذين يخشون الموت و لايرونه فناءاً وعدماً، كما ليس لهم من صحيفة أعمال سوداء؟ لِمَ يرهبون الموت فى سبيل تحقيق الأهداف المقدسة؟ لماذا؟ ...

جذور المعاد فى أعماق الفطرة

اشارة

تنادينا إلهامات الفطرة: الموت ليس نهاية الحياة، و بالطبع لاتقتصر هذه الإلهامات علينا، بل تفيد كافة الشواهد الموجودة أنّه كان يؤمن بها كافة الأقوام بما فيها الإنسان البدائى الذى عاش فى عصور ما قبل التأريخ. يقال: هناك ذبذبات مجهولة- تشبه الأمواج الراديوية- تبث دائماً من أعماق السموات وجوف المجرّات التى لها بالغ الأثر على الأجهزة المستقبلة. لا أحد يعلم من أين تنطلق هذه الأمواج و ما مصدرها الرئيسى؟ هل هناك حضارات فى ما وراء منظومتنا الشمسية أكثر تطوراً من حضارة أهل الأرض بحيث يرسل سكنتها برسائلهم إلى العالم بواسطة هذه الأمواج؟ أم هناك مصدر آخر؟ لا نعلم. والأعجب من ذلك إننا نستقبل بانتظام من أعماقنا و

باطن أرواحنا رسائل مجهولة و لا نعرف مصادرها، فنرانا مضطرين للاصطلاح عليها بالفطرة، و كل ما نعلمه إنّنا نحصل على إلهامات مختلفة ترشدنا إلى الخطوط الأصلية حين نقف على مفترق طرق. مثلًا: تقع حادثة مفاجئة قريب منّا أو فى أبعد نقطة من العالم، فتدفع المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۸ بنا هذه القوة الباطنية الخفية باتجاه الحصول على أخبار تلك الحادثة، ثم نرانا نجهد أنفسنا فى هذا المجال دون أن نعلم الدافع و السبب الذى يقف وراء كل هذا الشوق و اللهفة لرؤية تلك الحادثة و الوقوف على تفاصيلها التى قد لايكون لها أدنى إرتباط بأوضاعنا، فلا نستقر و لايهدأ لنا بال مالم نفهم تلك الحادثة. ترافقنا هذه الحالة منذ اللحضات الأولى للعمر ولا تنفصل عنّا حتى آخر العمر، ثم أطلقوا على ذلك فيما بعد اسم «حس حبّ الإطلاع» و قالوا إنّه جزء من فطرة الإنسان. و كثيرة هى نظائر هذه الغرائز و الإلهامات الفطرية، إلّاأنّ أحداً لا يسعه أن يزودنا بايضاحات أكثر بشأن مصدر هذه الإلهامات الفطرية، ولكن على كل حال ليس لدينا أى شك فى أصل وجودها و دورها فى إرشادنا و توجيهنا التكوينى. *** و الإيمان بالحياة بعد الموت واحد من هذه «الإلهامات الفطرية»: لدينا عدّة شواهد تاريخية تفيد عمق إيمان البشرية على مدى التأريخ، بل فى العصور التى ما قبل التأريخ بالحياة الآخرة بعد الموت، و الدليل على ذلك الآثار المختلفة التى خلفها قدماء الناس و كيفية بناء قبورهم و الأشياء التى كانوا يدفنونها فى التراب مع موتاهم- كما سيأتى شرح ذلك بالتفصيل- والتى تفيد إيمان الإنسان بحياة ما بعد الموت على ضوء إلهاماته الباطنية، حيث لايمكن التصديق بأنّ مسألة ليست بفطرية و قد تمكنت من الحفاظ على قوتها ورسوخها إلى هذه الدرجة طيلة التأريخ و لما قبله إلى أبعد العصور والأزمنة حتى بقيت عالقة فى الأذهان، فمثل هذه المسائل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۹ المتجذرة التى لاتنفصل عن البشر قط، قطعاً لها نواة غريزية و فطرية، و من هناك كانت دائمية خالدة. و قد صرّح عالم الاجتماع المعروف «صاموئيل كونيغ» قائلًا: تفيد الآثار التى عثر عليها العلماء فى الحفريات أنّ أسلاف الإنسان المعاصر أى إنسان النياندرتال كانت لهم ديانة بدليل أنّهم كانوا يدفنون أمواتهم بطريقة خاصة، كما كانوا يدفنون إلى جانبهم وسائلهم و أدواتهم، و هكذا يعلنون إيمانهم بوجود عالم آخر بعد الموت. «۱» نعلم أنّ إنسان النياندرتال عاش قبل عشرات آلاف السنين، حين لم يخترع الخط حتى ذلك الوقت ولم يبدأ التاريخ البشرى، صحيح أن لا جدوى من هذه الوسائل و الأدوات فى حياة ما بعد الموت مهما كانت، إلّاأنّ المراد هو أنّ هذه الأعمال تشكل شهادة على إيمان أسلاف الإنسان المعاصر بحياة ما بعد الموت. و يبدو أنّ المصريين كانوا قد سبقوا سائر الأقوام فى هذا المجال، إذ يقول المؤرخ المعروف «آلبرماله» من بين تواريخ الأقوام يمتاز تاريخ الأقوام المصرية بأنّه أقدم الجميع، حيث يذكر حوادث وقعت لما قبل أكثر من خمسة آلاف سنة. «۲» فالتاريخ المصرى العريق يشير إلى أنّ الأقوام المصرية كانت راسخة الإعتقاد بحياة ما بعد الموت و يرون لها أهميّة خاصة، و إن لم تسلم عقائدهم- و كسائر الأقوام- من الأباطيل و الخرافات. و يسرد المؤرخ المذكور قضية رائعة تنطوى على عدّة فوائد، فقد ذكر أنّ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۰ المصريين يعتقدون بأنّ روح الميت تفارق القبر و تحضر عند الإله الكبير «آزيريس» ... فان قادوه إلى «أحكم الحاكمين» آزيريس يمتحن قلبه فى ميزان الحقيقة، فإن كانت روحه طاهرة فى الحساب ذهب إلى المزرعة (والبستان) الذى لايتصور مدى بركته ... كما كانوا يضعون إلى جوار الموتى كتاباً يرشدهم فى سفرهم إلى تلك الدنيا، و يحتوى الكتاب على عبارات يجب أن يردها الميت عند آزيريس لتبرأ ذمته ويطهر: لم أغش الناس ... لم أوذى أية أرملة ... لم أكذب فى المحكمة ... لم أرتكب التزوير. لم أفرض على عامل أكثر من طاقته فى العمل. لم أتكاسل فى القيام بوظيفتى. لم أنتهك المحرمات. لم أسع بعبد لدى سيده. لم أقطع خبز أحد. لم أبك أحداً. لم أقتل أحداً. لم أسرق أطعمة الموتى، «۱» و لا أشرطتهم. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۱ لم أغصب أرض أحد. لم آخذ لبن الأطفال الرضع. لم أقطع أى نهر. أنا طاهر، طاهر ... أيّها القضاة! اليوم يوم الحساب فخذوا هذا المرحوم فهو لم يذنب و لم يكذب. و هو لايعرف السوء و لم يجانب الحق و الإنصاف فى حياته و قد أتى بما يرضى اللّه، لقد كسى العريان و ذبح للّه و أطعم الأموات، فمه طاهر و يداه طاهرتان. على كل حال فالذى يفيده التاريخ هو حالة التدين بصورة عامّة والإعتقاد الراسخ بحياة ما بعد الموت لدى سائر الحضارات و المدنيات الأخرى والتى تزامنت مع الحضارة المصرية أو بعدها من قبيل الحضارة الكلدانية و الآشورية واليونانية و الإيرانية. والأهميّة التى حظى بها هذا

الموضوع فی الأديان العالمية الكبرى ممّا لاغبار عليه فلا يحتاج إلى أدنى توضيح، و سنتعرف على نماذج ذلك فی أبحاث القادمة. هذا وقد نقل العالم الاسلامی المعروف كاتب «روح الدين الإسلامی» عبارة عن مجلة «ريدرزد ايجست» نوفمبر عام ۱۹۷۵ عن «نورمان فن سنت بيل» أنّه قال: الحقيقة هی أنّ النشاط الغريزی بوجود عالم آخر بعد الموت يعدّ من الأدلة المحكمة على هذه المسألة، لأنّ اللّه إذا أراد إقناع الإنسان بحقيقة غرسها فی أرض غرائزه و فطرته، فالاعتقاد بحياة خالدة فی العالم الآخر هو نوع من الشعور العام فی باطن وجود كافة الأفراد بحيث لايمكن النظر إليه بازدراء. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۲ حقّاً أنّ الشیء الذی نسير إليه بهذه السرعة إنّما هو ردّ فعل لجذور أساسية داخل وجودنا، إنّنا لا نؤمن بمثل هذه الحقائق من خلال الأدلة المادية، بل عن طريق الإلهام و الإدراك الباطنی، فالإلهام يعتبر دائماً العامل الوحيد المهم لإدراك الحقائق، وحين يبلغ العلماء حقيقة علمية تحتاج إلى إثبات، فانّهم يدركون تلك الحقيقة بوحی من الإلهام على حدّ تعبير «برجسون». «۱» و الإعتقاد بالحياة بعد الموت من هذه الإلهامات الفطرية.

المشی فی المتاهات

رغم أنّ الإلهامات الفطرية تساعد الإنسان فی كشف أسرار الحياة الآخرة بعد الموت، إلّاأنّها مالم توجه بصورة صحيحة فانّها تصبح هالة من الخرافات و الأساطير الغريبة، ألا ترى إلى الكهنة و الشعابذة كيف كانوا يدفنون الفتيات الجميلات إلى جوار الملوك و السلاطين فی أفريقيا و المكسيك. يبدو أنّ هناك بوناً شاسعاً بين الدنيا المعاصرة و تلك التی كانت قبل ستة آلاف سنة. لم يكن هناك من وجود لهذه الأدوات و الوسائل الفلزية المتنوعة، حيث كانت تقتصر حياة الإنسان على الحجر والخشب والعظام وجلود الحيوانات، وما أصعب العيش فی ظل هذه الوسائل فقط، ولكن مع ذلك كانت تلك الحياة مقارنة بما نحن عليه أكثر هدوءاً و إستقراراً، فلم يكن هناك صوت للسيارات الفخمة و لا ضوضاء و صخب لانفجار القنابل و لا زئير للطائرات التی تكسر حاجز الصوت، فقد كانت حياة- كالموت- غاية فی البساطة دون أی تعقيد! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۳ بالمناسبة لا ندری ما هو الشعور الذی كان يسود الإنسان آنذاك تجاه الحياة و الموت، فلو كان يحسن الكتابة لعله دوّن جانباً من مشاعره و خلفها لأبنائه المعاصرين ممن يدفعهم حبّ الاطلاع للوقوف على هذا الأمر، غير أنّ المؤسف له لم يحصل هذا العمل حيث لم يكن الخط و الكتابة قد أخترعت بعد، مع ذلك فإنّ و الكهوف و أعماق الأرض قد حفظت كنوزاً قيّمة من آثار حياة الناس آنذاك، و كما أشرنا فی البحث السابق فإنّ هذه الآثار- و لاسيّما كيفية القبور التی خلفّوها- تفيد أنّهم كانوا يؤمنون بالحياة ما بعد الموت، و لهذا السبب كانوا يضعون وسائل موتاهم و أدواتهم معهم فی التراب، على أمل الاستفادة منها بعد العودة للحياة ثانية. أمّا إعتقاد الإنسان بالقيامة بعد دخوله عصر التأريخ (عصر ظهور الخط وإكتشاف الفلزات فما لاتتطرق إليه شائبة و على درجة من الوضوح لا إبهام فيه وقد ثبت ذلك فی جبين تاريخ الامم والشعوب. و كل ذلك- كما ذكرنا آنفا- يفيد إمتزاج هذه العقيدة بالفطرة البشرية.

الانحراف عن الفطرة و التخبط فی المتاهات

عادة ما تبعث «الإلهامات الفطرية» الإنسان دائماً على شكل دافع تلقائی باتجاه مختلف المسائل التی تحتاجها روحه وجسمه، ولو لم تكن هذه الإلهامات فطرية، و أنّنا لا نكشف الأشياء إلّامن خلال الإختبار و التجربة والعقل لتعقدت أعمالنا بهذا المجال. فالتنسيق و التعاون بين هذين الجهازين (الإلهامات الفطرية والكشوفات العقلية و التجربية) أدّى إلى هذه السرعة التی بلغها الإنسان فی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۴ مسيرته نحو المدنية و الكمال. ولكن لاينبغی الغفلة عن أنّ الاستنتاج الصحيح من هذه الإلهامات الفطرية إنّما يتوقف دائماً على نمط تفكير الإنسان و ما يدور فی ذهنه، يعنی لو كان هناك بعض الأفراد الذين يعيشون الضعف و العجز من حيث التفكير و العلم فإنّ إلهاماتهم الفطرية ستبدو على هيئة منحطة و ناقصة وأحياناً مقلوبة. بعبارة أخرى لابدّ من سقی شجرة الإلهامات

الفطريـة بماء العلم على الدوام لتؤتى أكلها كل حين، و إلّافإن تلك الإلهامات سـتكون مشوبة بأنواع الخرافات و الأباطيل، و قد تعطى أحيانـاً نتائج معكوسـة. و المثـال الواضح الـذى يمكننا الاستشـهاد به فى هـذا الموضع هو «الغريزة الجنسـية» التى تعتبر نوعاً من الإلهام الطبيعى والفطرى «لحفظ النسل» والتى تدفع بالإنسان لحفظ نسـله، ولكنّها إن إمتزجت بالأفكار الوضعية والأخلاق المنحّطة، لأصبحت بؤرة فساد و فاحشـة قاتلة للنسل، يعنى بالضـبط يحدث عكس المطلوب، من جانب آخر فإنّ كافة أقوام العالم تضع بعض المقررات و القوانين لعقـد الزوجيـة بغيـة عـدم تزلزل نسـلها بفعـل الفوضـى الجنسـية، و تصـدع كيانهـا و نظامها الاجتماعى، إلّاأنّ هـذه المقررات والقوانين قد تكون على درجة من الصـعوبة و التعقيد التى تفرزها حالة ضـيق النظر والتخلف الفكرى بحيث تسوق الأفراد نحو مقاطعة الزواج و الإنغماس فى الفاحشـة، و كلاهما يهـدد قضـية حفظ النسل، و بناءاً على هـذا فانّ الزعامة الخاطئة للغريزة الجنسـية إنّما تعطى نتيجة معكوسة فى حفظ النسل. والقضـية كذلك بالنسبة للحاجات الروحية والإلهامات الفطرية المتعلقة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۵ بها، مثلًا يبحث الإنسان- على ضوء إلهام فطرى- عن خالق العالم، إلّاأنّ قصـر النظر و الجهل و التخلف الفكرى قد يقذف به أحياناً فى مخالب «التشبيه و القياس» و ذلك لأنّ هذه هى سـجية محدودى الفكر حيث يجعلون أنفسـهم محوراً لكل شـىء فيقيسون كل شىء و يشـبهونه بهم، و إثر هـذه التشبيه و القيـاس يقـدمون على عبـادة كل شـىء سوى «الاله الحقيقى» من قبيل الحشـرة المصـرية إلى الفيل الهندى بصفتهما الإله الذى ينبغى أن يعبد على حدّ تعبير المؤرخ المشهور «ويل دورانت». «۱» و الأعجب من ذلك ما أخبرنا به بعض المسافرين القادمين من اليابان أنّهم رأوا بأم أعينهم المعابد التى تضم الأوثان الصغيرة و الكبيرة التى تضم بعض الأصنام بصورة «آلات تناسـلية للرجل و المرأة» فيقوم البعض بعباداتها و أداء مراسم التقديس لها! و قد طبعت بهذه الأشـكال قضية المعاد و القيامة التى تبناها الإلهـام الفطرى لمساعـدة الإنسـان و مهـد السبيـل أمامه بهـدف التوجه العقلانى لعالم ما بعـد الموت، لأنّ إنعكاس شـعاع هـذا الإلهام الفطرى من الزجاجـات المعوّجـة لأفكـار النـاس قصـارى النظر أدّى إلى تفـاقم الإنحرافات التى غيرت بالمرة وجه هـذه القضـية. و فى الواقع فإنّ التشبيه و القياس المـذكور جعل البشـرية تعيش الخرافات العجيبـة التى تفوق التصور و الخيال إزاء قضـية القيامة، فكان لابدّ من إيداع كافة أدوات الإنسان و وسائله التى يحتاجها فى القبر ظناً بأنّ الحياة فى ذلك العالم هى عين هذه الحياة على جميع الأصـعدة و النواحى.

خرافات مضحكة و مؤسفة!

إنّ هـذا النمط من التفكير الخرافى قد أفضـى طيلة التاريخ إلى الأعمال المؤسـفة و المضـحكة أحياناً. على سبيل المثال كان سائداً بين أهل الكونغو دفن إثنتى عشـرة فتاة جميلـة على قيـد الحياة مع زعماء القبائل حين موتهم بهـدف دفع الأسـقام والسأم الـذى يعانونه فى ذلك العالم. أو أنّ بعض أهالى المكسيك كانوا يدفنون الفكاهى (أو ما يصطلح عليه بالفنان الكوميدى) مع رئيس القبيلة ليحول دون تكدر صفو خاطره فى تلك الدنيا، كما كانوا يأدون أحياناً بعض الكهنة مع زعمائهم ليكونوا مستشاريهم فى المسائل الدينية فى ذلك العالم! «۱» كمـا كـانت بعض الأقـوام إلى عـدم دفن ثيـاب الأموات و تعليقها على شـجرة ليقوم بارتـدائها الأموات فوراً بعـد بعثهم فلا يمتعظوا من العرى! أما تحنيط المصـريين القدماء لأجساد الموتى فليس له من فلسفة سوى الاستفادة من ذلك لجسد بعد عودة الروح، فقـد كـان التحنيـط يتم بهـدف الحيلولـة دون تعفن جسـد الميت و تفسـخه، حيث كانوا يجففون جسـد الميت ببعض المواد الكيميائية المعنية، فإذا جف الجسد بصورة كاملة غطوه بعدّة أشرطة كتانية ملطخة بمواد صمغية خاصة، و كان يلزم ذلك العمل مئات الأمتار من الكتان، ثم يضـعونه فى توابيت خاصـة، و أحياناً فى عـدّة توابيت أخرى و يرسـمون بعض النقوش الرائعة على التابوت الكبير. والجدير بالذكر إن تحنيط الجسد قد يتطلب أحياناً سـبعين يوماً! طبعاً لم يقتصـر التحنيط على مصر، إلّاأنّ المصريين برعوا فى هذا العمل بحيث تشاهـد الحنوط المعـاد و عـالم الاخرة، ص: ۳۷ المصـرية بوضوح اليوم فى المتـاحف العالميـة و قـد بقيت هـذه الحنوط على صورتها السابقـة دون أن يعتريهـا أدنى تغير رغم تقـادم العصور و الأزمـان على تلـك الأجساد المحنطـة. «۱» كان أهل المصـر يغطون جـدران

المقابر بالصور التى تشرح الأعمال اليومية للشخص الميت و خدمه و شغله فى الدنيا، فمثلًا فى زاوية من الصورة نشاهد العمّال الذين يخبزون الخبز أو الذين يريقون الشراب والخمر فىالآنية، و فى موضع آخر الخدم الذين يذبحون الشاة أو البقرة أو الذين يخرجون الأسماك من النهر، و فى مكان آخر يحلبون البقر ويطبخون الطعام. «۲» و كأنّهم أرادوا الإبقاء على سرور أرواح الأموات من خلال تجديد ذكرياتهم الماضية. فكل هذه الأمور تشير إلى أنّ أتباع العقائد المذكورة كانوا يرون الإنتقال إلى العالم الآخر بمثابة الأسفار فى هذه الدنيا التى ينبغى أن تشمل كافة تفاصيل ومقررات هذه الحياة. و الواقع يبدو هذا الموضوع أشبه بالطفل الذى يلد من رحم أمّه و كأنّه يعلم بلوازم السفر خارج الرحم فيصطحب معه مقداراً من الدم فى جوف الرحم بهدف عدم الموت جوعاً بعد القدوم إلى هذه الدنيا، فهل هذا الاسلوب من التفكير صحيح؟!. لكن و على كل حال فإنّ وجود مثل هذه الخرافات و الإنحرافات إن دلّت على شىء فإنّما تدلّ على إمتزاج الإلهام الفطرى بالجهل و عدم التعقل، وفى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۸ نفس الوقت فإنّه يختزن حقيقة تتمثل بإيمان البشر بالقيامة على ضوء الإلهام الباطنى، و إن إتخذ هذا الإيمان طابع الخرافة بفعل قصر النظر وضيق الأفق. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۹

نوافذ على العالم الآخر

كيف أزالت الأبحاث العلمية الحديثة أغلب الصعوبات التى كانت تبدو ماثلة فى طريق الحياة بعد الموت و التى كان يتصورها بعض ضعاف التفكير وضيقى الأفق أنّها من المحالات؟ فقد طرب ذلك الإعرابى فرحاً حين عثر على عظم رميم لإنسان لعله كان فريسة لحيوان مفترس، أو إستسلم للموت إثر موته عطشاً فى صحراء الحجاز القاحلة فصرخ من أعماقه «لأخصمن محمداً» و أثبت له إستحالة ما يزعم بخصوص إحياء الأموات. و لعله قد حدّث نفسه قبل ذلك: هل هناك من رأى أو سمع بفاكهة متعفنة ومن ثم فاسدة و جافة قد عادت فاكهة طرية غضة من جديد؟ أم هل هناك من سمع عودة هذا اللبن الذى ترتضعه الناقة من ثدى أمّها و قد أصبح جزءاً من لحمها و عظمها لبن مرّة أخرى و عاد إلى الثدى؟ ثم إنّ هذا العظم الخاوى اليوم سيصبح غداً تراباً ثم تنثره العواصف الرملية لهذه الصحارى الواسعة هنا و هناك بحيث لايبقى منه أدنى أثر، فأى عقل يرى أنّه سيعود ثانية على هيئة طفل جميل و فتى قوى و كهل فطن؟ إنّ مثل هذا الكلام لاينطلى سوى على المجانين! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۰ «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفى خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ...» «۱» و هكذا كانت مسألة الإيمان باللّه الذى لا يُرى تعدُّ من أعقد المشاكل التى ثقلت على أفكار أهل الجاهلية رغم سماعهم لزمزمة القيامة التى كانت تنبعث من داخل فطرتهم، إلّاأنّ ضوضاء جهلهم وصخبه كان يصادر لطافة تلك الزمزمة و يفقدها فاعليتها فى أنفسهم و لعل هؤلاء لايعلمون أنّ هذه التمرة الجافة والمتعفنة التى ضاعت فى طيات التراب قد تكون أصبحت جزءاً من الأرض عشرات المرات ثم ظهرت على غصن نخلة بعد أن إنطلقت من جذورها فنمت وتفتحت لتصبح ثمرة لذيذة طرية ثم جفت و وقعت ثانية على التراب، أو لبن النافة الذى أصبح لمرات جزءاً من رضيعها و ما إن مات و عاد تراباً حتى عاد إلى التراب فمر بجذور نبات أو شوكة ليصبح جزءاً من بدن ناقة أخرى ثم جرى فى عروقها لينتقل إلى ثديها و بالتالى يعود لبناً جديداً! و بالطبع فإنّ هذا الفكر الجاهلى الذى يرى إستحالة عودة الكائنات الحيّة وعدم إمكانية إعادة المعدومات لم يسود عقل عقل ذلك الإعرابى فحسب، بل قد يتجلى ذلك بصورة أخرى فى عقل فليسوف ليرى قضية «إعادة المعدوم» لو كانت هناك قيامة و معاد و إعادة المعدوم محال! إلّاأنّ الرقى و التكامل الذى بلغته العلوم الطبيعية- و خلافاً لما كان يتوقعه أصحاب النزعة المادية- قد أزاح الستار عن بعض الأسرار بحيث إتضحت على ضوء ذلك قضية المعاد و الحياة الأخرى بعد الموت بما لايدع مجالًا للشك. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۱ و فى الحقيقة فإنّ أعلام العلوم الطبيعية كالباحثين الذين يقفون كل يوم فى حفرياتهم على آثار جديدة تتعلق بالحضارات السابقة طبعاً قد يبذل هؤلاء الباحثون و المنقبون جهودهم بالبحث عن الأشياء القديمة والتحفية لغرض تحقيق بعض الأرباح المادية، لكن من المسلم به أنّ هناك آثاراً أخرى لهذه الجهود و التى تتمثل بالوقوف

على كيفية ظهور المدنيات السابقة و مدى مهارة بناء تلك المدنيات. توضيح ذلك: دلّ تقدم العلوم التجريبية لأول مرّة على عدم وجود الفناء المطلق والعدم التام بتاتاً بالنسبة لمواد العالم و الذى كان يستحوذ على عقول الكثير من القدماء، فقد أثبت العالم الفرنسى المشهور «لافوازيه» إنّ أى مادة فى الكون لا تفنى، بل مواد العالم تتحول دائماً من شيء إلى آخر، فلو أحرقنا شجرة ونثرنا رمادها فى الهواء، أو أشعلنا مقداراً من البنزين بأكمله بحيث لا تبقى ذرة منه، فليس هناك أى فارق يحدث فى المواد الموجودة فى العالم، و على أساس الفرض الأول فإنّ ذرات الشجرة تحللت و انتشرت فى الأرض والهواء فأصبح جزء منها رماداً و آخر تبدل إلى غازات كاربونية (مركب من كاربون الشجرة و اوكسجين الهواء) و لو توفرت الوسائل التى تقوم بجمعها من أتون أجزاء الأرض والسماء و فصلنا عنها اوكسجين الهواء ثم ركبنا بعد ذلك جميع الأجزاء لعادت تلك الشجرة الأولى دون أن ينقص منها حتى واحد بالألف من الغرام، و فى الفرض الثانى (الإحراق التام للبنزين) يتبدل جميعه إلى غازات يمكن إعادتها إلى البنزين الأول ثانية دون أى نقص من خلال جمع تلك الغازات و ترتيبها من جديد، و عليه فقد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۲ تقودنا حالة عدم الدقة التى نمارسها فنطلق جزافاً أنّ هذه الأشياء قد فنت، فى حين ليس هنالك شيء يفنى بل يتحول من شيء إلى آخر. و الواقع هو أنّ هذه العملية بالضبط كتبديل النقود من عملة إلى أخرى باسعار ثابتة- من قبيل تبديل الدولار إلى دنيار- فلم يحصل سوى تبدل شكل العملة و إلّا فقيمتها ثابتة ويمكن إعادة العملة الأخيرة إلى سابقتها فى أى وقت، و هذا ما عليه الحال بالنسبة لمواد العالم التى تتحول من شكل إلى آخر. و على هذا الأساس ففى قضية تشتت ذرات بدن الإنسان ليس هنالك شيء يفنى و يزول و قد ادخر فى صندوق توفير عالم الطبيعة ويمكن سحبها فى أى زمان. طبعاً هنا مسألة أخرى مطروحة و هى أنّ هذه الأجزاء قد تصبح أحياناً جزءاً من بدن إنسان آخر و يبدو أنّ ذلك يسبب بعض المشاكل بخصوص إعادة حياة الموتى، حيث يمكن أن تتصارع عدّة أرواح بغية الحصول على بعض الأجزاء المعينة حيث تدعى كل روح أنّ ذلك الجزء لها، إلّاأنّنا سنرى قريباً أنّ هذا خطأ محض و ليس هنالك أى صراع من هذه الناحية، و حتى لو فرض أنّ إنساناً إلتهم بدن إنسان آخر فليس هنالك أدنى مشكلة فى أمر معادهما. على كل حال فإن حسابات لافوازية صحيحة فى كافة المواضع سوى فى موضع واحد تفقد فيه المادة وجودها تماماً دون أن تتبدل إلى مادة أخرى وذلك فى إنقسام الذرات و الإنفجارات الذرية حيث تتحول فيها المادة إلى طاقة، و يعتبر أول من إكتشف ذلك لأول مرة «مادام كورى» و زوجها «بير كورى» أثناء مطالعتهما للأجسام الراديو كتيفية (الأجسام ذات التشعشعات الذرية و التى تكون ذراتها فى حالة تآكل وزوال). فقد إكتشفا عام ۱۸۹۸ فى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۳ مختبرهما فى باريس عنصراً جديداً يعرف بالراديوم و الذى يتصف بخاصية عجيبة تتمثل بفرزه دائماً للحرارة و الضوء، ثم توصل العلماء بعد عدّة تحقيقات فى هذا المجال إلى أنّ ذرات الراديوم فى حالة تآكل و زوال على الدوام، و فى الواقع فإنّ هذه الأجسام إنّما تفقد جزءاً من وجودها حين تنبعث من باطنها تلك الطاقة الحرارية و الضوء، و قد أدّى الإكتشاف الكبير إلى تعديل قانون بقاء المادة للعالم لافوازية فحلّ محلّه قانون «بقاء المادة- الطاقة»؛ أى ثبت أنّ مجموع مادة العالم و طاقته ثابتة ليست متغيرة و لاينقص منها مثقال ذرة، فتحول المادة إلى مادة أخرى و الطاقة إلى طاقة أخرى و المادة إلى طاقة ممكن، أمّا الفناء و العدم فليس له من سبيل إلى هذا العالم. و بناءاً على ما تقدم فليس فقط ذرات وجودنا فى هذا العالم لا تزول فحسب، بل هى محفوظة فى هذا الصندوق الكبير إلى جانب أفعالنا وأعمالنا و أقوالنا وتصرفاتنا و حتى أمواج أدمغتنا المغناطيسية التى تمثل بأجمعها صوراً وأشكالًا مختلفة للطاقة حين التفكير، و لو كانت لدينا الأجهزة و الوسائل الكافية لأستطعنا سحب كافة الأمواج الصوتية لأسلافنا ودورهم فى الحياة. و نعلم إنّ هذا العمل قد حصل بصورة مصغرة، حيث تمكن العلماء وبالاستفادة من بعض الأمواج الصوتية المتبقية على الظروف الخزفية لما قبل ألفى سنة حيث يحيون أصوات النحّاسين آنذاك و يسمعها الجميع. «۱» و تشير المطالعات على بدنة هذه الظروف الخزفية أنّه حين صنعها قد انتقشت الأمواج لصنّاعها عن طريق رعشات أيديهم على البدنة و بمساعدة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۴ ذلك تعود أصواتهم. أو ليست مثل هذه الأمور خطوات بارزة عريضة من أجل إثبات القيامة على ضوء الدليل العلمى! فلو كان ذلك الإعرابى حياً اليوم وإجتاز بعض المراحل الدراسية العليا لما كان مستعداً لأن يأتى بذلك

العظم الخاوی لیثبت إستحالة المعاد. بل لو لم یجتاز ذلک الإعرابی بعض المراحل الدراسیة العلیا و إکتفی بمشاهدة أجهزة تسجیل الأصوات و إلتقاط الأفلام السائدة فی عالمنا المعاصر، لما أمکنه کذلک إنکار المعاد. أفلا یدعونا ذلک إلی الإذعان علی عزار ما صرّح به آدولف بوهلر الکیمیائی المعروف قائلًا: «إنّ کل قانون یکتشفه الإنسان یقرّبه خطوة إلی اللّه، و کل قانون یکتشفه یقرّبه خطوة من القیامة و الحیاة الآخرة بعد الموت». *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۵ «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاکُمْ عَبَثاً وَأَنَّکُمْ اِلَیْنَا لَاتُرْجَعُون» «۱»

القیامة تهب الحیاة نکهتها

لا شک أنّ للإیمان بالقیامة و البعث آثاره فی شکل الحیاة البشریة، و لو لم تکن هناک من حیاة بعد الموت لکانت الحیاة فی هذا العالم جوفاء و تافهة لا قیمة لها. کان صوت حرکة الماء المنحدر بسرعة علی الأحجاز المبعثرة فی جرف النهر و الذی یتخذ أشکالًا حلزونیة حول الأشجار کصوت وقع الأقدام المعروفة التی تداعب قلبی و مشاعری فأشعر بالسکینة و الاستقرار، کانت لحظات ثمینة بالنسبة لی سیما أنّها کانت فرص نادرة، و لعلی سمعت کراراً من الکبار ذلک البیت الذی أنشده الشاعر المعروف حافظ الشیرازی حین تقع أعینهم علی عیون المیاه الجاریة و الینابیع و الأنهار و الذی یخاطب فیه نفسه: أن إجلس علی حافة النهر و انظر تصرم العمر و کأنّه یوحی إلینا بالاکتفاء بهذه البشارة حول نهایة العالم- فکانت هذه الکلمات بمثابة نسیم الربیع المعتدل الذی یهب علی شغاف قلبی، فرأیتنی أکرر تلک الکلمات مع المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۶ نفسی، فشعرت و کأنّی طرحت حملًا ثقیلًا عن روحی و تنفست بکل حریة، رغبت آنذاک بأن یکون لی جناحان فأحلق بهما کالطیور التی کانت تطیر وترفرف بأجنحتها فوق رأسی، ولکن لما کانت الحیاة تقتضی عدم إستقرار الذهن و البال فقد دار فی خلدی هذا الهاجس، رغم أنّ تشبیه إنقضاء العمر بمرور الماء یمثل أروع مثال یمکن بیانه بالنسبة للحرکة العامة و سرعة حرکة عالم الحیاة بل عالم الوجود الذی یأبی التوقف و السکون، إلّاأنّی فکرت مع نفسی لیت شعری ما هی البشارة التی یحملها تصرم العمر لنکتفی بها کدلالة علی إنقضاء العالم. لنفرض أنّی قطرة من ملایین قطرات ماء هذا النهر و قد نبعت من عین حسب قوانین الخلقة و قد إندفعت خلال هذه الأحجاز و الاشجار، ولکن ما عسانی أبلغ فی نهایة المطاف، قطعاً لایمکننی السیر إلی الأبد ... فالتفکیر بالمستقبل المجهول یؤرقنی، فهل سأتیه فی مستنقع متعفن ملیيء بالحیوانات الوضیعة ... ما هذه البشارة! و هل تبخرنا وسط الصحراء القاحلة آخر هذه السهول الواسعة المترامیة الأطراف یعد فخراً! أم سأعود مرّة أخری إلی ذلک البحر الواسع الذی نبعت منه فی البدایة دون أی هدف فأعیش حیاة مکررة و جوفاء! یاله من ألیم تصرم العمر هذا الذی آخره مثل تلک الأمور! سأغوص فی أعماق الأرض إلی جوار جذور شجرة و علی ضوء قانون «إسمز» أعبر قوة الجذب الأرضیة فأتسلق الأغصان بسرعة و أتنقل بین العروق اللطیفة الجمیلة و الزهور العطرة فأصبح فاکهة فانهمک فی صنع نفسی حتی أنضبح فتنقطع حاجتی إلی الغصن ثم أهبط من غصن الشجرة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۷ کرائد الفضاء الذی یقذف بصاروخه إلی کرات العالم، فاقع فی حضن إنسان مفکر و عالم جلس تحت الشجرة و هو مشغول بابداع مؤلف قیّم أدبی وعلمی و أخلاقی و فلسفی. فأجلب بلطافتی و طراوتی إنتباه ذلک العالم حتی أصبح جزءاً من بدنه فأواصل سعی و جهدی فی دمه و عروقه و أخترق الأغطیة الرقیقة والحساسة لدماغه فاتحول إلی أمواج فکریة مبدعة لخلق لوحة أدبیة وفلسفیة رائعة أو أتحول إلی إکتشاف علمی ممیز، ثم أصبح أثراً خالداً بعد أن یسطر فی قلمه علی صفحات کتابه، و هکذا أکتسب صبغة أبدیة فاوضع فی المکتبات فاحظی باستفادة الجمیع. فلو کان الأمر کذلک لکان هذا التصرم دافعاً لی نحو النشاط و الحیویة، وذلک لأنّ قطرة ماء لا قیمة لها قد إختلطت بوجود أکمل حتی تحولت آخر المطاف إلی أثر خالد. فأیة بشارة و فخر و إعتزاز أعظم من هذا! أما إن کان مصیری الفناء فی المستنقعات المتعفنة أو التبخر أو التطایر فی الهواء أو العودة العابثة إلی البحر فیاله من مصیر مؤلم و مفجع. فهل هناک من فارق بین مصیر أولئک الذین یرون الموت هو نهایة الحیاة ومصیر تلک القطرة من الماء؟ فهل یمکن أن یکون هناک من معنی صحیح لحیاتهم و مماتهم؟ هل الإقرار

بأصل المعاد و مواصلة الإنسان لتكامله بعد الموت و دخوله لعالم أسمى و أرفع لايمنح حياة الإنسان هدفاً و نماية؟ و يخرجها من عبثيتها؟ و من هنا نلاحظ أنّ عبثية الحياة من أهم القضايا التى تزعج إنسان المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۸ عصر الفضاء، و أفضل شاهد حى على ذلك الشعور المزعج هو ظهور بعض المدارس- إن أمكن تسميتها كذلك- الفلسفية الحديثة كالمدرسة المادية. و يعترف العلماء و المفكرون الذين يمتكلون رؤية صحيحة تجاه البلدان الصناعية التى رأوها أنّ شعوب تلك البلدان قد تغلبوا على مشاكل البطالة والأمراض و الكهولة و العجز و التعليم من خلال المعامل و المصانع الضخمة والإمكانات الصحيحة الهائلة و الأجهزة الثقافية إلى جانب الضمان و التقاعد و ما إلى ذلك، فالواقع هو أنّ حياتهم و حياة أولادهم مضمونة منذ الولادة حتى اللحظات الأخيرة للموت، مع ذلك فهم يألمون من عبثية الحياة ويرون أنفسهم يعيشون الخفة و الطيش. و لعل سر التنوع الذى ينشده عالم الغرب و مبادراتهم العجيبة هو الهروب من التفكير بشأن هذا الطيش و العبثية. و قد نلمس هذه الحقيقة فى تعبيرها الفلسفى ضمن المدرسة المادية التى تقول: ينفرد الإنسان من بين سائر الكائنات بإدراكه لمفهوم الوجود والعلم بوجوده، و كما كان الوجود أمراً بديهياً للإنسان فإنّ العدم يسود ذهن الإنسان مقروناً بتصوره للوجود، ففى الوقت الذى نشعر فيه بوجودنا أو وجود شيء آخر، كذلك من الواضح لدينا عدمنا أو عدم الشيء الآخر، و على هذا الأساس فالإنسان يشعر بوضوح بعدمه كما يشعر بوجوده، و ما إضطراب الإنسان و قلقه إلّانتيجة لهذا الشعور بالوجود و العدم، و على حد تعبير «سارتر»- العالم الوجودى- من هنا يتضح عبث الوجود و خوائه: لماذا جئنا للوجود، و ما سبب وجودنا؟ (ليس لدينا من إجابة على ذلك) ... فحين لايرى الإنسان من سبب لوجوده يشعر بغربته فى هذه الدنيا، إنّه يشعر بانفصاله عن سائر الأشياء و الأفراد، و الخلاصة فإنّ وجوده زائد لايرى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۹ لنفسه من موضع مناسب له. «۱» فلو كان للجنين فى بطن أمّه من علم و ذكاء دون أن يكون له حظ من علم خارج الرحم و فكر فى العيش فى ذلك الوسط لما تردد فى إتباع مدرسة سارتر. إنّه سيرى تلك الحياة المحدودة و المزعجة التى تدار بشكل تبعى لا تحمل أى هدف و غاية و عبثية تماماً، أمّا إن علم أنّه جاء من هناك ليستعد إلى حياة أخرى أوسع و أشمل، و أنّ هذه المدّة هى فترة تربوية خاصة لايمكن بدونها التمتع بحياة مستقله، و آنذاك سيرى معنى للحياة فى فترة كونه جنيناً. و لو أيقنا بأنّ المنزل الذى ينتظرنا لاينطوى على العدم، بل هو وجود بمستوى أرفع و إستمرار لهذه الحياة بآفاق أوسع و أنّ كافة الجهود والمساعى ستنتهى بالتالى إليه، فمن المسلم به أنّ الحياة ستخرج على هذا الأساس من عبثيتها و طيشها و تتخذ لنفسها مفهوماً جدّياً واضحاً. و بناءاً على هذا لابدّ من القول: إنّ الأثر الأول للإيمان بالحياة الآخرة بعد الموت و القيامة هو منح الهدفية و الغائية لهذه الحياة و إخراجها من العبثية. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۱

عامل تربوى مؤثر

عامل مؤثر واقى و عامل محرك قوى

كان أحد الشباب المتعلمين يقول: «أعتقد أنى أتمتع بضمير قوى، و لما كان ضميرى قوياً فإنّى ملتزم بأصول الحق و العدل، و من هنا فلا أرى فى نفسى من حاجة إلى الدين و التعاليم الدينية، فكل ما من شأنه أن يمنحنى الدين فى ظلّ الإيمان باللّه و الخوف من العقاب فى الدار الآخرة إنّما حصلت عليه فى ظل ضميرى الحى. و عليه أفلا تعتقدون أنّ الدين ضرورى بالنسبة لُاولئك الأفراد دونى درجة و الذين لايمكن إصلاحهم و يأكل بعضهم البعض الآخر دون إستنادهم إلى إيمان قوى و راسخ بالدين، أضف إلى ذلك فالإيمان قد لايستطيع أحياناً إصلاحهم، بل هم يعمدون إلى الحيل الشرعية بغية مواصلة أعمالهم الخاطئة وتحقيق بعض المنافع». طبعاً إنّنا نعلم بأنّ هذا الأسلوب من التفكير لا يقتصر على هذا الشاب، فهناك من بين الفلاسفة و المفكرين من يرى نفسه فوق الدين، و يعتقد أنّ الدين وسيلة تربوية مؤثرة بالنسبة للأفراد فى المستويات المتدنية، بينما هم فى غنى تام عن هذه التعاليم! لكنهم كأنّهم قد

غفلوا أنّ أعظم الجنايات المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۲ و الجرائم إنّما ترتكب على الدوام من قبل كبار الشخصيات و العلماء الأفذاذ و الأفراد من ذوى المستويات العالية، فهم الذين يصنعون القنابل الذرية والهيدروجينية، و هم الذين يخططون للحروب الألكترونية و بالتالى هم الذين يعينون خرائط الاستعمار السياسى و الاقتصادى للبلدان. و الخلاصة فهؤلاء العلماء و المفكرون هم الذين كانوا أداة طيعة بيد قوى الدنيا الشيطانية و هم الذين رسخوا دعائم الاستعمار و الاستبداد والغطرسة من خلال بيعهم لمعلوماتهم و إبداعاتهم و إستعداداتهم العالية، ولايختص هذا الموضوع بعالمنا المعاصر، فالأزمنة الماضية هى الاخرى كذلك حيث يطالعنا الكثير من الأفراد دائماً الذين يقفون إلى جانب الفراعنة ممن على غرار هامان وقارون العالم المقتدر الثرى و هو ابن عم موسى و ممثل فرعون فى بنى إسرائيل و قد كانت له ثروة طائلة يرى أنّه جمعها بعلمه وقدرته، كما كان العديد ممن على شاكلة عمروبن العاص و أبى هريرة إلى جانب معاوية. و بناءاً على ما تقدم فقد تكون حاجة العلماء و المفكرين و ذوى الاستعداد والمستويات العالية إلى الدين أكثر من غير هم بكثير، فهم الذين يسطيعون إشعال الدنيا أو سوقها إلى الصلح و السلام. أمّا الأفراد من ذوى المستويات المتدنية فعادة ما يأتمرون بأوامر هؤلاء فهم إلعوبة بيدهم و ضررهم أقل بكثير إذا ما قارننا انحرافهم بمن سبقهم. *** و لو آمن هؤلاء- و بصورة عامة كافة لبشرية- بأنّ الموت ليس نهاية الحياة، بل هو بداية حياة جديدة و كل ما فى هذه الحياة الدنيا هو مقدمة لها لاكتسب كل شىء طابع الأبدية، و سوف لن تفنى الأعمال و الأقوال والحسنات والسيئات، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۳ و هذه هى الأمور التى ترسم معالم حياتنا الخالدة التى تنتظرنا فإمّا تمنحنا الطمآنينة و السعادة أو الاضطراب و الشقاء، و الأمر بالضبط كالجنين إن كان له عقل و قد قصر فى صنع نفسه خلال تلك المدّة القصيرة من عمره فى بطن أمّه و التى تعتبر فترة بناء الجسم و الروح، فإنّ عليه أن يتحمل العواقب الوخيمة لعمر مديد (قد يستغرق مئة سنة مثلًا) و يذوق الألم والمعاناة و هكذا الحال بالنسبة للإنسان إنّ قصر فى صنع نفسه و تهذيبها فى هذه الحياة الدنيا و كبّدها مختلف العيوب و الأمراض الأخلاقية و النفسية فإنّ عليه أن يتحمل العذاب الأليم و شدته فى عالم ما بعد الموت. و من شأن هذا الإعتقاد أن يقلب حياة الإنسان رأساً على عقب، كونه يشكل درساً تربوياً عالياً ينهض بتربية روح الإنسان و نفسه، و يحول دونه ودون كل تلك الجنايات التى يمكن أن تصدر من إنسان مادى يعتقد أنّها تفنى و تزول جميعاً بفنائه و زواله. فالإعتقاد بعالم ما بعد الموت و بقاء أثر أعمال الإنسان يمكنه أن يكون عامل وقاية متين إزاء الذنوب و المعاصى، كما يمكنه أن يكون عاملًا مقتدراً للحركة و للحث على الاستثمار المادى و المعنوى فى سبيل خدمة الخلق. لا شك أنّ آثار الإيمان بعالم ما بعد الموت ليفوق بدرجات دور المحاكم وقوانين العقوبات الاعتيادية و المكافئات و التشجيعات العادية فى إصطلاح الأفراد الفاسدين و المنحرفين و تشجيع الأفراد المضحين و المجاهدين، وذلك لأنّ من خصائص محكمة العدل الإلهى فى القيامة هو خلوها من الاستئناف والتمييز و لا الواسطة، كما لايمكن تشويش أفكار القضاة من خلال طرح الوثائق المزيفة و ممارسة الكذب و الخداع، كما تخلو من الروتينيات و التشريفات التى تدعوا إلى الإطالة، بل و كما سنذكر ذلك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۴ بصورة مفصلة أنّ الثواب و العقاب فى ذلك العالم يشبه إلى حدّ بعيد الآثار والخواص الطبيعية؛ يعنى كما لايخطىء الدواء الشافى أو السم القاتل فى تأثيره و لا تجدى الرشوة و التوصية عليه شيئاً و لا تغيّر من تأثيره، فإنّ أفعال الإنسان و أعماله بنفس هذه الكيفية فى العالم الآخر بعد الموت، هذا من جانب. و من جانب آخر فليس هنالك من معنى للتشجيع فى المحاكم العادية لهذا العالم- التى تنطوى على آلاف العيوب- مثلًا إذا لم ينتهك فرد حرمة القانون لخمسين عاماً ولم يرتكب و لو مخالفة صغيرة، فليس هنالك من ثواب لالتزامه بالقانون، يعنى ليس هناك من ثواب ليعطيه. و عليه فالضمانة الإجرائية لهذه القوانين أحادية الجانب: أى أنّه يتّجه دائماً صوب من ينتهك حرمة القانون، لاصوب ذلك الذى يحترم القانون ويلتزم به، والحال ضمانة التطبيق فى الدين ثنائية، فهناك كفة الثواب التى تعدل بثقلها كفة العقاب. فمما لاشك فيه أنّ من يؤمن بذلك العالم يكون غاية الجدية فى إصلاح نفسه و الإتيان بمختلف الأعمال الثقيلة و المعقدة، و كذلك و على غرار الفرد العالم بخصائص الأدوية المشفية و القاتلة فهو شديد الرغبة فى الأول عظيم الخشية من الثانى، فإذا ما أراد أن يقدم على عمل مهما كان حسب آثار ذلك العمل وتمثلها أمام عينيه. و هكذا يكون فى حالة مراقبة تامة و دقيقة

دائمية على نفسه، بحيث يسيطر عليها و يحول دونها و دون مقارفة الجرائم و الجنايات و المفاسد.*** إنّ الإيمان بهذه الحقيقة يبلغ بالإنسان درجة يجعله يقول: «وَ اللَّهِ لَأَنْ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۵ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَ غَاصِباً لِشَيءٍ مِنَ الْحُطَامِ» «۱» و مثل هذا الفرد يحمى حديدة و يقربها من أخيه- ذلك الأخ الذى سأله الزيادة من بيت المال و التمييز بين الأفراد فى العطاء- فيضج منها ويصرخ، فيخاطبه ناصحاً «أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَ تَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ» «۲» و لما إقترح عليه بعض الأفراد من قصار النظر ترسيخ دعائم حكومته من خلال التمييز العنصرى بين صفوف المجتمع الإسلامى قال: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بَالْجَورِ فِيْمَنْ وُ لِّيْتُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَاأَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً» «۳» حقّاً كيف ستصبح الدنيا لو أضاء بصيص من الإيمان القاطع فى قلوب كافة زعماء العالم و الأفراد من بنى البشر؟ فهل سيبقى فيها من أثر لهذه الأنانيات و الاستبدادات و الظلم والانتهاكات و التجاوزات؟ *** و من هنا تسعى كافة الأديان السماوية لبذل كافة الجهود من أجل تربية الأفراد و إصلاح المجتمعات من خلال إحياء الإيمان بعالم ما بعد الموت فى قلوب الناس، و لاسيّما القرآن الكريم الذى أفرد جزءاً مهماً للمسائل التربوية من خلال سلوك هذا السبيل، و عليه فليس من العجيب أن ترد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۶ الإشارة إلى هذا الأمر لأكثر من ۱۴۰۰ مرّة فى القرآن، و إليك بعض تلك النماذج. ۱- صرّح القرآن الكريم بأنّ الإيمان و اليقين القطعى بذلك اليوم العظيم يكفى فى تربية الإنسان، بل للظن أيضا دوراً عظيماً بهذا الشأن: «الا يَظُنُّ اولَئِكَ انَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوم عَظِيم* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» «۱» ۲- أكد القرآن الكريم فى مختلف المواضع أنّ «الأمل» و «الرجاء» بذلك العالم يكفى الإنسان فى عدم الطغيان و ترك اللجاجة إزاء الحق و الإتيان بالعمل الصالح، و هنا ينبغى الالتفات إلى أنّ القطع و اليقين لم يتطرق إلى مفهوم الأمل و الرجاء «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً» «۲» «وَقَالَ الَّذِينَ لَايَرْجُونَ لِقَائَنَا لَوْلَا انْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنَا» «۳» ۳- ورد فى القرآن الكريم أنّ لأعمال و أقوال الإنسان صفة الأبدية، وكلها ستحضر يوم القيامة و تكون مع الإنسان: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» «۴» كما أكّد فى موضع آخر: «وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً» «۵» و هكذا يتبلور فى أعماق روح الإنسان؛ الإنسان الذى يؤمن بالحياة بعد الموت قبس كبير من الشعور بالمسؤولية تجاه جميع أحداث الحياة ووقائعها.*** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۷

القيامة فى باطنكم

إنّ هذه المحكمة التى يتحد فيها القاضى و الشاهد و منفذ الأحكام والتى تستقر فى أعماق أرواحنا جميعاً هى نموذج حى على محكمة العدل الإلهى فى القيامة و البعث. و اليوم حين يراد إنشاء بناية أو مصنع فانّهم عادة ما يصنعون مسبقاً نموذجاً مصغراً يشتمل على كافة مشخصات و مواصفات تلك البناية الضخمة أو المصنع الكبير ليكون مثالًا و نموذجاً يحتذونه فى عملهم وهو ما يصطلح عليه بالمجسمة. و الإنسان أعجوبة عالم الخلقة هو مجسمة صغيرة جدّاً و مختصرة للعالم، مع فارق هو أنّ هذه المجسمة قد أعدت بعد كل ذلك، لأنّ صانعها ومصممها لم يعدها على غرار الصانعين من الأفراد بهدف تلافى الأخطاء بسبب علمهم المحدود، فالمفروغ منه أنّ الصغر و الكبر يجرى علينا بفضل محدوديتنا، بينما هما سيّان بالنسبة لمن كان مطلقا و لامتناهياً فى علمه وقدرته. و العجيب فى هذه المجسمة الإنسانية أنّها حملت نموذجاً دقيقاً لكل شيء بما فى ذلك الأسرار و القوى و العجائب و الدوافع و المنظومات و الكواكب والحيوانات بخلقها و طبائعها و الملائكة بروحياتها و هكذا كل شيء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۸ قد أختصر فيها، و ما أروع تلك العبارة التى وردت فى الشعر الذى ينسب إلى أميرالمؤمنين على عليه السلام أنه قال: «و تزعم أنّك جرم صغير و فيك إنطوى العالم الأكبر!» لقد ظهر اليوم مشروع للاستفاده من المايكروفيلم فى مكتبات العالم الضخمة بهدف حل مشكلة مكان الكتاب، فمثلًا يمكن حشر كبار المكتبات فى صندوق من خلال استعمال أفلام غاية فى الصغر، فإذا برزت الحاجة كبّروا تلك الأفلام بمجاهر خاصة ليتمكنوا من مطالعة مايريدون، و كأن هذا الإنسان بمثابة ذلك المايكروفيلم لمكتبة الخلق العظيمة، و كفاه ذلك فخراً. و هذا تشبيه

رائع بين كبير العالم و صغيرة و الذى أخذ يتضح أكثر فأكثر بوسطة التطور و التقدم الذى أحرزه العلم، و إنّنا لنرى نماذج أصغر من ذلك فى سائر موجودات العالم. البنية المذهلة للذرة هى مجسمة للمنظومة الشمسية العظيمة بتلك السيارات و الحركة الدورانية العجيبة، و المنظومة الشمسية بدورها مجسمة للمجرّات و كذلك بُنية الخلية التى لايمكن الوقوف على جماليتها و روعتها إلّا بالمجهر مجسمة لبُنية الشجرة و الحيوان و الإنسان. البذرة الصغيرة للزهور و الخلية الحيّة الكامنة إلى جوار كل نواة، والنطفة الصغيرة المعلقة فى صفار البيضة، كل واحدة منها نموذج لطيف وجميل لباقة ورد أو شجرة عملاقة مثمرة أو دجاجة جميلة، فكل ما كان فى تلك النماذج موجود فى هذه و لابدّ أن يكون كذلك، أو ليس عالم الوجود وحدة واحدة متصلة مع بعضها؟ إن هذا التشابه بين العالم الصغير (الإنسان) و العالم الكبير يجعلنا نلتفت إلى أنّ كل ما فى العالم الكبير يوجد نظيره فى الإنسان، و العكس بالعكس، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۹ فما كان فى الإنسان يلفت نظرنا إلى وجود شبيهه فى العالم الكبير (إحتفظ بهذا فى ذهنك). *** يوجد فى باطن الإنسان محكمة صغيرة يصطلح عليها اليوم «الوجدان» ويسميها الفلاسفة «العقل العملى» و وردت على لسان الآيات القرآنية باسم «النفس» أو «النفس اللوامة» و يطلق عليها العرب إسم «الضمير»، و حقاً إنّها لمحكمة عجيبة لا تعدلها كافة محاكم الدنيا بكل أجهزتها وأبهتها وعرضها وطولها. محكمة يتحد فيها «القاضى» و «الشاهد» و «منفذ الأحكام» و «الحاضر» وهو ما اصطلحنا عليه بالوجدان. و هذه المحكمة و خلافاً للمحاكم الصاخبة التى قد تطلب أصول المحاكمات فيها خمس عشرة سنة، فهى لا تحتاج إلى الوقت، نعم قد تطلب ساعة أو دقيقة أو لحظة ليتم فيها كل شىء. ليس هنالك من سبيل للاستئناف و التميز و إعادة النظر و الديوان العالى والتى تفيد جميعاً عدم الوثوق بممارسات المحكمة السابقة إلى هذه المحكمة، فلأحكامها مرحلة واحدة فقط، ولاغرو فالثقة و الإعتماد هى الحاكمة هنا. ليس فيها الانحرافات التى تشوب أعمال القضاة فى المحاكم الرسمية من قبيل الخوف من المسؤولين و الانفعال بالوصايا و الوساطات و إصدار الأحكام لصالح هذا و ذلك بعيداً عن العدل و الإنصاف و الإغترار بالرشوة والأموال و ما إلى ذلك، نعم، العيب الوحيد فى هذه المحكمة أنّه يمكن إستغلال صفائها وطهرها و بالتالى خداعها و تصوير الحق لها باطلًا و العكس المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۰ بسبب عدم عصمتها و محدودية علمها و معارفها مهما بلغا. و من هنا نقول إنّ الضمير بمفرده لايمكنه أن يحّل محل الدين، مع ذلك فلعل إنحرافه لايتجاوز الواحد بالألف مقارنة بالانحرافات التى تخترق المحاكم البشرية. *** و من مميزات هذه المحكمة أنّها تعاقب المجرمين و كذلك تكرم المحسنين، خلافاً للمحاكم الرسمية التى لا أحظى فيها بكلمة شكر ولو إلتزمت لمئة سنة بالقوانين و لم أنتهك حرمتها، بل حتى لو خلت صحيفة أعمالى من أدنى مخالفة، فمثل هذه المحكمة ليس من شأنها التعامل مع الأعمال الحسنة و تقتصر وظيفتها على معالجة الأعمال السيئة. القضية الأخرى التى تميز هذه المحكمة عمّا سواها هو أنّ عقابها ينبعث من باطن الإنسان و هو على درجة من الشدّة و الألم بحيث قد تضيق الدنيا برحابتها وسعتها على هذا الإنسان فتكون أضيق عليه حتى من الزنزانة الإنفرادية. قد يكون ذنب الإنسان أحياناً كبيراً للغاية فيشتد عذابه حتى يكاد يعيش الجنون، بل قد يعانى من و طأة ذلك العذاب حتى يتمنى معه الإعدام أملًا فى الخلاص من لهيب ذلك العذاب الذى قد لا تطيقه الجبال بينما لايراه من أحد. إلى جانب ذلك فإنّ ثواب هذه المحكمة أيضاً على درجة من الجلال والعظمة بما لايمكن وصفه و هذا ما نصطلح عليه بسكينة الضمير حيث ليس لدنيا مفردة أخرى تبلغ ذلك الوصف. يقال: إنّ أحد أسباب إتساع الأمراض النفسية فى عصرنا يعزى إلى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۱ إستفحال الخطيئة فى أوساط المجتمعات المعاصرة، فالآثمون مهما تخلصوا من بعض الأمور فإنّه لايسعهم الخلاص من عذاب الضمير و تأنيبه، و ما هذه الأمراض النفسية المختلفة إلا- إنعكاسات لذلك العذاب و التأنيب. إنّنا لنعرف الكثير من الشخصيات السياسية المعروفة التى تفقد جميع قواها و طاقاتها خلال مدّة قصيرة و تستسلم للموت لمجرّد سقوطها ممّا كانت تحظى به من مقامات و مناصب. و لعل أحد العوامل المهمّة لذلك هى أنّهم حين كانوا يتصدون للأعمال لم يكونوا يصغون لصوت الضمير- تجاه المخالفات التى كانت تسود حياتهم- أمّا الآن و قد تبخر ذلك الصخب و النشاط فقد أخذت محكمة الضمير تشدد خناقها عليهم فأخذوا يترنحون على ضربات عذابها الموجع. هذه بعض النماذج البسيطة التى تتميز بها هذه المحكمة العجيبة والتى أسميناها الضمير.

*** فهل يمكن التصديق بوجود مثل هذه المحكمة و بهذه الأجهزة لدى هذا الإنسان الصغير بينما تنعدم مثل هذه المحكمة فى هذا العالم الواسع من أجل النظر فى أعمالنا صالحها و طالحها؟ أو لا تلفت نظرنا هذه المحكمة الصغيرة إلى باطن هذا العالم العظيم الذى يضم محكمة عظيمة تسع هذا العالم و بعظمة خالقه الجبار، و التى لا تعرف للعيب و النقص من حدود، و لابدّ أن يحضرها الجميع يوماً ليرى ما بدر منه من أعمال ربّما يكون نساها إلّاأنّها محفوظة هناك حيث لايضيع شىء و لاينسى شىء، و عقابها نار أرعب و أوجع من نار الضمير و ثوابها أكبر و أعمق من ثوابه و لكل حسب سعيه و عمله؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۲ قطعاً مثل هذه المحكمة كائنة فى ذلك العالم الكبير و التى يمكننا تسميتها بضمير العالم. *** و لعل هذا هو السبب الذى قرن محكمة الضمير بالحديث عن البعث والقيامة العظيمة التى وردت فى القرآن الكريم: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ* وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ* ايَحْسَبُ الِانْسانُ الَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّىَ بَنَانَه» «۱». فقد قرنت المحكمتان مع بعضهما فى هذه الآيات القرآنية. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۳

القيامة ردود على الألغاز

اشارة

لو قطعنا رابطة هذه الحياة من عالم ما بعد الموت، لأصبح كل شىء على هيئة لغز و لتعذر علينا الردّ على أكثر التعليلات.

العالم فى عين فرخ!

نريد أن نتعرف على مفهوم الحياة و الماضى و المستقبل و كذلك عالم الوجود من زاوية نظر «فرخ» لم يخرج لحدّ الآن من البيضة و يرى العالم: «آه! ياله من سجن صغير، لا أستطيع تحريك يدى و رجلى ... لا أدرى لم خلقنى خالق العالم لوحدى، و لم خلق الدنيا بهذا الصغر والضيق، ماذا ينفعه سجن وحيد، و ما عساه أن يحل مشكلة؟ لا أدرى مم صنع جدار هذا السجن، كم هو محكم و أصم لعل سرّ ذلك عدم سراية موج العدم المخيف من خارج هذا العالم إلى داخله، لا أدرى .... آه! لقد نفد غذائى الرئيسى من الصفار (المح) تماماً و الآن أتغذى على الزلال، و لعله سينفد سريعاً فأموت جوعاً و تنتهى الدنيا بموتى، ياله من عبث ولغو و دون طائل خلق هذا العالم مع ذلك فهو يستحق منّى الشكر، فقد منحنى العزّة حيث خلقنى وحدى و أنا صفوة العالم! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۴ قلبى هو مركز هذا العالم و أطراف بدنى هى شماله و جنوبه و شرقه وغربه! ... إنّى لأشعر بالفخر و الإعتزاز من تصور هذا الأمر، لكن ما الفائدة فليس هنالك من يشاهد كل هذا المجد و يبارك لهذا الموجود صفوة الخلق! آه لقد برد الجو فجأة (لقد نهضت الدجاجة بضع لحظات من البيضة من أجل الحب و الماء) لقد إجتاح البرد الشديد جميع محيط السجن و قد دبّ فى عظمى، آوه، إنّ البرد يقتلنى، لقد شع نور عظيم من حدّ العدم فى باطن هذا العالم فأضاء جدران سجنى، أظن قد حانت اللحظة الأخيرة للدنيا و قد أشرف كل شىء فى هذا العالم على نهايته، أنّ هذا الضوء الشديد المؤذى وهذه البرودة القارسة تكاد تقتلنى. آه! كم كان عبثياً هذا الخلق و سريعاً لاهدف له و لاطائل من وراءه، ولادة فى السجن، و موت فى السجن، ثم لا شىء! ... بالتالى لم أفهم «من أين جئت، و كيف كان!» ... آه! يا إلهى، لقد زال الخطر (عادت الدجاجة ثانية لتنام على البيضة) بدأت تدبّ الحرارة فى عظمى، و قد زال الضوء الخاطف و القاتل، أشعر باطمئنان كبير، كم هى لذيذة هذه الحياة! يا ويلى زلزلة! أصحبت الدنيا كن فيكون (تقوم الدجاجة بتقليب البيوض تحت أقدامها للحصول على حرارة متساوية) لقد هز جميع عظامى صوت ضربة قوية مرعبة، إنّها لحظة نهاية الدنيا و سينتهى بعدها كل شىء، أشعر بالدوار و أعضاء بدنى ترتطم بجدار السجن، و كأنّه قدر لهذا الجدار أن يتحطم و يقذف بعالم الوجود بغتة فى وادى العدم الرهيب ... إلهى ما الذى يحدث! آه! ياإلهى، لقد حسنت الأوضاع وها أناذا أشعر بالإستقرار؛ فقد زالت المعاد و عالم

الاخرة، ص: ۶۵ الزلزلة، و عاد كل شيء إلى سكونه، لم يكن لهذه الزلزلة من أثر سوى أنّها غيرت قطبى العالم فقد أصبح القطب الشمالى جنوباً و الجنوبى شمالًا! إلّا أنّ الأوضاع أصبحت أحسن من السابق، شعرت لمدّة بحرارة شديدة فى رأسى و على العكس كان البرد دبّ فى يدى و رجلى، و الآن عاد الاعتدال و التوازن. كأنّها لم تكن زلزلة، بل كانت حركة للحياة! (مرّت عدّة أيّام على هذه الحالة) آه! لقد نفد غذائى تماماً، حتى أنّى لعقت كل ما فى جدار السجن ولم يبق شيء ... خطر، هذه المرة، جدى ... إنّها نهاية الدنيا، و قد فغر الموت والفناء فاه على مقربة منّى. حسناً دعنى أموت، لكن لم يعلم بالتالى الهدف من خلق هذا العالم و من هذا المخلوق السجين الوحيد؟ ياله من عبث! كم هو لغو! لا طائل من وراءه! ولادة فى السجن و موت و فناء فى السجن، «لست راضياً بهذه الخلقة، كانت مفروضة!». آه! إنّ الجوع قد أخذ مأخذه منّى، لقد فقدت توازنى و الموت يلاحقنى، كأنّ هذا السجن بكل بؤسه هو أفضل من العدم، جاءنى خاطر، كأنّى بصوت ينطلق من أعماقى إضرب بمنقارك و بشدّة جدار السجن! يالها من فكرة خطيرة! أفيمكن ذلك. هذا إنتحار، هذا آخر الدنيا، هنا الحد الفاصل بين العدم والوجود ... لكن لا، لعل هناك خبراً آخر و أنا لا أعلمه ... أنا محكوم بالموت، دعنى أموت بعد جهد. لقد إشتد هذا الصراخ فى أعماقى و هو يناديني حطم الجدار ... آه! لعلى أمرت بقتل نفسى ... على كل حال ليس لى من سبيل سوى طاعة ذلك النداء الباطنى (هنا يشرع الفرخ بالضرب بمنقاره الغطاء الشفاف للبيضة). إضرب بقوة ... بقوة أشد ... لاـ تخف! أكثر قوة! ... المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۶ آوه! تحطم جدار الوجود و العدم، مرّت من هذه النافذة عاصفة إلى باطنها، لا نسيم لطيف و منعش، لقد تجددت حياتى! لقد تغير كل شيء، إنّ الأرض والسماء فى حالة تبدل و تغيّر، لابدّ من الطرق بقوة أكثر! لابدّ من تحطيم هذا السجن تماماً ... آه! يا إلهى ياله من جمال! ... ياله من ساحر! ... ياله من واسع! ياله من كبير! يالها من كواكب رائعة! ياله من ضياء لطيف! إن عينى تمتلىء بالضوء، يالها من أزهار! يالها من أنغام! ... أى أمٍّ حنونة لدى! ... ما هذه الأطعمة المتنوعة و المختلفة! ... ما أكثر مخلوقات اللّه! ... آه كم أنا صغير و هذا العالم الكبير! كيف أكون مركز العالم! لست أكثر من ذرة غبار معلقة فى فضاء واسع ... الآن فهمت لم يكن ذلك المكان سجناً، كان مدرسة، كان مؤسسة تربوية، كان وسطاً تربوياً عظيماً أعدنى للعيش فى هذا العالم الواسع الجميل، الآن بدأت أفهم المعنى الذى تنطوى عليه الحياة، و ما هدفها و ما هى برامجها ومشاريعها، الآن أستطيع القول بقوة كم كانت قياساتى بسيطة بينما كبيرة جدّاً هى مفاهيم هذا العالم، و قد كنت فى حلقة صغيرة ضمن سلسلة طويلة، و هناك حوادث لا تعرف بدايتها من نهايتها، و الحال كنت أرى كل شيء منحصراً فى تلك الحلقة التى تخلص فيها البداية و النهاية. الآن عرفت أنّى فرخ صغير، و أصغر ممّا يتصور. *** كان ذلك شكل عالم الوجود على ضوء رؤية فرخ سجين. أفلا نتصور كذلك هو الأمر لهذا العالم الذى نعيش فيه إزاء العالم الذى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۷ يعقبه؟ هل هناك دليل يقوم على نفى ذلك؟ لقد صور التأريخ مدى الإيرادات الضخمة التى طرحتها المدارس المادية إزاء خلق الإنسان، وبصورة عامة خلق العالم و كذلك المصائب و المعاناة و الآلام و الويلات التى يواجهها الإنسان طيلة عمره القصير، و أفضل نموذج على ذلك ما أورده الشاعر العربى المادى النزعة المعروف «إيليا أبو ماضى» و الذى يختتم فيه أحد أشعاره باللازمة «لست أدرى». كما نشاهد شبيه ذلك فى أشعار الشاعر الفارسى المعروف «بهمنى». إلّاإنّنا نعتقد بأنّ أغلب هذه الإشكالات هى وليدة المطالعات المحدودة فى الدنيا المادية لهذا العالم و الانقطاع عن الحياة القادمة و عالم ما بعد الموت، وهى بالضبط كتلك التى أوردها الفرخ الذى لم يخرج بعد من بيضته، و قد مرّ علينا جانب من شعوره و حسابه للأمور. طبعا إذا أغضضنا الطرف عن القيامة و حياة ما بعد الموت فسوف لن نمتلك إجابة على كثير من التعليلات، أمّا إن نظرنا إلى هذه الحياة بصفتها حلقة تكاملية وسط سلسلة طويلة من التكاملات لتغير الحال و لحلت أغلب المسائل العالقة من خلال إرتباط حاضر الحياة البشرية بمستقبلها، و أمّا قولنا أغلب المسائل- لاجميعها- فذلك لأنّ بعض هذه المسائل من قبيل الآلام و المصائب و الويلات إنّما تنبثق عادة كنتيجة لأعمالنا أو نظامنا الاجتماعى الفاسد أو الحركات الاستعمارية أو الضعف و الوهن و الكسل، وهى الأمور التى ينبغى التفتيش عن عواملها فى كيفية الأنشطة الفردية والاجتماعية و العمل أجل إزالتها. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۹

القيامة فى الكتب السماوية

اشارة

جهد «اليهود» إثر غرقهم فى الماديات وسجودهم للثروة فى محو آيات القيامة ليتسنى لهم مواصلة أعمالهم دون تأنيب من ضمير. و أمّا «النصارى» فقد إقتعلوا الآثار التربوية للإيمان بالقيامة على ضوء مسألة الفداء و الخلاص بواسطة السيد المسيح عليه السلام و صكوك غفران القساوسة. لقد تضمنت رسالة الأنبياء و المفكرين إلفات إنتباه الإنسان إلى أمرين والإجابة على لغزين؛ هما بداية الخليقة و نهايتها و بعبارة أخرى «المبدأ» و «المعاد». و من المسلم به أنّ فهم معنى الحياة لايتيسر دون فهم الأمرين المذكورين، و كذلك يتعذر دون فهمهما المعرفة الواقعية للعالم. و التربية بمعناها الحقيقى- يعنى التربية التى لا تقتصر على التشريفات وآداب الضيافة و أسلوب تناول الطعام و مجاملة الأصدقاء و ما إلى ذلك، بل تلك التى تتجاوز سطحية الحياة و تغوص فى أعماق حياة الإنسان وروحه- فنحتاج إلى حلّ هاتين المسألتين؛ يعنى الإلتفات إلى جهاز المراقبة الذى يحكم الإنسان و التوجه إلى الثواب و العقاب و تكامل الإنسان و سقوطه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۰ على ضوء أعماله. و عليه فليس هناك أى كتاب سماوى و لا نبى إلّاوقد إستندت دعوتهإلى الموضوعين المذكورين، ولكن دفع الجهل و قلّة العلم بالكتب و إمتداد يد التحريف إلى الكتب السماوية قد شوه صورة القيامة عن واقعها الصحيح. و لا بأس أن نعرض هنا إجمالًا إلى مضامين تلك الكتب وتسليط الضوء على بحث القيامة الوارد فيها بغية إحراز بعض الفوائد.

الكتب التاريخية بدل الكتب السماوية

ينبغى الإلتفات هنا إلى أنّ الكتب المقدسة لليهود و النصارى اليوم هى كتب مقدسة فقط كما يرونها، لا أنّها كتب سماوية، و من هنا فهم لايصطلحون عليها بالكتب السماوية، فإنّنا لانجد يهودياً و لانصرانياً واحداً يقول أنّ هذا الكتاب هو ذلك الوحى السماوى الذى نزل على موسى وعيسى عليهما السلام، بل يعترف الجميع بأنّ هذين الكتابين قد خطّا بعد هذين النبيين العظيمين من قبل حواريها و أتباعهما و إن تضمنت هذه الكتب شيئاً من الوحى السماوى، و من هنا فقد ورد فيها الكلام عن سيرة المسيح عليه السلام و موسى عليه السلام و حتى الحوادث التى وقعت بعدهما. توضيح ذلك: العهد القديم (الكتاب المقدس لليهود) و يشتمل على ۳۹ كتاباً خمسة منها المسماة بأسفار التوراة، فنقرأ على سبيل المثال فى الفصل الآخير من السفر الخامس- و الذى يسمى بسفر التثنية- فموسى عليه السلام عبداللّه و قد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۱ توفى حسب قول اللّه فى أرض «مواب» و قد دفن فى أرض مواب أمام يعور ...» فهذه دلالة واضحة على أنّهم كتبوه بعد وفاة موسى عليه السلام. وسبعة عشر كتاباً منها تسمى «مكتوبات المؤرخين» حيث جاء فيه كما يفهم من إسمه تأريخ الملوك و السلاطين و ما إلى ذلك، و السبعة عشر كتاباً الباقية تحمل عنوان مكتوبات الأنبياء و رسل بنى إسرائيل و سيرتهم و بيان قصار كلماتهم و مواعظهم و مناجاتهم. و أمّا كتاب العهد الجديد (الكتاب المقدس للنصارى) فيشتمل على ۲۷ كتاباً، أربعة منها هى الأناجيل الأربعة و التى كتبت من قبل تلامذة السيد المسيح عليه السلام أو تلامذة تلامذته. و إثنان و عشرون منها هى الرسائل التى بعث بها بولس و سائر رجال النصرانية إلى المناطق المختلفة، و الكتاب الأخير هو مكاشفات يوحنا الذى يشرح مكاشفاته على كل حال فإن هناك فارقاً واضحاً بين العهد القديم و الجديد، و هو كثرة الكلام فى كتب اليهود عن الدنيا وقلّته و ندرته عن القيامة! و الحال ليس الأمر كذلك فى الإنجيل فالحديث يبدو كثيراً نسبياً عن القيامة و العالم الآخر الذى يعقب الموت و الثواب و العقاب، حتى صرّح «المستر هاكس» الأمريكى كاتب «قاموس الكتاب المقدس» قائلًا إنّ أفكار اليهود فى بعض المسائل المتعلقة بعالم ما بعد الموت مجهولة و غير واضحة تماماً. و كل الذى يمكن قوله مع أخذ بنظر الاعتبار الوضع الخاص الروحى لليهود هو أنّهم- اليهود- يشتهرون من بين كافة أقوام العالم بماديتهم وأنانيتهم وركوعهم للثروة دون أى قيد و شرط حتى قيل أن إلههم هو

المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۲ المال، و حين إمتدت أيديهم إلى تحريف كلمات الأنبياء و تعاليمهم فما كان فى الدنيا وماديّاتها أثبتوه، و ما كان فى القيامة و عقاب أصحاب الدنيا و الظلمة و الآثمة حذفوه منها، فهم لايقتصرون على تحريف أخبار العالم لصالحهم، بل لايتورعون حتى عن تحريف كلمات الأنبياء و الكتب السماوية! و قد وردت فى القرآن الكريم بعض الآيات التى تشير إلى طبيعة اليهود الذين عاصروا النبى صلى الله عليه و آله و مدى حرصهم على الحياة المادية: «وَ لَتَجِدَنَّهُمْ اَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيوةٍ» «۱» .و هذه هى الروحية التى تلمس فيهم اليوم كما الأمس، كأنّها أصبحت جزءاً من دمهم و طبيعتهم على مرور الزمان، و هذا مايفسر سلوكيتهم وتشردهم فى الماضى و مدى لجاجتهم فى العصر الراهن، و لانرى أنّهم سيخرجون من دوامتهم إلّاأن يعيدوا النظر فى حياتهم و يمدوا يد السلام إلى شعوب العالم ولايقتصرون بالقيمة و القدسية على المادة فقط، على كل حال رغم عدم إهتمام كتب العهد القديم بقضية القيامة فإنّ هناك تعبيرات واضحة يمكن مشاهدتها بهذا الخصوص، نعرض الآن إلى بعض نماذجها. ۱- نقرأ فى الكتاب الأول لصاموئيل (الباب ۲ الجملة ۶): «إنّ اللّه يحيى و يميت و يقبر و يبعث». و العبارة- كما يفهم منها- تدل صراحة على المعاد الجسمانى إضافة إلى أصل القيامة، فالقبر مكان الجسم الذى يتبدل فيه تراباً، و إلّافالقبر لايضم الروح لتنبعث منه، و هذا يشبه ما ورد فى القرآن: «وَ انَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فى الْقُبُورِ». «۲» ۲- نقرأ فى كتاب يوشع النبى (الباب ۲۶ الجملة ۱۹): «سيحيى موتاك و يريدون أجسادى، انهضوا يا من سكنتم فى التراب المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۳ وانتبهوا و ترنموا!». فقد وصفت القيامة فى هذه العبارة بأنّها نوع من الإنتباه (شبيه الإنتباه من النوم) و هو الأمر الذى ورد فى الروايات الإسلامية «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا». فتشبيه «الموت» أو «القيامة» بالإنتباه من النوم يعلمنا كثيراً من الأشياء سنتعرض لها لاحقاً إن شاء اللّه. و لعل المراد بالعبارة أجسادى (رغم أنّ لكل فرد جسد واحد) الأعضاء والأطراف المختلفة للجسد، أو الأجساد التى تتغير طيلة العمر و بمرور الزمان. ۳- نقرأ فى مزامير داود (المزمور ۲۳ الجملة ۴ إلى ۶): «سوف لن أخشى السوء من مشى فى وادى الموت لأنّك معى، سيلحقنى كل إحسان و رحمة و أسكن فى بيت اللّه إلى أبد الاباد». حيث تتضح بجلاء من هذه العبارات الرابطة بين الإنسان فى عالم ما بعد الموت و الأعمال التى بها فى هذا العالم، فستتبعه أعماله أينما حل و لا تنفصل عنه أبداً. *** و هكذا تكون قد وردت إشارات واضحة إلى يوم القيامة فى كلمات الأنبياء كداود و يوشع و صاموئيل، إلّاأنّ اليهود تناسوا القيامة و البعث وكأن ليس هنالك من دنيا بعد هذه الدنيا و حياتها المادية.

القيامة فى الأناجيل

كما ذكرنا سابقاً فإن الأناجيل كانت أكثر صراحة من غيرها بشأن الحديث عن القيامة. و إليك نموذجان منها: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۴ ۱- نقرأ فى إنجيل يحيى (الباب ۵ الجملة ۲۷- ۲۸): «ستأتى الساعة التى يسمع فيها كل من فى القبور ندائه فينهضون، فمن عمل عمل حسناً له قيامة الحياة و من عمل عمل سيئاً له قيامة الحساب». و المراد بقيامة الحياة هو الحياة الخالدة فى النعم الإلهية التى تمثل ثواب المحسنين، و المقصود بقيامة الحساب هو عقاب المسيئين بمقتضى حساب اللّه و عدله. و أخيراً فالعبارة- بالنظر لذكرها القبور التى تمثل موضوع جسم الإنسان- إشارة إلى المعاد الجسمانى. ۲- وردت إشارة صريحة إلى قضية الجزاء و الثواب يوم القيامة فى إنجيل متى- و هو أول الأناجيل- حيث جاء فيه: «سيأتى الابن فى جلال أبيه و معه الملائكة و سيجزى كلا حسب عمله». (إنجيل متى، الباب ۱۶ الجملة ۲۷) و نظير هذه العبارات التى تتحدث عن الثواب و العقاب و الجنّة و النار والحساب فى عالم ما بعد الموت، و هى كثيرة فى كتب العهد الجديد و الأناجيل. *** ولكن للأسف فقد شوه بعض النصارى الآثمين الآثار التربوية العقائدية والإيمان بالمعاد و القيامة بحيث لم يعد هنالك من دور للعمل الصالح أو السيىء فى الفوز بالحياة الخالدة أو العذاب الدائم، و ذلك من خلال البدع الخطيرة التى ابتدعوها من قبيل صكوك الغفران و أنّ المسيح عليه السلام صلب ليكفر عنهم سيئاتهم و ما إلى ذلك من التحريفات.

القرآن و الآخرة

أول إرشاد

اشارة

لقد كان يوماً بين هذه الذرات المؤلفة لأبداننا مسافة تتجاوز ملايين الكيلو مترات و كانت متناثرة فى كل مكان، فهل يمكن أن ترتبط مع بعضها بعد تشتتها ثانية بعد الموت؟ لقد حدثت هزة عنيفة فى وسط الوثنيين فقد تزلزلت دعائهم الوثنية، فقد ظهر دين جديد، دين التوحيد، دين عبادة اللّه الواحد الأحد و الذى أخذ ينتشر بين الناس بالسرعة و يسيطر على أفكارهم و لاسيّما الشباب الذين إستقطبهم بصورة أعمق من غيرهم. إثر ذلك عقدت الجلسات و الندوات الصغيرة و الكبيرة و نظمت الاجتماعات فى الأوساط العالمية و الأندية و الأسواق و المسجد الحرام و فى بيوت المشركين بهدف مواجهة هذا الدين و الحيلولة دون إنتشاره و نفوذه، و كان كل فرد يفكر فى العثور على نقطة ضعف فى هذا الدين الجديد الذى سدد ضرباته لدينهم القديم. و فجأة إنبرى أحدهم من زاوية فى المجلس ليقول: «هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ اذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمزَّقٍ انَّكُمْ لَفى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۶ خَلْقٍ جَدِيدٍ* افَتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً امْ بِهِ جِنَّةٌ» «۱» نعم كان الإعتقاد بعالم الآخرة و بعث الموتى و وقوفهم للحساب آنذاك هو نوع من أنواع الجنون أو توجيه التهمة للّه‌سبحانه، كما أن إنبثاق الحياة من المادة الصماء التى لاروح فيها هو الآخر كان يمثل أمراً جنونياً لايمكن تصوره، و بالطبع لايبدو هذا النمط من التفكير مستغرباً من أولئك الأفراد ممن يعيشون فى «ضلال مبين» و لم يشموا لسنوات مديدة نسيم العلم والمعرفة. إلّاأنّ الطريف ماينبغى معرفته من القيامة التى أحدثها القرآن الكريم بشأن مسألة يوم القيامة، حيث إعتمد الأدلة اللطيفة و الأمثال الرائعة والمنطق السهل والممتنع الذى يجتمع عليه عوام الناس ممن لاحظ لهم من معرفة وعلمائهم و مفكريهم. و لعلك لا تشاهد صفحة من القرآن خلت من ذكر عالم الآخرة و الحياة بعد الموت و المسائل ذات الصلة، و هذا بدوره يوضح الأهمية التى أولاها القرآن لهذه المسألة المهمّة. و بصورة عامة يمكن تقسيم آيات القيامة من حيث الدليل و البرهان إلى سبعة طوائف بحيث تفتح كل طائفة بدورها نافذة على هذه المسألة الكبرى المهمّة و تعد طريقاً واضحاً و مطمئناً.

الطريق الأول: التذكير بالخلق الأول

«أَفَعَيِينَا بِالْخَلقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» «۱» المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۷ لقد ذهل ذلك الإعرابى حين وقعت عينه على قطعة عظم متعفن وسط الصحراء، ولم يكن واضحاً أنّ ذلك العظم لرجل قتل فى نزاع قبلى أم توفاه اللّه سبحانه، ففكر مع نفسه قليلًا: أنّ محمداً يقول بأنّ هذا العظم البالى سيكتسب الحياة مرّة أخرى و يعود الإنسان شاباً حيوياً طرياً، يالها من خرافة عجيبة! ... قسماً بهذه الأوثان سأردّ عليه بهذا الدليل المحكم. فحمل ذلك العظم و أسرع يطلب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فلما رآه قال: «مَنْ يُحيى الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيم» «۲» و هنا نزلت الآيات القرآنية كحباب المطر فى الربيع على قلب رسول اللّه صلى الله عليه و آله لتجيب بمنطق صريح جذّاب: «قُلْ يُحيِيهَا الَّذى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «۳» «أَوَ لَيْسَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَ الأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم» «۴» كما وردت آية أخرى شبيهة للآية المذكورة: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ» «۵» *** و الآن نتصفح أوراق تأريخ ظهور البشرية فنعود إلى الوراء لنرى بداية الخليقة: ... فجأة قذفت من الشمس كتلة نارية عظيمة أطلق عليها فيما بعد إسم «الأرض» فأخذت فوراً بالدوران حول الشمس، إلّاأنّها كانّت متقدة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۸ ومحرقة بحيث إذا تأملها الناظر لما احتمل إنّها ستصبح يوماً موضعاً لكل هذه البساتين الغنّاء و الأزهار الجميلة و الشلّالات و الطيور المتنوعة و أفراد الجنس البشرى. و لا ندرى على وجه الدقّة كم مضى على تلك اللحظة، و لعلها تمتد إلى خمسة آلاف مليون سنة! مضت آلاف ملايين السنين و الأرض ساخنة و

محرقة. ثم إتحد غاز الهيدروجين مع الاوكسجين فى أجواء الأرض ليكونا بخار الماء، و بردت الطبقات العليا من الجو بمرور الزمان فاشبعت ببخار الماء فبدأت سيول الأمطار الرهيبة. إلّاأنّ الأرض كانت على درجة من السخونة بحيث لم تخترقها الأمطار، فكانت تتحول بخاراً قبل ملامستها فترتفع إلى الأعلى و هكذا بقيت البحار لسنوات مديدة- ربّما ملايين السنين- تائهة معلقة ما بين الأرض والسماء! فلم يكن لها من سبيل إلى الأرض و لا إلى جو السماء، فكلما حاولت أن تقترب من الأرض لم تدعها الحرارة، و حين كانت تندفع إلى السماء لم يكن لها القدرة الكافية لحل كل ذلك بخار الماء، فكانت دائبة الحركة. إلّاأنّ تلك الحركة أخذت تبرّد الأرض بالتدريج و تحد من جماحها. فعادت المياه إلى الأرض، حيث تقبلتها ودعتها تستقر فى الحفر، لكن لم يكن يسمع فى الكرة الأرضية سوى صوت الرعد و البرق و زئير الشلّالات و أمواج البحار و صرير العواصف. فلم تتفتح وردة و لابرعم، كما لم تكن هناك فراشة تلقح الأوراق و لا- أصوات لرفرفة أجنحة الطيور التى تحلق على شكل أسراب و جماعات لتحطم حاجز الصوت المرعب لتلك المقبرة، لا صوت حشرة و لا تغريد بلبل ... كان الصمت سائداً فى كل مكان! و فجأة حدثت ثورة عجيبة و حادثة فريدة فقد ظهرت أولى الكائنات المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۹ الحية فى البحار، فأخذت النباتات بالانتشار تدريجياً، ثم أخذت إثر ذلك أولى الحشرات الصغيرة و الحيوانات المختلفة تسرح و تمرح فى البحار و اليابسة. لكن إلى الآن لا أحد يعلم السبب الذى يقف وراء ظهور الكائن الحى من المادة التى لاحياة فيها، و كل الذى نعلمه هو أنّ عوامل خفية إتحدت مع بعضها لتكون هذا الإبداع العظيم، أمّا جزئيات ذلك فما زالت من الأسرار التى لم يقف كنهها العلماء لحدّ الآن.*** و بناءاً على هذا فإنّنا نلاحظ بوضوح أنّ أجزاء من بدننا الفعلى كانت سابقاً متناثرة فى زوايا هذه الأرض الواسعة الخالية من الروح و الحياة، ولعل هناك ملايين الكيلو مترات من المسافة بين ذراتها. إلّاأنّ ذلك التناثر وهذه المسافة لم تكن لتمنعها من التجمع يوماً مع بعضها و تشكيلها لبدن الإنسان. فهل من العجب أن يتكرر هذه العمل مرّة أخرى فتتجمع الذرات التى أصبحت تراباً و تناثرت هنا و هناك لتلبس ثوب الحياة و تعاد الخلقة الأولى فإن رأى الإعرابى ذلك الأمر ضرباً من الجنون، فما بالنا نحن الذين نعيش فى ظل هذا التطور العلمى فنراه عملياً يمكن تحقيقة، و هو ما عبّر عنه الفلاسفة بقولهم: «حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد».

الطريق الثانى: تكرر رؤيتنا للقيامة

اشارة

هناك عيب كبير يتخلل نظرتنا على الدوام و هو: لايلفت إنتباهنا عادة فى حياتنا اليومية سوى الأشياء التى تصطدم بها بصورة إستثنائية، أمّا تلك التى نعيشها دائماً و بصورة مرتبة- مهما كانت خارقة و عجيبة و تنطوى على الدروس و العبر- فقلّما تسترعى إليها إنتباهنا! فعادة ما يتجمع الناس حول مشهد أو لوحة أو ثوب مهما كان عديم الأهميّة إن كان متفاوتاً مع مارأيناه لحدّ الآن على أنّه موضوع يثير التعجب و الدهشة، بينما لا تثير مشاعرنا و أفكارنا أجمل و ألطف و أعمق كائنات هذا العالم إن كانت معنا دائماً، إنّنا نعرف الكثير من الأفراد الأفذاذ والخارقين وليس لهم من عيب سوى أنّهم يعيشون بيننا و على مقربة منّا، ومن هنا لا نعير نبوغهم أيّة أهميّة ولا نكترث لأفكارهم السامية و روحهم العالية! و بالعكس فإنّنا نعرف بعض الأفراد العاديين الذين نطريهم بمختلف طقوس الإحترام والإعتزاز، و ما ذلك إلّالأنّهم ماتوا و إنقطعوا عنّا، إنّ هذا نوع من الاسلوب السطحى الساذج فى التفكير، و المؤسف له أنّه يسود كافة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۲ طبقات المجتمع حتى الخواص منهم. لا نريد أن نبتعد عن أصل الموضوع، ففى عالم الطبيعة الذى نعيش فيه نرى كراراً قضية إحياء الموتى، غير أنّها و بسبب تعايشنا معها فهى لا تسترعى إنتباهنا. يحل فصل الخريف، نتجول فى الصحارى و السهول و ما زال كل شىء لحدّ الآن قد إحتفظ بصورته الطبيعية فنرى الأشياء ذابلة و شاحبة، أوراق الأشجار تلفظ أنفاسها الأخيرة و تسعى جاهدة للإلتصاق بأغصان الشجرة وبالتالى تستسلم لرياح الخريف الباردة فتسقط على الأرض، الأغصان هى الاخرى تعيش حالة

الجفاف و الـذبول و كأنّ الحياة لم تـدبّ فيها أبـداً، فإذا لاحت بوادر فصل الشـتاء تسـلطت عوامله الطبيعيـة لتحيل الأشـجار إلى جثث هامدة عارية يسودها الصمت التام فلا من طراوة و لا ورق و لا ورد و لا ظل، و لم يبق منها سوى ساق أجرد أشبه بجهاز عظمى مهموم لاروح فيه ولا حركـة كالعظام النخرة التى تبقى من أجساد الأموات. و لعل هـذه الصورة تتجلى بوضوح فى الصـحارى القاحلـة القفراء كصـحراء الحجاز- التى لا تصـلها سوى مياه الأمطار الموسميـة- فهى تبدو فى فصل الشتاء بالضبط كالمقابر القديمة و المتروكة، حتى، صوت البوم لاـ يسـمع فيهـا بصـفته الرفيق الحميم لمثل هـذه الأماكن! ثم لايلبث ذلك طويلًا تلوح آفاق فصل الربيع بنسـيمه الحيوى و أمطاره المناسـبة و حرارته المعتدلـة الخلّابـة وبالتـالى بجميع بركـاته التى تجعـل الأرض تتنفس الحياة لتـدب فى تلك العظام الخاوية للأشـجار، كما تفيض الحياة و الحركـة و النشاط على تلك الصـحارى القفار التى كانت تفوح منها رائحـة القبور القديمة و المتروكة، وأخيراً فإنّ قيامـة عظيمة تقوم لتجتاح أنحاء عالم الطبيعة. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۳ لا شك إنّ موت الطبيعة و بعثها الذى نشاهده كراراً طيلـة سـنوات عمرنـا، مـا هو إلّانموذج حى لقيامـة البشـرية و بعثها للحياة ما بعـد للموت. فما الفارق فى ذلك، فقانون الموت و الحياة واحد فى كل مكان. فلو لم تكن هناك من حياة بعد الموت، لما إنبغى أن تسـتثنى الأراضى الموات من هذا القانون. و إن كان ممكناً، فهو ممكن كذلك بالنسبة لأفراد البشر. فإذا لم يكن هناك أى أثر للحياة فى تلك الصحراء الجافة بالأمس، حتى لا يسمع فيها صوت البوم الشـغف بذلك المكان فيسارع للهرب منه، بينما إخضرت و غرقت فى الحياة و النشاط و الحركة اليوم بفعل إرتفاع درجة حرارة الجو و هبوب الريـاح المعتدلـة و هطول بعض الأمطار، فما بالنا لا نعمم هـذا القانون على موت الإنسان و حياته، حقاً ما الفارق بين هـذين الأمرين. هـذه هى إحدى صور القيامة التى نمرّ عليها دائما مرور الكرام.*** و قد تعرض القرآن الكريم على لسان العديد من الآيات إلى هـذه الحقيقـة بهـدف الإرشاد إلى قيامـة الناس، فقـد جاء فى بعض الآيات: ۱- «وَ اللَّهُ الَّذى ارْسَـلَ الرّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُـقْنَاهُ الى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ» «۱» . و كما نلاحظ فإنّ قيامـة البشـرية قد قورنت بقيامة عالم النبات. ۲- «وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَـاءِ مَـاءً مُبَارَكـاً فَانْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصـيدِ* وَ النَّخْلَ بَاسِـقَاتٍ لَهَا طَلْع نَضِـيدٍ* رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَاحْيَيْنَا بِهِ بَلْـدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ» «۲» .المعـاد و عالم الاخرة، ص: ۸۴ ۳- «وَ تَرَى الأَـرْضَ هَامِـدَةً فَاذَا انْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَانْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ* ذَلِكَ بِانَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ انَّهُ يُحيِي الْمَوتى وَانَّهُ عَلَى كُلِّ شَـىْءٍ قَدِير» «۱». و بهذا الشكل أصحبت قضية الحياة بعد الموت على هيئة أمر حسى وملموس يتكرر أمام العين كل سنة، بعد أن كانت تراه الجاهلية أمراً محالًا وغير معقول و حتى جنونى.

الردّ على إشكال مهم

قـد يرى البعض أنّ هناك إشـكالًا مهماً يمكن طرحه بهـذا الخصوص و هو: هناك بون شاسع بين حياة الإنسان بعـد الموت و تجـديد الحيـاة بالنسـبة للأـرض الميتـة فى فصـل الربيع، لأنّنـا نعلم أن ليس هنالـك من موت حقيقى بالنسـبة لمثـال الأـرض و النبـات، كل ما هنالك، هو إنـدثار لجـذوة الحياة، فالأشـجار لن تموت قط فى فصل الشـتاء، بل هناك سـبات، بينما بصـيص الحياة موجود فى جوف الجـذر و الغصن و السـاق، و من هنـا فهى تفرق عن الشـجرة الجافـة واليابسـة، أضف إلى ذلك هناك موت ظاهرى للأرض لا واقعى حيث هنالك البذور الحيّة للنباتات التى تتخللها فإذا توفر المحيط اللازم أخذت بالنمو و الظهور، فلو خلت تلك الأرض من البذور لما دبّت فيها الحياة و لو هطل عليها المطر لآلاف السنين و هذا يختلف تماماً و الموت الحقيقى لبدن الإنسان. و للإجابة على هذا الإشكال لابـدّ من الإلتفـات إلى أمرين: المعـاد و عالم الاخرة، ص: ۸۵ ۱- لابـدّ من التوقف عند بذرة النبات أو نواة الشـجرة بفضـلها خلية حيّة ليس أكثر فكيف تتبـدل إلى مئات الأغصان و السـيقان و الجـذور و الأوراق الحيّـة؟ ألم تنبثق من هـذه الأتربـة الهامدة الميتة و ذرات الأرض و قطرات الماء و اوكسـجين الهواء و هيدروجينه و كل هذه المواد أموات عالم الطبيعة، لتشـكل نفسها و تصنع كائنات حيّة من تلك الموجودات الميتـة؟ أو لم تكن هـذه الشـجرة و ذلك البرعم و النبات الـذى يحركه هبوب الرياح و ما إلى ذلك، ألم تكن كل هذه الأشـياء لبضعة أيام أو عدّة شهور قبل تلك الذرات الميتة الهامدة فى التراب و قد أصبحت اليوم بهذا الشكل؟ أفنجانب الواقع بأن

قلنا الأرض الميتة قد تبدلت إلى أرض حية؟ جدير بالذكر هو أنّ القرآن الكريم لايقول الأشجار الميتة تصبح حيّة (لأنّها لم تمت) بل يقول: الأرض الميتة و ذرات التراب تصبح حيّة! ۲- لو ألقينا نظرة على بداية إنبثاق الحياة فى الكرة الأرضية، لأتضحت المسألة أكثر فأكثر، لأنّ الأرض كانت محرقة فى البداية و لم يكن فيها أى كائن حى، ثم بدأ عصر السيول و الأمطار، و اتحد عنصر الهيدروجين الخانق بالاوكسجين و أخذت السيول و الامطار تضرب الأرض لملايين السنين حتى بردت و استوت، فلما توفر المحيط اللازم للحياة، دبّت فيه بدايات الحياة وظهرت من تلك المواد الميتة للأرض بطريقة تنطوى على الأسرار التى ما زالت خافية على العلماء، و هكذا إكتسبت تلك الأرض الميتة الحياة. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۷

الطريق الثالث: معاد الطاقة وقيامتها

اشارة

إنّنا نرى بأم أعيننا قيامة كلما أشعلنا كبريتاً و تحررت منه طاقة حرارية خاصة، فالحرارة التى ربّما إنفصلت عن الشمس قبل خمسين سنة و قد ظن الجميع أنّها فنت، بينما إدخرت بصورة خفيفة فى جوف عود الثقاب و قد قامت قيامته الآن.* و الطاقة الحرارية المنبعثة من قطرة النفط أو البنزين التى نشعلها قد تكون إنفصلت عن الشمس قبل ملايين السنين، و قد أودعت بشكل فى أعماق تلك المواد و ننظر الآن إلى قيامتها.* كيف يشير القرآن فى بحث المعاد من أجل رسم صورته فى هذه الدنيا ويجسد قيامة الطاقة أمام أعيننا بمثال رائع! عليك بالدقّة فى مطالعة هذا البحث. إنّ الشمس هى مصدر جميع الطاقات الموجودة على الأرض (سوى‌الطاقة الذرية)، و يخلو هذا الكلام من أى إستغراق أو مبالغة بل هو واقع‌قائم. على سبيل المثال لو تأملنا جميع المصادر المنتجة للطاقة من قبيل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۸ الفحم الحجرى و الطاقة الكهربائية و الرياح و الحيوانات و الإنسان والكائنات‌الحيّة لاكتشفنا أنّ المصدر الأصلى لها هو ضوء الشمس. ۱- «الفحم الحجرى» كما يفهم من إسمه المتبقى من غابات و أشجار العصور و القرون السابقة و قد دفن فى أعماق الأرض بفعل مختلف الحوادث التى مرّت على الأرض، و قد تحولت إلى فحم أسود إثر ظروف معينة وبمرور الزمان، و سنقف قريباً أنّ الطاقة المخزونة فيها من ضوء الشمس. ۲- «النفط» تفيد آخر النظريات أنه ما يتّبقى من الحيوانات البحرية الصغيرة والكبيرة للعصور السالفة و قد دفن فى الأرض إثر تغير الظروف الجوية، ثم تبدلت جسيماته بعد سلسلة من الأفعال و الانفعالات المختلفة والقدرة الخلاقة العجيبة إلى هذا الذهب الأسود المذاب و الذى يقال له آلاف المشتقات التى يفوق كل واحد منها الآخر، و سندرك عمّا قريب أنّ ضوء الشمس هو مصدر ظهور الحيوانات و المواد المنتجة للطاقة فى بدنها. ۳- «التوربينات و المولدات الكهربائية» إمّا أنّها تتحرك بواسطة ضغطماء الشلّالات و السدود، و إرتباطها بضوء الشمس- بصفته عامل تبخير مياه‌البحار و تكوين الغيوم و نزول الأمطار- واضح، أو بواسطة المواد النفطيةوأمثالها والتى مرّ علينا استمدادها للطاقة من ضوء الشمس. ۴- «حركة الرياح» التى تكون عاملًا لحركة بعض الأجهزة الصغيرة كالسفن الشراعية، و هى ترتبط أيضا بضوء الشمس الذى يسبب إشعاعه على النقاط المختلفة للكرة الأرضية اختلاف درجة الحرارة، و نعلم أنّ اختلاف درجة حرارة نقطتين من الكرة الأرضية يؤدّى إلى هبوب الرياح. ۵- «الحيوانات» و التى تعتبر من مصادر الطاقة، مغ ذلك لايمكنها العيش دون «النباتات»، لأنّ كل حيوان- عادة- إمّا يتغذى على النباتات أو المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۹ على لحوم الحيوانات الآكلة للنباتات، و لا يستثنى من هذا القانون حتى الحيوانات البحرية التى تتغذى على أصغر النباتات البحرية. ۶- لايمكن تنمية النباتات و الأشجار دون الاستفادة من ضياء الشمس- سواء بصورة إشعاع مباشر أو غير مباشر- و من هنا تنعدم النباتات فى أعماق البحار (لأعماق تتجاوز الستمئة متر) و ذلك لعدم وصول ضياء الشمس إليها. طبعا يمكن العثور على بعض الموارد النادرة للطاقة و التى لا تستندفيها إلى ضوء الشمس، من قبيل الطاقة الحاصلة من ظاهرة المد و الجزر فى البحار بواسطة جاذبية القمر و التى يستفاد منها أحياناً من أجل السقى وإنتاج الكهرباء، و كذلك الطاقة الناشئة من البراكين و

أمثالها، إلّاأنّ هذه الموارد نادرة جدّاً كما ذكرنا.

حرارة النار من الشمس!

صحيح ما يقال أنّ حرارة النار من ذاتها، فحيثما كانت النار، كانت الحرارة والحرقة، فإن سلبت حرارتها و حرقتها لم تعد ناراً، و كما يقال فإنّ هذه الكيفية تعتبر من الخواص الذاتية للنار. و لكن إن نظرنا من جانب آخر إلى هذه الحرارة فإنّها كانت يوماً فى مركز الشمس و قد إنتقلت إلى الأرض بواسطة إشعاعها لتستقر بطريقة غير معلومة فى جوف جذوع النخل و لم تطفىء جذوتها بفعل مرور الأشهر والسنوات ونزول مالايحصى من الأمطار، و بعبارة أخرى لو بعث عود الثقاب بشعلة من النار خارجاً، أو إذا إنتشرت طاقة حرارية خارقة اثر حريق هائل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۰ فى غابة أو مخزن ضخم من الأخشاب فانّها تفقد دفعة واحدة إلى الخارج كل ما إختزنته تدريجياً من ضوء الشمس خلال عشرات أو مئات أو آلاف السنين، أمّا كيفية ذلك فهو أنّ هناك قانونين فى علم الكيمياء يوضحان حقيقة الموضوع المذكور، و هو أنّ أى تركيب أو تحليل كيميائى لايخرج عن حالتين إمّا إكتساب أو فقدان الطاقة. فمثلًا إذا أردنا أن نحصل على بضع قطرات من الماء، لابدّ أن نمزج مقداراً من الهيدروجين و الاوكسجين فى زجاجة محكمة و جافة، إلّاإنّنا نشاهد عدم تركبها و إتحادهما لتكوين الماء، فإن أشعلنا عود ثقاب و قربناه من فوهة الزجاجة لسمعنا صوتاً عظيماً يشبه صوت إنفجار المواد المنفجرة، فيتحد هذان العنصران مع بعضها و تظهر قطرات الماء على جوانب الزجاجة. و من هنا نستنتج أنّ الماء يساوى الحرارة بالاضافة إلى الاوكسجين والهيدروجين، يمكن أن نتحفظ بذلك الماء فى قنينة محكمة لسنوات، وأمّا إن أردنا تحليل ذلك الماء فى جهاز تحليل فاننا سنحصل على نفس نسبة الهيدروجين و الاوكسجين بالاضافة إلى الحرارة التى يمكن تحسسها من خلال جهاز التحليل. و نقول فى الصورة الأولى إنّ مركبنا الكيميائى قد إكتسب طاقة، و نقول فى الصورة الثانية: إنّ تحليلنا الكيميائى قد فقد طاقة، و نعود الآن لدراسة «أخشاب الأشجار» حيث تفيد المطالعات الكيميائية أنّها مركبة من اوكسجين وهيدروجين و كاربون و مقداراً من الأملاح المختلفة، و كما نعلم فإنّ الأملاح مأخوذة من الأرض، و الهيدروجين و الاوكسجين من الماء، وأمّا الكاربون فمن الهواء، لأنّ أحد الغازات الموجودة فى الهواء هو غاز المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۱ الكاربون الذى يتكون من إتحاد الاوكسجين بالكاربون، فتقوم خلايا الأشجار فى ظل ضوء الشمس بتحليل هذا الغاز فتأخذ الكاربون و تطرح الاوكسجين (و من هنا نقول أنّ الأشجار تنّقى الهواء و تزودنا بالاوكسجين، كما تمنح الغابات و خضرة حدائق المدن الإنسان النشاط و الحيوية). ولكن لاينبغى نسيان قولنا «فى ظل ضوء الشمس» و مرادنا من ذلك أنّه حين إنبات الشجرة و تشكيل السليلوز النباتى فانّ هناك مقداراً من الطاقة الشمسية التى تدّخر فى الشجرة أيضاً، فمن الطبيعى أن تنبعث تلك الحرارة المدخرة من الشمس لسنوات ضمن عمل الكربنة حين إحراق الشجرة و تحللها إلى اوكسجين و هيدورجين (يعنى ماء) و تحرير الكاربون وإتحاده بالاوكسجين. *** و فى الختام لابدّ من الإلتفات إلى هذه النقطة و هى أنّ الشجرة تقوم بعمل الكربنة و إدّخار ضوء الشمس مادامها خضراء حيّة و مصداق «للشجر الأخضر» أمّا إن جفت فليس لها مثل ذلك العمل.*** و الآن بعد أن إتضح هذا البحث، نعود إلى القرآن الكريم لنرى كيف يجسد لنا معاد و قيامة الطاقة بهذا المثال.

قيامة الطاقة بعد موتها

اشارة

إن إشعال عود الثقاب و الكوّر العظيمة التى تشعل بالأخشاب أو بالفحم الحجرى تمثل كل منها إنبعاث و قيامة القيامة، كيف طرح القرآن هذه الحقيقة بعبارات قصيرة؟ الحديث عن صور متنوعة للعودة إلى الحياة فى هذا العالم و التى نراه بأعيننا أو نمر عليها بينما لا

نـدقق فيها. القرآن الكريم من جانبه و بعباراته القصيرة البعيدة المعانى يدعو الناس إلى التمعن فى مظاهر القيامة المذهلة، و من ذلك تجـدد حياة الطاقـة التى يفيـد ظاهرها الموت. فقـد أثبتنا فى البحث السابق بالأدلـة الواضـحة أنّ كافة الطاقات الموجودة على الأرض- سوى الطاقـة النوويـة- إنّمـا تسـتند إلى «ضوء الشـمس»، فمثلًا حين يحرق الخشب و الحطب و أوراق الأشـجار اليابسـة فـإنّ الحرارة و الضوء المنبعث منها هو عبارة عن الحرارة و الضوء التى خزنتها تـدريجياً لسـنوات طويلـة من الشـمس، و هى تفقدها الآن جميعاً خلال لحظـة واحـدة أو عـدّة ساعات و كأنّها قـد جرت إلى عرصة القيامة، نعود الآن إلى القرآن الكريم لنرى كيف يبحث هذه المسألة. فقد ورد الحديث ضـمن المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۴ الآيات الأخيرة من سورة يس الآية ۸۰ مواصلة للبحث بشأن القيامة والمعاد: «الَّذى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ ناراً فَاذَا انْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ». و يالها من عبارة عجيبـة رائعـة! و ما ينبغى الإلتفات إليه هنا هو أنّ لهذه الآية كسائر الآيات القرآنيـة عدّة معانى: بعضـها «بسـيطة» ليفهمها عامة الناس و فى كل عصـر و مصـر، و بعضـها الآخر «عميقة» للخواص، و أخيراً «عميقـة جـدّاً» للنخبـة من الخواص، أو للعصور و القرون القادمـة (بالنسـبة لزمان نزول الآيـة). المعنى الأول للآية الذى أشار إليه بعض قدماء المفسّـرين هو أنّ العرب فى العصور القديمة كانت تستفيد من بعض أخشاب الأشجار الخاصّة مثل «المرخ» و «العفار» «۱» التى تنبت فى صـحارى الحجاز من أجل إشـعال النار، فقـد أشارت الآيـة إلى اولئك بالقول: أنّ اللَّه القادر على الإتيان بالنار من الماء (فـالقسم الأعظم من الشـجر الأخضـر هو الماء) قادر أيضاً على خلق الحياة من باطن الموتى! أو ليس بعـد «الماء» عن «النار» شبيه ببعد «الحيـاة» عن «الموت»؟! فمن يـأتى بالنـار من المـاء، و يحفـظ الماء فى جوف النار، لا يتعـذر عليه إفاضـة الحياة على بـدن الإنسان بعد موته. و إذا تقدمنا أكثر نرى أنّ مسألة خاصـية إشـعال النار بواسـطة أخشاب الأشـجار لايقتصر على تلك الأخشاب المعروفة بالمرخ و العفـار، بـل تلك الخاصـية موجودة فى جميع الأشـجار- و إن كانت تلك الأخشاب المعروفـة تتصف ببعض الخصائص و المواد التى تجعلها أكثر إسـتعداداً لـذلك العمل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۵ من غيرها- بحيث تولـد النار إن دلكت بإحكام مع بعضـها. و لهذا السـبب تحـدث أحياناً الحرائق الهائلـة الواسـعة فى الغابات دون أن يكون للإنسان أى دخل فيها، و لم تكن النار إلّا وليـدة الرياح التى ولـدت‌إحتكاكاً بين أغصان الأشـجار اليابسـة فانبعثت منها، ثم أسـهمت إسـتمرارية الرياح فى إتساع رقعـة النار و إنتشارها، و هذه هى الجدحة الكهربائية التى تظهر إثر الإحتكاك، وهى تلك النار الكامنة فى الواقع فى مركز كافة ذرات كائنات العالم (حتى فى الأشجار و المياه) و تبرز فى الظروف المعينـة، فتنبعث «النار» من «الشـجر الأخضـر»! يبـدو هـذا المعنى أوسع حيث يجسـد لنا جمع الأضـداد فى الخليقة ويدل على البقاء فى الفناء. أمّا التفسير العميق الذى توصلنا إليه بفضل العلوم المعاصرة فهو عودة الطاقة المدخرة لضوء الشمس حين تركيب السـليلوز النباتى (من الكاربون والاوكسجين و الهيدروجين) و التى تنبعث عند إحراق الخشب و الحطب وتحليل السليلوز و تركيب كـاربونه باوكسـجين الهواء و هـذا هو الضوء والحرارة اللطيفـة التى تفيض الـدفىء فى فصـل الشـتاء فى ذلك الكوخ وسـط القرية وتضـيئه، فقد قامت قيامتها، و هو يفقد الآن كل ما إختزنه من حرارة طيلة عمر دون أى نقص، بحيث لم ينقص منها حتى إشعال شمعـة فى لحظـة (عليك بالدقة). لا شك أنّ هذا المعنى لم يكن متصوراً حين نزول الآية من قبل عامة الناس، ولكن كما قلنا فإنّ هذا الأمر ليس مـدعاة لأيـة مشـكلة، لأن لآيـات القرآن عـدّة معـان تختلف باختلاف المسـتويات و تبعاً للإدراكات فى العصور و القرون المختلفة. فمن عاصر القرآن كان يفهم شيئاً منه، و تفهم اليوم نحن شيئاً أكثر من ذلك.

نقطتان مهمتان

هناك تعبيران فى هذه الآية هما أكثر إنسـجاماً مع التفسـير الأخير. ۱- النقطـة الأولى أنّ القرآن قال: «فَاذَا انْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ». «توقدون» من مادة «وقود» و هو عود الثقاب و الكبريت يطلق عليه فى العربى الزناد، و بناءاً على هذا فالقرآن الكريم يعرض صورة حول قدرة اللَّه على الإتيان بالضوء والحرارة من الأشـجار الخضراء، و هى نفس القدرة التى تفيض الحياة على الموتى. و هو الكلام الذى ينطبق تماماً على قيامـة الطاقـة (إنبعاثهـا)، و مـا ذكره المفسـرون بشأن أشـجار النار «المرخ» و «العفار» أنسب للزناد، و الحال عبرت الآيـة بالوقود لا

الزناد. ۲- النقطة الأخرى التعبير «الشجر الاخضر» الذى يبدو غير ممكناً للوهلة الأولى لدى الذهن بالإتيان من النار من الخشب الأخضر، فما أحراه لو قال «الشجر اليابس» ليكون أكثر إنسجاماً مع هذا المعنى، ولكن لاينبغى الغفلة عن قضية و هى أنّ الشجر الأخضر وحده الذى يستطيع القيام بعمل الكربنة وإدخار الضوء و حرارة الشمس، أمّا الشجر اليابس فلو عرض مئة سنة للشمس لما وسعه إدخار ذرة من طاقتها الحرارية، فيقتصر ذلك الأمر الأشجار الحيّة والخضراء القادرة على القيام بذلك العمل، و عليه فالشجر الأخضر لوحده الذى يمدنا بالنار و هو بمثابة مخزن للطاقة، حيث يحتفظ بالحرارة و الضوء بطريقة معيّنة فى خشب البارد و الرطب، و أمّا إن تيبست هذه الأشجار و جفت فقد عطلت فيه عملية الكربنة و إدخار الطاقة. كان ذلك صورة لقيامة الطاقة فى القرآن الكريم، و الذى يمثل من جانب آخر معجزة علمية لهذا الكتاب السماوى الخالد.

الطريق الرابع: لم القيامة ليست ممكنة؟

اشارة

لقد تناولنا بالدرس لحدّ الآن المنطق القرآنى العميق بشأن الحياة بعد الموت من خلال ثلاثة طرق هى: ۱- كيفية الخلق الأول. ۲- القيامة العامة لعالم النباتات التى نراها مراراً بأعيننا. ۳- قيامة الطاقة حتى بشأن الموجودة الخالية من الروح ظاهريا! و نخوض الآن فى الطريق الرابع و هو التوجه لمظاهر قدرة اللّه سبحانه فى عالم الوجود: ورد فى الآية ۳۳ من سورة الأحقاف: «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحيِىَ الْمَوتى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٍ».

رؤيتنا لهذا العالم

عبرنا فى إحدى سفراتنا الصيفية من وسط غابة، فطالعنا المشهد الطبيعى الرائع للغابة و الأشجار الهادئة الطافحة بالأسرار، و زمزمة أوراق المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۸ الأشجار التى تعبث بها الرياح، كانت هناك الحيوانات و الحشرات و الطيورولكل مميزاته وحكايته الطويلة الخاصّة به، كان كل ذلك يثير فينا نحن‌الضيوف العابرون دافع الحيوية و النشاط، و لاسيّما فى ظل التعب و الأرهاق‌الذى عانينا منه بسبب حياة المكننة المعاصرة، فقد عدنا إلى أحضان‌الطبيعة، الطبيعة التى ملأت بالطائف و الظرائف الجميلة التى تبعث الحياة و السرور فى أرواحنا الهامدة، وذلك لأنّ الخطوط و النقوش و المشاهد و المناظر كانت معروفة و مألوفة لأرواحنا، لا من قبيل المناظر المصنوعة التى تفقد الروح و الحركة. طبعاً كل ما شاهدناه هو حكاية الغابة اليوم، و الحال قد يكون لهذه الغابة تاريخ عريق بما يمتد إلى مئات ملايين السنين، و لعلها تستمر فى المستقبل و يمرّ عليها مثل هذه المدّة، إن لم تأتى عليها الحياة التكنولوجية المعاصرة الخشنة و الحافة «و القاتلة» لتحيلها إلى خراب دائم. لعل هذه الشجرة الماثلة أمامنا الآن و يبدو لها ثلاثين سنة قد ولدت مئات الآلاف من المرات لحدّ الآن، فقد ماتت و تعفنت و أصبحت تراب، ثم دبّت فيها الحياة من جديد من خلال بذرة صغيرة فانجذبت لجذورها واستأنفت حياتها، ولايعلم كم مرّة ستتكرر عليها صورة الحياة و الموت فى المستقبل. لو شبهنا مجموعة عالم الوجود بتلك الغابة لكانت منظومتنا الشمسية إحدى أشجارها و كرتنا الأرضية أحد أغصانها، و من الممكن أن تكون هذه المنظومة و هذه الكرات أن تكون قد توفت و ولدت آلاف المرات، فقد تعفنت و تلاشت ثم إستعادت حياتها من جديد على غرار تلك الشجرة فى الغابة- أو لم يصرّح الجيوفيزيائيون بشأن الانطفاء التدريجى للعالم و ظهور المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۹ حالة البرودة و الرتابة فيه و من ثم تجدد الحياة بانفجار جدحة عظيمة أخرى فى مركز ذلك العالم الذى لاروح فيه، ففى الحقيقة إنّ حياتنا ليست بعيدة الشبه عن حياة حفنة من الكائنات الحيّة المجهرية على ورقة طافية وسط محيط عظيم، كل الذى نراه هو أمواج تعبث بشراعنا يميناً و شمالًا، غير أنّه ليس من الواضح لدينا أنّ هذه الأمواج تنطلق من أية نقطة فى المحيط. و بناءاً على هذا فما نورده بشأن عظمة عالم الوجود

إنّما يمثل قبس صغير لا يعد شيئاً إزاء سعة الوجود، فهو على درجة من الصغر يصعب حتى تصورها. *** إلّا أن نفس هذا القبس الصغير هو عظيم للغاية و محيّر، و هو لوحة رائعة ومذهلة فى عظمتها و بنيتها. نعلم أنّ أبعاد هذا العالم فى الماضى خمنت بثلاثة آلاف مليون سنة ضوئية (ذلك المقياس الفضائى الذى تبلغ سنته مالايحصى و يقدر مقارنة بوحدات القياس الأرضية)، ولكن إصطدم أحد العلماء أخيراً فى إحدى مطالعاته بكوكب أو منظومة فى الجانب الآخر من المجرّات محتملًا أنّها تبعد عنّا مسافة ۱۲ ميلون سنة ضوئية! و إن إدعى هذا العالم أنّ الفضاء بعد ذلك الكوكب يغط فى ظلمة «العدم»، و ليس ورائه شىء، إلّاأنّ الأفضل أن نقول: فى ظلمة «جهلنا وقلّة معرفتنا»، و كما تضاعفت آفاق العلم خلال بضع سنوات، فلعلها تزداد بنفس هذه النسبة خلال السنوات القادمة و كذلك .... و فى هذا العالم العظيم يوجد كل نوع من أنواع الموجودات و الكائنات التى يمكن أن نتصورها، فهناك الحياة فى صور مختلفة و متنوعة بأجهزة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۰ وإمكانات غاية فى الاختلاف، حتى قال العلماء بأنّ كرتنا الأرضية لوحدها و فى مجال الحشرات تضم أكثر من مئتى ألف نوع تختلف عضوية أبدانها تماماً عن بعضها البعض الآخر، و إن قبلنا ما أورده علماء الطبيعة أنّ فى المجرّة التى تعتبر منظومتنا الشمسية جرحاً بسيطاً فيها مئات ملايين الكوالكب المأهولة، مع سائر الكائنات الحيّة المتنوعة الاخرى حتى يستحيل علينا تصور أطوار الحياة و كيفية ممارستها من قبل الكائنات، و هذا ما يقودنا إلى إدراك التنوع العجيب للحياة فى هذا العالم. و هنا نتأمل قول القرآن الكريم: «اوَ لَمْ يَرَوْا انَّ اللَّهَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَ الْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يُحيِىَ الْمُوتى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٍ» «۱». و هل إحياء الموتى شىء أرفع و أهم و أعقد من ظهور هذه العوالم الواسعة بكائناتها المتنوعة؟ حقاً لايرى ذلك صعباً إلّا من غرق فى ذاته و قدرته المحدودة الزهيدة، بينما العلماء الذين ينظرون بآفاق واسعه إلى عالم الوجود و يقفون على مدى العجائب التى تكتنفه، فهم يرون بساطة عودة الإنسان إلى تلك الحياة بعد الموت. و هذا ما صرح به القرآن الكريم بصيغة أخرى فقال: «انَّما امْرُهُ اذَا ارادَ شَيْئاً انْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحانَ الَّذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» «۲». فالآيتان و بالالتفات إلى الآيات السابقة تثبتان إمكانية القيامة عن طريق عمومية قدرته سبحانه و تعالى ***

إشكال محيّر

مادام الكلام فى مسألة «عمومية قدرة الخالق» و قد اعتمد عليها بشأن القيامة، لا بأس بطرح إشكال يبدو أنّه حيّر البعض: يقول الإشكال: إن أقررنا بعمومية قدرة اللَّه فاننا سنواجه تناقضاً عجيباً و هو هذا السؤال: هل يستطيع اللَّه خلق جسم عظيم و لا يستطيع أن يحركه؟ هل يستطيع خلق كائن و لايستطيع إعدامه؟ إن قلنا يستطيع، فقد قبلنا عدم استطاعته تحريكه أو اعدامه، و إن قلنا لايستطيع، فقد أنكرنا قدرته أيضاً! أو يقال: هل يستطيع خلق شبيه له؟ إن قلنا به ذلك فقد قلنا بالشريك، و إن قلنا ليس له ذلك فقد حددنا قدرته!

جواب

لايبدو هذا الإشكال كما صوره البعض صعباً محيّراً و لا مهماً، و يمكن الردّ عليه بعدّة وجوه، و يمكن توضيحه بصورة أخرى وهى: قد نصطدم فى مجال الرياضيات ببعض المسائل التى يقال عنها «صورة المسألة خاطئة» يعنى ليس هناك من جواب للمسألة أصلًا، مثلًا لو قال شخص: لدينا عشرة أمتار قماش نريد تقسيمها على خمسة أفراد بحيث «يحصل أى منهم على أقل من خمسة أمتار» فإننا نقول له على الفور إن هذه المسألة خاطئة ومتناقضة من أولها إلى آخرها، لأننا نقول فى أول الأمر لدينا عشرة أمتار قماش، ثم نقول فى الأخير لدينا خمسة و عشرين متراً، فمن البديهى ألا تكون هناك إجابة على هذا السؤال. و الأسئلة المذكورة بشأن قدرة اللَّه من هذا القبيل. فنحن نقول فى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۲ البداية «يخلق اللَّه جسماً» يعنى أنّ ذلك الجسم مخلوق، و بالطبع فإنّ كل مخلوق محدود (و اللَّه وحده اللامحدود) ثم نقول فى الأخير «لايستطيع أن يحركه» ومفهوم ذلك أنّ ذلك الجسم لامحدود، و عليه فستكون

صيغة السؤال كالاتى: هل يستطيع اللّه أن يخلق جسماً محدوداً و لامحدوداً؟! فمن البديهى أنّ صورة هذه المسألة خاطئة من حيث ترتيب العبارة والسؤال فلا يوجد جواب على مثل هذه السؤال. أو السؤال الآخر: فحين نقول يخلق موجودا؛ يعنى حادث لا أزلى، و عند ما نقول مثله فهذا يعنى أنّه أزلى، و عليه فسيكون السؤال بهذه الصيغة «هل يستطيع اللّه أن يخلق موجوداً حادثاً و أزلياً فى نفس الوقت!». فهل يحتاج مثل هذا السؤال إلى جواب؟ ... قطعاً لا. و للوقوف على المزيد بهذا الخصوص عليك بمراجعة كتاب «معرفة اللّه» للمؤلف.

الطريق الخامس: أصحاب الكهف

هل قصة أصحاب الكهف حقيقة تاريخية، و إن كانت كذلك فما علاقتها بقضية القيامة؟ هل يقر العلم مثل هذا النوم الطويل، و هل من دليل على ذلك؟ تطالعنا فى القرآن الكريم سورة الكهف التى تسرد و قائع فتية مؤمنين هربوا من قومهم الوثنيين الذين لا يؤمنون باللّه و المعاد ثم آووا إلى الكهف. لقد دفعت الأفكار السامية اليقظة لهؤلاء الفتية و نزعتهم التحررية إلى الإعتقاد بخرافة الوثنية التى سادت الأجواء آنذاك و فرضت القيود و الأغلال على الناس التى كرست صنمية الحكومات التى إستخفت بأفكار الناس ومهدت السبيل أمام إلوهيتهم و تسلطهم. و قد كان اولئك الفتية أصحاب مراكز حساسة فى الدولة و المجتمع، وقد آثرت الحرية من هذه الخراقات و الذلة و الهوان و غادرت سرّاً ديارها وأهلها إلى مكان مجهول حتى إنتهت إلى كهف فاختارته كموضع للإستقرار، و قد سيطرت عليها فى الكهف حالة عجيبة من النوم الطويل العميق، فقد نامت مئات السنين، و حين نهضت من نومها العميق- و على ضوء العادة- ظنت المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۴ أنّها لبثت يوما أو بعض يوم، إلّاأنّ كافة الشواهد و الأوضاع المحيطة بالكهف كانت تشير إلى أنّ الأمر ليس كذلك، و من هنا كان هناك ترديد فى الموضوع. ثم إتضحت حقيقة الأمر بعد أنّ قدم أحدهم إلى مدينة قرب الكهف يشترى طعاماً، فأخبر الجميع بالحقيقة، ففهموا أنّ حادثة عجيبة قد وقعت، فلم تكن العملة التى فى أيديهم تشير إلى أنّها تعود إلى مئات السنين، بل طريقة تعاملهم مع أهل المدينة- التى غادروها قبيل قرون وقد تبدلت كل العادات والتقاليد و الأعراف و الحياة السائدة آنذاك- إضافة إلى إطلاعهم على تلك القضية التاريخية التى تفيد غياب عصبة من الشباب من ذوى المناصب العالية و التى تبرهن صحة وقوع تلك الحادثة. كانت تلك الحادثة درساً عظيماً بالنسبة لُاولئك الذين ينظرون بعين الريب والشك إلى موضوع القيامة، فإن كانت الحياة بعد النوم «أخو الموت» بل كان «نفس الموت» ممكنة، فإحياء الموتى هو الآخر لا يبدو مستبعداً، فكانت تلك الحادثة إنعطافة كبيرة فى ثقافتهم الدينية ... و هذا هو الطريق الآخر الذى سلكه القرآن الكريم بهدف إزالة قضية إستبعاد المعاد و تقريبها إلى أذهان عامة الناس: «اذْ آوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّىءْ لَنَا مَنْ أَمْرِنَا رَشَداً* فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فى الْكَهْفِ سِنِيْنَ عَدَداً* ثُمَ بَعَثْنَا هُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ احْصَى لِما لَبِثُوا امَداً* وَ كَذلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلُ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمَا اوْ بَعْض يَوْم قَالُوا ربُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُم فَابْعَثُوا احَدَكُمْ بِوَرَقِكُمْ هَذِهِ الَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ ايُهَا ازْكى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْيَتَلَطَّفْ وَ لَايُشْعِرَنَّ بِكُمْ احَداً. انَّهُمْ انْ يَظْهَرُوا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۵ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ اوْ يُعِيدُوكُمْ فى مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا اذاً ابَداً* وَكَذلِكَ اعْثَرنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا انّ وَعْدَاللَّهِ حَقٌّ وَ انَّ السَّاعَةَ لَارَيْبَ فِيهَا» «۱». هل وردت هذه القصة فى سائر الكتب السماوية غير القرآن؟ هل ذكرت فى المصادر التاريخية؟ هل يعقل مثل هذا العمر الطويل لبشر- و فى النوم و دون وجود الطعام؟ وبغض النظر عن كل ما سبق كيف لهذه الحادثة أن تساعد فى إدراك مسألة المعاد؟ هذه هى الأسئلة التى تثار حول هذه الحادثة و لابدّ من الردّ عليها جميعاً. *** للإجابة على السؤال الأول و الثانى لابدّ من القول: لم تتعرض أى من الكتب السماوية لقصة أصحاب الكهف سواء الكتب الأصلية أو المحرفة، و لابدّ أن يكون الأمر كذلك، حيث يفيد التاريخ أنّ تلك الحادثة قد وقعت فى القرون التى أعقبت ظهور المسيح عليه السلام. و بالضبط وقعت على عهد دقيانوس الذى جرع المسيحيين أنواع العذاب، فقد صرّح المؤرخون الاوربيون أنّ هذه الحادثة وقعت خلال سنوات ۴۹ إلى ۲۵۱ م، كما يرون أن مدّة نومهم إستغرقت ۱۵۷ سنة و يطلقون

عليهم «نيام افسوس السبع» «۲» بينما يعرفون عندنا ب «أصحاب الكهف». و لابدّ أن نرى الآن أين منطقة «افسوس» و من هو أول من كتب بخصوصهم، و فى أى قرن كانوا، فافسوس أو افسس بضم الألف و السين هى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۶ إحدى مدن آسيا الصغرى (تركيا الحالية و هى قسم من روما الشرقية القديمة) تقع على بعد أربعين ميلًا إلى الجنوب الشرقى من «ازمير» التى كانت تعتبر عاصمة الملك «ايونى». و لافسوس شهرة عالمية بسبب معبدها المعروف «ارطاميس» و الذى يعد من عجائب الدنيا السبع. «۱» يقال: قم العالم النصرانى «جاك» زعيم الكنيسة السورية لأول مرّة فى القرن الخامس الميلادى بتأليف رسالة باللغة السريانية شرح فيها قصة أصحاب الكهف. ثم قام «جورجيوس» بترجمتها إلى اللغة اللاتينية و أطلق عليها اسم «جلال الشهداء». «۲» و هذا يدل بدوره على أنّ تلك الحادثة قد اشتهرت لقرن أو قرنين قبل ظهور الدعوة الإسلامية فى الأوساط المسيحية و اهتمت بها الكنيسة، و كما ورد سابقاً فإنّ هناك بعض الاختلافات- من قبيل مدّة نومهم- مع ما ورد فى المصادر الإسلامية حيث ذكر القرآن تلك المدّة صراحة على أنّها كانت ۳۰۹ سنة. من جانب آخر فقد نقل «ياقوت الحموى» فى كتاب «معجم البلدان» (ج ۲ ص ۸۰۶) و «إبن خردادبه» فى كتاب «المسالك و الممالك» (ص ۱۰۶- ۱۱۰) و «أبو ريحان البيرونى» فى كتاب «الآثار الباقية» (ص ۲۹۰) أنّ جمعاً من السيّاح وجدوا كهفاً فى مدينة «آبس» كان يضم بعض الأجساد اليابسة ويعتقدون أنّها ترتبط بأصحاب هذه القصة. و الذى تفيده الآيات القرآنية فى سورة الكهف و ما ورد فى الروايات المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۷ الإسلامية من أسباب النزول بهذا الخصوص أنّ الحادثة المذكورة كانت مشهورة أيضا كحادثة تأريخية بين الأوساط اليهودية، و هكذا يتبيّن أنّ هذه القصة قد وردت فى مختلف المصادر التاريخية للأقوام. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۹

حقيقة أم خيال؟

اشارة

قلنا أنّ قصة أصحاب الكهف (نيام مدينة افسوس) حقيقة تاريخية ذكرت أسنادها فى التواريخ الشرقية و الغربية، و نسلّط الضوء الآن على هذه القصة على أساس و جهات النظر العلمية المعاصرة: ربّما يتردد البعض إزاء تلك المدّة الطويلة لنوم أصحاب الكهف و لا يراها تنسجم و الموازين العلمية فيعتقد أنّها من قبيل الأساطير و الخرافات وذلك لأنّ مثل هذا العمر الطويل الذى يستغرق عدّة مئات من السنين يبدو مستبعدا بالنسبة لأفراد البشر فى حالة اليقظة فضلًا عنهم فى حالة النوم، هذا من جانب، و من جانب آخر لو سلمنا بمثل هذا العمر لمن كان فى حالة اليقظة فانّنا لا نسلم به بالنسبة لمن كان فى حالة النوم و الرقود، فهناك مشكلة الأكل و الشرب، فكيف يبقى الإنسان حياً هذه المدّة دون طعام وشراب، و لو فرضنا متوسط ما يلزم الإنسان من طعام و شراب كل يوم كيلواً واحداً ولتراً من الماء، فالذى يلزم لأصحاب الكهف أكثر من طن من الطعام و مئة ألف لتر من الماء، و هو المقدار الذى لايمكن خزنه فى الجسم. و من جهة أخرى فلو أغضفنا الطرف عن كل ما مضى فهناك إشكال آخر يرد هنا و هو أنّ بقاء الجسد فى ظل ظروف رتيبة و بهذه المدّة الطويلة إنّما المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۰ يؤثر على عضوية البدن و يسبب خسائر فادحة. *** قد تبدو هذه الإشكالات كعقبات كؤود تعترض سبيل هذه المسألة للوهلة الأولى و الحال ليس الأمر كذلك، فالمدّة الطويلة للعمر- لمئة سنة وحتى أكثر من ألف سنة- ليست بالمسألة غير العلمية، فانّنا نعلم بعدم وجود مدّة معينة لطول العمر بالنسبة لأى كائن حى من الناحية العلمية بحيث يقطع بموته الحتمى لمجرّد حلول تلك المدّة، بعبارة أخرى صحيح أنّ القوى البدنة للإنسان بالتالى محدودة مهما كانت و آيلة إلى الافول، إلّا أنّ هذا لا يعنى عدم إمكانية عيش و تعمير إنسان أو كائن حى آخر لأكثر من المدّة العادية، و مثلًا حين يبلغ الماء درجة المئة الحرارية فإنّه يغلى، و إن بلغ الصفر يجمد، فإن بلغ الإنسان مئة و خمسين سنة توقف قلبه عن الدق و حلّ أجله، بل معيار طول عمر الكائنات الحيّة يعتمد إلى حدّ على أوضاع وظروف الحياة المعاشية و يتغير تبعاً لتغيرها. و الشاهد الحى على هذا الكلام هو إنّنا

نرى من جهة أنّ أحداً من علماء العالم و مفكريه لم يصرّح بوجود ميزان معين لعمر الإنسان، و من جانب آخر فقد تمكنوا فى مختبراتهم أحياناً من مضاعفة طول عمر بعض الكائنات الحيّة إلى ضعفين، بل و أحياناً أخرى إلى أثنى عشر ضعفاً أو أكثر، و هم يبشروننا اليوم بأنّ عمر الإنسان سيزداد فى المستقبل عدّة أضعاف عمره الفعلى فى ظل تطور الأساليب العلمية. هذا خلاصة الكلام بشأن مسألة طول العمر. و أمّا بالنسبة للطعام و الشراب فى هذا النوم الطويل، فلو كان النوم عادياً لكان الحق لمن أورد الإشكال فى أنّ هذه القضية لا تتفق و أسس المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۱ العلم، لأنّ إستهلاك طعام البدن حين النوم العادى أقل منه عادة فى اليقظة، و على هذا الأساس فسيكون كثير جداً بالنسبة لتلك السنوات المديدة، ولكن ينبغى الإلتفات إلى وجود نوم فى عالم الطبيعة يكون إستهلاك طعام البدن فيها قليلًا للغاية.

السبات الشتوى

هناك الكثير من الحشرات التى تنام طيلة الشتاء، أى تغط فى نوم شتائى، وتتوقف تقريباً مختلف النشاطات الحيوية فى مثل هذا النوع من النوم، فلا يبقى إلّابصيص منها، فالقلب يتوقف تقريباً عن الدق، أو بتعبير أدق تكون دقاته على درجة من البطىء بحيث لا يمكن الشعور بها، و فى مثل هذه الحالة يمكن تشبيه البدن بالكوّر العظيمة التى تبقى منها ولّاعة مشتعلة حين إنطفائها. فمن الواضح أنّ ما تتطلبه تلك الكورة من المواد النفطية فى اليوم لتقذف بلهيبها إلى عنان السماء يمكنه أن يكفى لعشرات بل مئات السنين لإشكال ولّاعة صغيرة (طبعاً يتوقف هذا الأمر على الشعلة العظيمة حال إيقاد الكورة وولّاعتها). يقول العلماء بشأن سبات بعض الحشرات لو أخرجنا و زغاً من مكانه حين شتاء، فانّه يبدو ميتاً، لا هواء فى رئته، و دقات قلبه ضعيفة لايمكن تحسسها ... هناك الكثير من الحيوانات التى تسبت فى الشتاء كالفراشات والحشرات والحلزونات و الزواحف، كما قد تسبت بعض الحيوانات من فصيلة الثدييات، فانشطة الحيوانات تبطىء جدّاً فى مدّة سباتها فتستهلك دهنياتها المدخرة فى بدنها تدريجياً، و المراد من ذلك أنّ لدينا نوم تقل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۲ فيه الحاجة إلى الغذاء جدّاً، و تبلغ الأنشطة الحياتية فيه درجة الصفر، و هوالأمر الذى يحول دون إستهلاك الاعضاء و طول عمر هذه الحشرات، و يبدوأنّ السبات الشتوى فرصة ثمينة بالنسبة للحيوانات التى يحتمل عدم استطاعتها الحصول على الطعام فى الشتاء.

نموذج آخر: دفن المرتاضين

لقد شوهد أيضا بشأن المرتاضين أنّ بعضهم و بمرأى من الناس الذين لفهم الذهول و الأندهاش قد وضعوا فى تابوت و دفنوا فى التراب لمدّة اسبوع، وما إن تمّت تلك المدّة حتى أخرجوا و قد عادوا إلى حياتهم العادية بعد أن أجرى لهم تنفس صناعى. قد لا تكون الحاجة إلى الطعام خلال هذه المدّة، إلّاأنّ الحاجة إلى اوكسجين الهواء فى غاية الأهميّة، فالكل يعلم أنّ خلايا الدماغ حساسة جدّاً تجاه الاوكسجين بحيث لاتستغنى عنه أبداً سوى لبضعة دقائق. و السؤال الذى نطرحه: كيف يتحمل هذا المرتاض الهندى قلّة الاوكسجين لمدّة تستغرق اسبوعاً؟ لا تبدو الإجابة على هذا السؤال صعبة بالنظر لما أوردناه سابقاً، فنشاط بدن المرتاض خلال هذه المدّة يتوقف تقريباً، و عليه تقل حاجة الخلايا بشكل ملحوظ إلى الاوكسجين و إستهلاكه بحيث يكفى الهواء الموجود فى التابوت لتغذية خلايا البدن طيلة تلك المدّة.

تجميد بدن الإنسان الحى

هناك عدّة نظريات و أطروحات بشأن تجميد بدن الأحياء بما فيها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۳ الإنسان من أجل إطالة عمرها، و قد وردت بعض تلك الأبحاث حيز التطبيق. و على ضوء هذه النظريات فإنّه يمكن إيقاف حياة الإنسان أو الحيوان بعد تعريضه إلى

برودة تصل إلى الصفر دون أن يموت حقيقة، و بعد مدّة معينة يجعل فى درجة حرارة مناسبة فيعود إلى حالته العادية ثانية. و قد طرح مثل هذا الإقتراح بخصوص الرحلات الفضائية إلى الكرات البعيدة التى قد تستغرق أحياناً مئات أو آلاف السنين حيث يجعل بدن رائد الفضاء فى محفظة خاصة و تجميده، و بعد سنوات مديدة حين يقترب من الكرات المطلوبة تعاد إليها الحرارة الاعتيادية بواسطة جهاز تلقائى فيعود إلى حالته العادية دون أن يكون قد هدر شيئاً من عمره. لقد نشر هذا الخبر فى إحدى المجلات العلمية، كما ألف «روبرت نيلسون» فى السنوات الأخيرة كتاباً بشأن تجميد بدن الإنسان لإطالة عمره و قد كان لذلك الكتاب صدى واسعاً فى عالم العلم و المعرفة. و قد صرّح فى مقالة وردت فى المجلة المذكورة بهذا الخصوص أنّ فرعاً علمياً من بين الفروع قد ظهر بهذا الشأن، و جاء فى المقالة المذكورة: «إنّ الحياة الخالدة كانت من الأحلام الذهبية و العريقة للإنسان على مدى التاريخ، أمّا الآن فقد أصبح هذا الحلم حقيقة، يدين بالفضل للتطور الهائل الذى حققه العلم المعاصر الذى يعرف بعلم الكريونيك (العلم الذى يصحب الإنسان إلى العوالم المنجمدة و يحفظه كبدن منجمد على أمل أن يعيده العلماء يوماً إلى حياته). هل يعقل هذا المنطق؟ إنّ أغلب العلماء و المفكرين البارزين يفكرون فى هذه المسألة من عدّة جوانب، و قد خاضت فيه بعض الصحف العالمية، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۴ والأهم من كذلك أنّ هناك برنامجاً الآن بهذا الخصوص فى حيز التنفيذ» «۱». و قد أعلنت الصحف قبل مدّة أنّه ثم العثور فى الثلوج القطبية و التى تدّل أغطيتها على أنّها تعود إلى ما قبل آلاف السنين على سمكة منجمدة وبمجرّد أن قذفت فى ماء معتدل بدأت حياتها من جديد وقد أصابت الجميع بالذهول لما شرعت بالحركة. واضح أنّ الاجهزة حتى فى حال الانجماد لا تتوقف كما هى عليه الحال فى الموت، لأنّ العودة إلى الحياة فى تلك الحالة ليست ممكنة. و الذى نخلص إليه ممّا مرّ معنا هو إمكانية إيقاف الحياة و شل حركتها لتتحرك ببطىء تام، و الدليل على ذلك مختلف الدراسات و الأبحاث العلمية الواردة بهذا الشأن. و فى هذه الحالة يبلغ إستهلاك البدن للطعام الصفر، يمكن للاحتياطى الزهيد المخزون فى البدن أيديم الحياة بهذا البطىء لسنوات عديدة. *** قطعاً نوم أصحاب الكهف لم يكن نوماً عادياً طبيعياً على غرار نومنا، بل كان نوماً إستثنائياً، و عليه فليس من العجيب ألا يشكو من قضية الطعام ولا من الضرر على مستوى عضوية البدن بسبب ذلك النوم الطويل! و الطريف فى الأمر أنّ الذى يفهم من آيات سورة الكهف بشأن هذه المسألة هو أنّ طريقة نومهم كانت تفرق عن النوم الاعتيادى: «وَ تَحْسَبُهُمْ ايْقَاظاً وَ هُمْ رُقُود ... لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مَنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مَنْهُمْ رُعْباً» «۲» .المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۵ فالآية تدل على أنّ نومهم لم يكن عادياً، بل كانوا يعيشون حالة تشبه حالة الميت- بعين مفتوحة-، أضف إلى ذلك فقد صرّح القرآن بأنّ الشمس لم تكن تشرق على جوف الكهف، و بالنظر إلى أنّ الكهف كان فى أحد مرتفعات آسيا الصغرى فقد كانت منطقة باردة؛ الأمر الذى يكشف عن الشرائط الاستثنائية لنومهم، من جانب آخر القرآن قائلًا: «... وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الَيمينِ وَ ذَاتَ الشِّمالِ» «۱». و هذا يدل على أنّهم لم يكونوا يعيشون عملية رتيبة واحدة، فما زالت هنالك بعض العوامل الخفية الدخيلة فى الأمر و التى بقيت مجهولة علينا (فيحتمل كانت تحدث مرّة كل سنة) تقليبهم على جهة اليمنى و الشمال للحيلولة دون المساس بعضوية أبدانهم. *** يبدو إنّ البحث العلمى بهذا الشأن قد إتضح تماماً، و النتيجة التى يخلص إليها منه لا تدع من مجال للنقاش بشأن مسألة المعاد، و ذلك للشبه الواضح بين النهوض من ذلك النوم الطويل و النهوض للحياة بعد الموت والذى يقرب قضية المعاد إلى الأذهان.

الطريق السادس: فترة الجنين شبح من القيامة

اشارة

«يَا ايُّها النَّاسُ انْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَانّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فى الأَرحَامِ مَا نَشاءُ الَى اجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» «۱» . إنّ الاعتياد على شىء رغم أنّه يحل كثيراً من مشاكلنا إلّاأنّه قد

يكون مصلّاً أحياناً، و ذلك لأنّ بعض المواضيع الساذجة التى لم نرها سابقاً ونتعودها تبدو لنا مهمّة من قبيل نمو أسنان الفرس أو الطير الذى يضع البيض الكروية أو المخروطية الشكل بحيث تتناقلها الألسن بشىء من الغرابة، بينما تبدو لنا عادية تماماً كسائر المواضيع العجيبة للغاية و التى تنطوى على عدّة أسرار و ذلك لتعودنا عليها، فعادة ما نسمع أنّ السيدة الفلانية أنجبت ولداً فنقول: مبارك عليها إنشاءاللّه، إلّاأنّنا لا نكلّف أنفسنا عناء أى تفكير بالحوادث العجيبة والتغيرات التى عرضت على رحم المرأة طيلة تسعة أشهر والتى لايمكن توضيح حقيقتها بمئة كتاب، فذرة ترابية ترد البدن الإنسانى عن طريق النباتات فتمتزج معه فتصير بهيئة خلية حيّة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۸ فى الرحم و تختلط بخلية أنثوية لتشكل بويضة، ثم ينشط هذا الكائن الآحادى الخليّة بسرعة مذهلة ليشق طريقه التصاعدى الهندسى خلال عدّة شهور ليتحول إلى كائن له آلاف المليادرات من الخلايا. و كأنّ فريقاً من الرسّامين المهرة قد تجمعوا فى ذلك الوسط المظلم وانهمكوا ليل نهار بالرسم فأحالوا كل مجموعة من هذه الخلايا بشكل و قد سبغوا عليه ألواناً و كيفيات خاصّة معينة. نعم هناك عشرات المهندسين و الفيزيائين و الكيميائين الذين يتفنون فى صنع أجهزته الحساسة و الدقيقة و يصنعون كائناً من عدّة غرامات من الحديد إلى جانب بعض الغرامات من الكالسيوم و الفسفور و الكاربون و ... ومقدار كثير من الماء الكائن الذى يعجز عن مصافاته أكبر العقول الألكترونية و أعظم الصناعات العالمية الثقيلة و أدق الأدوات و الوسائل والأجهزة و أجمل ألواح الدنيا. و الجدير بالذكر أنّ الإنسان يتابع بعد ولادته حركة هادئة و تدريجية ذات تكامل كمى لا كيفى، فحركته فى المحيط الهائج للرحم سريعة جدّاً ومغيرّة وهى تكشف عن غطاء عجيب كل اسبوع بل كل يوم. إنّ التطورات المتتالية و المذهلة للجنين فى عالمه هى بمثابة الذهول من جراء تحول إبرة صغيرة بعد عدّة شهور إلى طائرة تحلق دون طيار، فالجنين حين يكون فى مرحلة «المورول» و خلاياه كحبّة ثمرة التوت تجتمع حول بعضها دون أن يكون لها شكل مشخص، و حين يكون فى مرحلة «البلاستول» و تظهر حفرة التقسيم التى تعتبر بداية لتقسيم نواحى الجنين، و حين يبلغ الطبقات الثلاث للكاسترول و هى «الاندوديرم» و «الاكتوديرم» و «المزوديرم» ففى كل هذه المراحل تكون خلايا الجنين المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۹ شبيهة لبعضها البعض الآخر و لايوجد أدنى أثر لاختلاف أعضاء الإنسان، ولكن فجأة تحدث تغييرات فى الأغشية الثلاث للجنين بحيث تتغير أشكالها بما ينسجم و الوظيفة التى تقوم بها فتبدأ الأعضاء بالبروز، لا أحد يعرف أى الظروف دعت لحصول هذه التغيرات فى الخلايا المتشابهة تماماً، فأسرارها مكتومة خفيفة كسائر أسرار الجنين، و بالطبع تتم كل هذه المراحل فى وسط لا سبيل للوصول إليه و يخضع تماماً للسيطرة الداخلية للبدن. القرآن الكريم من جانبه يخاطب اولئك الذين يرون إستحالة الحياة بعد الموت بأنّ القيامة و البعث سوف لن تكون أبعد ممّا تشاهدونه من هذا التبدل السريع الذى تتحول بموجبه النطفة إلى إنسان، و عليه فكيف يمكن للإنسان الشك فى القيامة و هو يشاهد علم الجنين. و الآية التى تصدرت البحث، أشارت فى البداية إلى تبدل التراب بكائن حى و هى طفرة عظيمة، ثم أشارت إلى المراحل المختلفة للجنين و التى تعتبر كلها قفزات متتالية نوعية بالنسبة للجنين، ثم يدعو منكرى البعث و القيامة إلى التوقف عند هذه المسائل، و فى عصر لم يكن فيه علم الأجنة علم مستقبل، بل لم يكن حتى جزءاً من العلوم، فلم تكن هناك سوى معلومات ناقصة بهذا الشأن، والتعبير القرآنى فى الآية المذكورة عن القيامة بالبعث كأنّه إشارة لطيفة إلى معنى «الطفرة» التى تحصل فى القيامة على غرار دنيا الرحم، و هذا طريق آخر من الطرق التى سلكها القرآن الكريم من أجل تعريف الناس بالقيامة.

شبح القيامة

الحقيقة هى أنّنا إذا أردنا أن نجسد شبح القيامة و نقارنه بوضع الحياة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۰ فى هذا العالم، فإنّ أفضل طريق لذلك هو ما نفكر به حول الإنسان فى عالم الجنين والذى يبلغ العقل و الشعور ثم يفكر فى المراحل التى تعقب الولادة، فسوف يكتشف من خلال القرائن: ۱- أنّ محيط الرحم محدود جدّاً و لذاته زهيدة و إمكاناته قليلة و مدّته قصيرة مثل محيط هذا العالم إزاء العالم الآخر بعد الموت، فهو صغير ومحدود وزهيد و قصير المدّة. ۲- أنّ الفترة التى يعيشها الجنين هى فترة إستعداد و تأهب من أجل

القدوم على محيط أوسع و أكبر كهذا العالم- لا أنّها فترة مثالية مستقلة- فهى بمثابة الحياة فى هذا العالم حيث تعتبر هذه الحياة مرحلة إستعداد وتأهب لتلك الحياة الخالدة فى العالم الآخر. ۳- حياة الجنين تنطوى على أنواع المشاكل و الويلات كالحياة الدنيا فى هذا العالم إزاء الحياة الآخرة مشوبة بمختلف الكدورات و المنغّصات.

القيامة فى تجليات الفطرة

اشارة

* إن خلقنا للفناء فكيف نفسر غريزة حبّ البقاء؟ * لو لم تكن القيامة قضية فطرية، لماذا لم تنفك هذه العقيدة عن البشر على مدى التأريخ؟ * ليس من المعقول أن تكون هناك فى باطننا محكمة، و ليس هنالك من حساب و كتاب فى هذا العالم الكبير! *** تمّت الأبحاث الابتدائية حول القيامة. و حان الآن دخول ذى المقدمة فنتناول بالبحث عن أدلة إثبات ذلك العالم بخصائصه و مميزاته على ضوء ما يسعه إدراكنا نحن الذين نعيش السجن فى الجدران الأربعة لهذه الدنيا.

۱- الفطرة، أول دليل على الطريق

لندع كل شىء جانباً و لنستمع إلى النداء الذى ينطلق من باطننا، فهل هناك زمزمة عن الحياة بعد الموت، هل هذه المسألة مطروحة لدى القلوب أم لا؟ لماذا إتجهنا فى البداية إلى هناك؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۲ لا داعى لهذا التعطيل ... لأنّ حوادث العالم ظهرت هناك سابقاً. توضيح ذلك: كما تتألف روحنا من جهازين «تلقائى» و «غير تلقائى» فإنّ القوانين الكبرى للعالم قد تبلورت فى مجالين؛ قوانين الخلق «التكوين» و قوانين التعاقد «التشريع» و كأنّ القوانين الأولى تشكل جهازنا الروحى التلقائى و الثانية غير التلقائى. فقوانين الخلق تشق سبيلها دون إرادتنا و عزمنا و توجهنا، و هى على غرار أجهزتنا التلقائية التى لا تكترث لإرادتنا، أمّا القوانين التشريعية و ما يتعلق بالتربية و التعليم فهى تابعة لإرادتنا، و ممّا لاشك فيه أنّ كل قانون بصفته قانوناً سماوياً أوحى للنبى قد كانت له جذور فى الخليقة و قد صودق من قبل مجلس الخليقة، و الحقيقة هى أنّ هذين الجهازين هما الخيوط الأصلية لنسيج الوجود، فهل يمكن لخيوط قماش أن تتضارب مع بعضها؟ قطعا لا. و إلّالما كان هناك قماش و لابدّ أن تكون مكملة لبعضها البعض للحصول على قماش جميل، على سبيل المثال وجودنا فى هذا العالم دون علم يحيله إلى خواء لاروح فيه و ليس له من قيمة، و من هنا فإن عصب عالم الوجود تكاتف ليسوقنا نحو العلم والمعرفة. فقد طرح بادىء الأمر حبّاً شديداً فى أعماق روحنا بحيث لاينفصل عنّا لحظة من المهد إلى اللحد، فأحياناً بمطالعة المجرّات و أخرى بما يجرى فى المريخ و يوماً بخلايا أبداننا و آخر بأسرار أعماق البحار و المحيطات والغابات، والخلاصة إنّ هذا المحرك التلقائى لاينفك عنّا لحظة واحدة. و الطريف إنّنا نشاهد فى التعاليم الدينية شبيه ذلك تجسيداً لنداء الخلقة والفطرة: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ الَى اللَّحْدِ» «۱». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۳ و عليه فليس فقط لأصل «التوحيد» بل جميع الأصول و الفروع وتعليمات الأنبياء جذور فى فطرة الإنسان و إنّ كافة و صايا الأنبياء على كافة الأصعدة إنّما تربى الفطرة الإنسانية و تنميها، و هنا نخلص إلى نتيجة مفادها إننا إذا شعرنا بتعلق فطرتنا بشىء فلابدّ أن يكون لذلك الشىء وجوداً خارجياً. *** و الآن نعود لنرى جذور القيامة و نبحث عنها فى وجودنا:

۲- حبّ البقاء

لو خلق الإنسان للفناء حقاً لوجب أن يعشق ذلك الفناء و لتلذذ بالموت وإن حلّ به فى وقته و فى السنين المتقدمة، و الحال لا نراه يستسيغ الموت (بمعنى العدم) فى أى وقت، ليس فقط ذلك فحسب، بل يعشق البقاء والوجود بكل كيانه، و يبرز هذا العشق من بين

جميع نشاطاته، ما الجهود التى يبذلها من أجل حفظ اسمه و ذكره و بناء الأهرام و المقابر الدائمية وتحنيط أجساد الموتى بتلك التكاليف الباهضة و حتى الرغبة بحياة ولده كامتداد لحياته و ... كل ذلك دلالة واضحة على غريزة حب البقاء لديه، إلى جانب سعيه لإطالة عمره وتعامله مع إكسير الشباب و ماء الحياة التى تشكل أدلة أخرى على ثبوت الحقيقة المذكورة. فلو خلقنا للفناء فما معنى هذا الحبّ و الرغبة بالبقاء؟ لو كان الأمر كذلك لكان هذا الحب و الرغبة ضرباً من العبث و اللغو، لقد تجلت الحقيقة المذكورة بأروع صورها فى كلام الإمام على (ع) إذ قال: «مَا خُلِقْتَ أَنْتَ وَلَا هُمْ لِدارِ الْفَنَاءِ بَلْ خُلِقْتُمْ لِدارِ الْبَقاءِ».

۳- القيامة لدى الأقوام السابقة

كما يشير التاريخ البشرى إلى وجود الأديان لدى الأقوام السالفة، يشهد أيضا باعتقادهم الراسخ بالحياة التى تعقب الموت. و الشاهد على ذلك الآثار التى وصلتنا من الإنسان القديم لما قبل التاريخ ولاسيّما طريقة بناء القبور و كيفية دفن الأموات و التى تدل بأجمعها على أنّهم لم يكونوا يعتبرون الموت نهاية الحياة. فقد ورد فى كتاب عالم الاجتماع «كنيغ» ص ۱۹۲ أنّ التحقيقات تفيد وجود الأديان لدى الطوائف الأولى من البشر، كما لاسلاف الإنسان المعاصر (النياندرتال) حيث كانوا يعتمدون أساليب خاصّة فى دفن أمواتهم و كانوا يضعون أدوات عملهم إلى جوارهم ليبرزوا عقائدهم للعالم. و كتب «ويل دورانت» فى المجلد الأول من تأريخه ص ۲۲۵ لم بنى المصريون لأهرام؟ لاشك لم يكن مرادهم بناء أثر معمارى، و قد قاموا بذلك بدافع دينى. كانت أهرام مصر قبوراً ترقت شيئاً فشيئاً لتخرج من صورتها الابتدائية وتصبح بهذا الشكل. ثم تطرق بالتفصيل إلى عقائد المصريين بشأن الحياة التى تعقب الموت والتى تعدّ الدافع لبناء الأهرام. و الحق أنّ الأهرام المصرية من أعظم و أعجب البناء الذى قامت به البشرية و هى ثلاثة: هرم خوفو و خفرع و منكورع، و قد ضم هرم خوفو بمفرده مليونين ونصف قطعة حجرية تزن كل واحدة منها طنين و نصف، و يصل وزن البعض منها إلى ۱۵۰ طن. و قد إحتلت مساحة من الأرض تبلغ ۴۶ ألف متر مربع! و قد جاءوا بهذه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۵ الأحجار من مسافات تبلغ مئات الفراسخ و قد إشتغل مئة ألف عامل خلال عشرين سنة من أجل بناء هذه الأهرام، حتى قيل إنّ تكاليف الخضرة وبعض الأدوية للعمال بلغت ۱۶ مليون دولار خلال تلك المدّة. «۱» ويتضح من كل هذا مدى رسوخ عقيدة المصريين القدماء بالمعاد (طبعاً العقيدة الممزوجة بالخرافات)، فلا يمكن تجاهل هذه العقيدة و اعتبارها مجرّد عادة أو قضية تلقينية، بل تدل مثل هذه العقائد المترسخة بين عموم الناس على فطريتها و إستنادها إلى أعماق روح الإنسان، لأنّ الفطرة والغريزة التى يمكنها الصمود إزاء العواصف الشديدة لمرور الزمان والتطورات الاجتماعية والفكرية، فتبقى ثابتة مستقرة.

۴- القيامة الصغرى و الكبرى

كما أشرنا سابقاً بأنّ نموذج القيامة و المحكمة الكبرى إنّما تكمن فى وجودنا، حيث تعقد فى أعماق روح الإنسان فور قيامه بالأعمال الحسنة أو السيئة. فقد تنتابه أحياناً حالة من الفرح و السرور و الهدوء و السكينة الباطنية تجاه بعض الأعمال الحسنة بحيث يعجز القلم و البيان عن وصفها و بالعكس فإذا ما صدر منه خطيئة و مخالفة فإنّه يشعر بالهم و الغم و الألم الذى يعتصره بحيث قد يستعد أحياناً لأن يصلب بهدف الخلاص من مخالب ذلك الإنزعاج. ترى ما الشبه بين هذه المحكمة الداخلية العجيبة و محكمة القيامة العجيبة! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۶ ۱- أنّ القاضى و الشاهد و منفذ الحكم هو واحد، كما هو عليه الحال بالنسبة للقيامة: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ انْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ» «۱». ۲- ليس هنالك من توصية ورشوة و واسطة فى محكمة الضمير بالضبط كما فى محكمة القيامة: «وَ اتَّقُوا يَوْمَاً لَاتَجزى نَفْسُ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَايُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةُ وَ لَايُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَاهُمْ يُنْصَرُونَ» «۲». ۳- تعالج محكمة الضمير أهم و أضخم و أعقد القضايا فى أقل مدّة ممكنة و تصدر أحكامها بسرعة، فلا إستئناف و لاتمييز و لاتجديد نظر و لا أشهر وسنوات من تضييع الوقت، و هذا هو شأن محكمة القيامة: «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَامُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» «۳» . ۴- أنّ العقوبة و الجزاء و خلافاً

للعقوبات العادیـة المتعارفـة فی هـذا العالم فهی تنقـدح فی الباطن ثم تسـری إلی الخارج؛ إنّها تؤرق روح الإنسان فی البدایة ثم تظهر آثارها علی جسـمه و نومه و طعامه، علی غرار القیامـة: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتی تَطَّلِعُ عَلَی الأَفْئِدةِ» «۴». ۵- لاتحتاج محکمة الضمیر إلی الشاهد و الحاضـر و لا تحتاج فی حصولها علی المعلومات إلی خارج الإنسان و نفس الإنسان یدلی بالشهادة لنفعه أو ضرره کمحکمة القیامة التی تشـهد فیها أعضاء الإنسان و جوارحه علی أعماله: «حَتَّی اذَا مَا جَاؤُها شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ» «۵». فهذا الشـبه العجیب بین هـاتین المحکمتین هو دلیل آخر علی کون هـذه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۷ المسألـة فطریة، حیث کیف یعقل وجود مثل هذا الحساب و الکتاب الدقیق والمحکمة السریة العجیبة فی الإنسان الذی یمثل قطرة صغیرة فی محیط الوجود العظیم، بینما لیس هنـاک من حساب و کتاب و لا محکمـة فی هـذا العالم الکبیر، و علیه یمکن إثبات فطریـة الإیمان بالحیاة بعـد الموت من خلال ثلاثة طرق؛ طریق غریزة حبّ البقاء و طریق وجود واستمرار هذا الإیمان طیلة التاریخ البشری و أخیراً عن طریق وجود محکمة الضمیر فی باطن الانسان. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۹

الادله العقلیه للمعاد

الدلیل العقلی الأول: العدالة الشاملة

اشارة

إنّ الإنسان یحاکم فی أربع محاکم فی هـذا العالم أما ... لایسع الإنسان أن یسـتثنی من قانون العدالـة العامة للخلق. نعم یعاقب الإنسان علی ما یبـدر منه خلاف و ظلم فی «أربع محاکم‌مختلفـة» فی هذا العالم و یدفع فیها ثمن جریمته باهضاً، الأولی المحکمةذات الأسـرار «الضـمیر» التی تکتفی أحیاناً یتصـفیة کافة الحسابات بحیث لایبقی شـیء. و الثانیة محکمة «الآثار الطبیعة للعمل» و لاسـیما فی الذنوب ذات البعـد «العـام» حیث یتضـح سـریعاً تـأثیر حکم هـذه المحکمـة، و تاریـخ البشـریة طافـح بالـدروس و العبر بشأن المصـیر المؤلم و المأساوی للمجتمعات إثر الظلم والجور و الإحجاف و التمییز العنصری و الکذب و الخیانة و النفاق و التقاعس حیث إجتثت جذورهم و أصـبحوا عبرة لغیرهم. و الثالثـة محکمـة «جزاء الأعمـال» و هی أغمض من کل هـذه المحاکم وعلاقاتها مجهولـة! و کأن قضاة هـذه المحکمـة جلسوا یتـدارسون الحکم خلف الأبواب المغلقة لیصدروا أحکامهم القاطعة و التی تنفذ بصورة خفیة. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۰ لیس لـدینا لحدّ الآن أی تفسیر علمی لمسألة «الجزاء»، إلّاأنّه لایمکن أن نکرر رؤیتنا مراراً فی حیاتنا أو طالعنا فی صـفحات التاریـخ أنّ الأفراد الظلمة قد واجهوا آخر الأمر جزاءاً جهنمیاً لم یکن أحد قد تکهن به، و العلاقة القائمة بین مصـیرهم الأسود الألیم و أعمـالهم الشائنـة التی إرتکبوهـا لایمکن تفسـیرها عن طریق «الضـمیر» و لا عن طریق «الآثار الطبیعیـة للعمل» کما لایمکن حملها علی الصدفة. و هذا یقوی الإعتقاد القدیم بوجود الجزاء فی الأعمال بصورة غامضة ومبهمة، إلّاأنّه یعمل بشـکل قاطع و صارم. و أخیراً رابع محکمـة هی «المحکمـة الرسـمیة» و العادیـة البشـریة ذات القـدرة الضـعیفة، و التی قد لا تری سوی مورداً واحداً من بین عشـرة موارد وتغیب عنهـا البقیـة، مع ذلـک فأحکامهـا لیست عادلـة تماماً حتی فی هـذا المورد، لأنّه کما نعلم فهی عرضـة للتأثر بهـذا و ذاک، إلی جانب صعوبة تشخیص الحق و العدل والتعامل معه بحزم و من هنا فعادة ما یختل توازن هذه المحکمة.

المحاکم الخاصة

هـذه هی المحاکم الأربعـة التی تواجهنا، إلّاإنّنا إذا أمعنا النظر فی کل واحـدة منها لرأینا أنّه کتب علی بوابة کل منها هذه العبارة «هذه المحکمة خاصة ولا تعالج إلّابعض الجرائم». و خصوصـیة هذه المحاکم لا تحتاج إلی بحث، لأنّ وظیفة المحاکم الرسمیة- کما ذکرنا آنفـا- واضـحة و لیس لها أن تطول جمیع المجرمین المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۱ والآثمین، و لو وسـعها ذلک و إنتصرت للمظلوم

من الظالم، لما إحترق العالم اليوم بنيران كل هذا الظلم و الجور و الاستعباد و الاستعمار و الاستغلال. و أمّا محكمة الجزاء فهى الأخرى لا بُعد عمومى لها، و كأنّى بها ليست إلّا برنامج تربوى و تحذير للجميع من خلال إبانتها لبعض النماذج! و لذلك نرى بعض المجرمين الذين فروا من مخالبها، إضافة إلى أنّ بعض الجنايات قد تكون ثقيلة بحيث لايسعها الجزاء و يقتصر على التعامل مع جانب معين من جوانبها. و أمّا محكمة الآثار الطبيعية للأعمال فهى كسابقتها لها بعد خاص، لأنّ شعاع عمله إنّما يشتمل غالباً على ذنوب تتخذ بعداً عاماً، أو إن إرتكبه فرد لابدّ أن يواصل العمل به لمدّة طويلة ليتضح شؤمه و مرارته، و عليه فإنّ كثيراً من المجرمين و الجرائم خارجة عن نطاق قضاء هذه المحكمة و لم تبق إلّا «محكمة الضمير» و التى أثبتنا خصوصيتها فى الأبحاث السابقة حين تعرضنا إلى وظيفة هذه المحكمة، فلا يتمتع كافة الناس بضمير حى ويقظ، فضعف الوجدان الذى يحصل بسبب عدّة عوامل إنّما يؤدّى إلى هروب جماعة من المجرمين و الجناة الخطرين تحت ذرائع مختلفة من مخالب عقوبات هذه المحكمة. و بناءاً على ما تقدم فالنتيجة التى نخلص إليها من خلال الدراسة الشاملة للمحاكم الأربع المذكورة إلى أنّ أى من هذه المحاكم ليس لها بعداً عاماً و شاملًا بحيث تنزل العقاب بكافة الجناة و المجرمين لإرتكابهم أية جنحة أو جناية بعد مثولهم للمحاكمة، و كأنّها بمنزلة إخطارات و إشعارات متتالية تهدف إلى تربية البشر و إيقاظه ليس أكثر. ***

قانون العدالة فى عالم الوجود

لابدّ أن نرى هنا هل يمكن الوثوق بوجود عدالة عامة و شاملة فى ما وراء هذه الحياة، أم أنّ البشرية تنتقل من هذا المكان دون أن توفى حسابها وليس هناك من شىء ينتظرها! لو ألقينا نظرة إلى الحياة البشرية التى تشكل جانباً صغيراً جدّاً من نظام الخلقة و طالعنا بصورة عامة الوضع العام لعالم الوجود، لرأينا قانون «النظام والعدالة» الذى يحكم جميع الأشياء، و القانون المذكور على درجة من القوّة بحيث إنّ أدنى إنحراف عنه يؤدّى إلى فناء كل شىء «بالعدل قامت السموات و الأرض» «۱». فالنظام و العدالة هى سبب تلك الحركة العظيمة و الوجود والسعة للسموات والأرض و جميع الكرات العظيمة التى ملأت أركان الوجود، و ما استمرار حبة غاية فى الصغر «الذرة» خلال ملايين السنين بتلك الدقة والظرافة التى استعملت فى بنيتها، و الذى ينبغى عادة أن يختل مثل هذا الجهاز اللطيف مبكراً، أنّما هو وليد تلك العدالة و الحساب الدقيق لنظام الالكترونات والبروتونات، فليس هنالك من جهاز- صغير أم كبير- بمعزل عن هذا النظام الدقيق و العدالة العامة الشاملة سوى الإنسان!

هل الإنسان كائن إستثنائى؟

هناك فارق رئيسى بين الإنسان و كافة كائنات عالم الطبيعة، و هو إتصاف الإنسان بتلك القدرة العجيبة التى تعرف بالإرادة و المقرونة بالحرية والإختيار؛ أى إنّه يشخص الأشياء بعد المطالعة و الفكر و البحث فما كان المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۳ لصالحه أتى به وما كان بضرره تركه و من هذه الناحية فإليه تعيين مصيره، و هذا الإمتياز الكبير هو الضامن لتكامله المعنوى و الأخلاقى و الإنسانى، لأنّه لو لم يكن حراً مختاراً و قام مثلًا بالأعمال الحسنة و أسدى الخدمات للناس بدافع الإجبار أو تحت تأثير بعض العوامل الداخلية و الخارجية، لما كان هناك من فرق بينه و بين أحجار الصحراء التى تختزن بينها بعض الأجناس النفيسة و الغالية إلى جانب الرخيصة، و ليس فى هذا الفارق بين الأجناس أى إمتياز أخلاقى. على سبيل المثال لو أجبر شخص بقوّة الحديد و النار على التبرع بعدّة ملايين لمؤسسة خيرية، و قامت تلك المؤسسة ببعض النشاطات، مع ذلك فهذا الأمر لايدعو لأى تكامل أخلاقى و إنسانى لذلك الشخص، بينما لو تبرع طواعية و لو بريال واحد بدافع من حريته و إختياره لأحرز تكاملًا بذلك المقدار، و بناءاً على هذا فالشرط الأول للتكامل الإنسانى و الأخلاقى التمتع بالحرية و الإرادة بحيث يسلك الإنسان طريقه بإرادته، لا من خلال الإجبار من قبيل العوامل الإضطرارية لعالم الطبيعة، و هذا هو الهدف الذى من أجله منح اللّه سبحانه الإنسان هذا الإمتياز العظيم (عليك بالدقة). و من

الطبيعى أن يستغل بعض الأفراد هذه الحرية فيرتكبون مختلف الجنايات، طبعاً إذا نوى الإنسان الذنب وأتى به فقد أران على قلبه، و إن أكل مال اليتيم سار برجله نحو الموت، و حين يمد يده إلى سرقة- على حد زعم ذلك الرجل الأبله الذى كان يحدد وظيفة اللّه- تتيبس فوراً و يكتب إسمه بخط واضح و كبير على صفحة السماء أنّه سارق، طبعاً ليس هنالك لإنسان أدنى فخر إمتياز إنسانى و تكامل روحى فيما إذا لم يقارف الذنوب تحت طائلة الإجبار ... هذا من جانب. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۴ و من جانب آخر لايمكن للإنسان أن يستثنى من قانون العدالة الذى يمثل أمر الخالق فى كافة أرجاء عالم الوجود، فليس هنالك من مبرر لهذا الاستثناء، و من هنا نوقن بأنّ هناك محكمة سيمثل فيها الجميع دون إستثناء، و سينالون نصيبهم من العدالة العامة لعالم الخليقة (عليك بالدقة أيضا). ***

الدليل العقلى الثانى: تقول فلسفة الخلق هنالك عالم بعد الموت

اشارة

إنّ معرفة فلسفة الخلق و خلقة الإنسان تساعد فى التعرف على عالم ما بعد الموت بالتالى سيأتى اليوم الذى تسكن فيه المنظومة الشمسية! هل ستتوقف عجلة تكامل الإنسان بعد كل ذلك الرقى و التطور؟ أليس هذا من العبث؟ غالباً ما يطرح هذا السؤال: ما فلسفة خلقنا و هذا العالم الواسع؟ ماذا كان سيحدث لو لم نخلق؟ إن الفلاح يزرع الأشجار ليحصد الثمار، فما الذى يحصده فلاح عالم الوجود من زرعنا؟ إنّنا لا نفهم لم جئنا؟ و ما الهدف منّا؟ و لماذا سنرحل من هنا؟ و من هنا نشعر بالعبثية و إنّ هذا الشعور المؤذى لينتابنا كلما فرغنا من أعمالنا وإستغرقنا فى التفكير. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۶ و يبدو من خلال المطالعات و الآثار إنّ هذا الشعور كان سائداً أيضاً لدى بعض الفلاسفة و الشعراء. و لعلنا أشرنا سابقاً أنّه لابدّ من الانطلاق من نقاط بسيطة و واضحة للإجابة على هذه الأسئلة التى قد تبدو صعبة و معقدة، و قد تكون تلك النقاط الواضحة هى الأسس التى أرسى عليها الفيلسوف الفرنسى المعروف «ديكارت» دعائم مدرسته. لنفرض أنّنا مررنا بمنطقة فوقعت أعيننا على بناية عظيمة وضخمة قد فرغ منها للتو، فيطالعنا فيها الاسلوب الدقيق و الخارطة الممتازة و العمارة الرصينة و الانارة الكافية و الاختيار الصحيح للمواد و ما إلى ذلك من الأمور التى تشير إعجابنا، فإنّنا نرى كل شىء قد وضع مكانه على ضوء تخطيط دقيق، إلّاأنّنا لا ندرى ما هو الغرض الذى من أجله بنى هذا المبنى الضخم؟ فهل يجيزنا العقل أن نعتقد بأنّ كافة أجزاء هذا المبنى قد بنيت لتحقيق هدف و وفق خارطة معينة، بينما ليس للمبنى بأجمعه أى هدف ووجد للعبث؟ ... قطعاً لا، فمن كان له هدف فى الجزء كيف لا يكون له ذلك فى الكل؟*** و الآن نغوص فى الباطن العميق لمصنع وجودنا و نشاهد القلب الذى يعمل بصوت موزون و حركات منظمة متتالية دون أدنى توقف، كما نرى تفرعات القلب من قبيل البطين و الاذين و الأوردة و الشرايين التى تضخ الدم و تلك التى تستقبل الدم، كما نرى هدف كل واحد منها و هى تتحرك وتنشط للقيام به، بحيث لا نرى أى شىء زائد فى هذه المضخة، ثم نتجاوز القلب و نتيجة صوب المعدة ثم الكبد و الكلية و الرئة و العظلات و ... فنرى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۷ لكل عضو هدفه ووظيفته. ثم نرد بعد ذلك جهاز الدماغ المذهل و نتعرف على هدفه و وظيفته، بعد ذلك نستغرق فى التفكير لنطرح على أنفسنا هذا السؤال: أو يمكن أن يكون لأصغر أجهزة البدن و الأعضاء- حتى أهداب العين- هدفاً، بينما لا يكون هناك أى هدف للإنسان ككل؟ فهل يسمح لنا العقل بطرح مثل هذا الاحتمال و التفكير به؟ ثم نخرج من باطننا العميق و نتسلق أجنحة الملائكة لنحلق معها و نسير فى عالم الوجود لنرى كل ذرة و قد كتب على لوحة إلى جانبها الهدف من خلق هذه الذرة، و هو الأمر الذى تمكننا من الوقوف عليه فى ظل تطور العلوم والمعارف. فقد وقفنا على الهدف الذى تنطوى عليه جميع ذرات العالم، أفهل يمكن ألّا يكون هناك هدف للعالم بأسره؟ أو ليس هناك من لوحة نصبت إلى جانب هذا العالم الواسع المترامى للدلالة على هدفه النهائى، إلّاأنّ عظمتها لم تجعلنا نراها للوهلة الاولى وهل من عبارة كتبت على

تلك اللوحة سوى «التكامل و التربية» «۱». و الآن بعد أن عرفنا بأنّ هدف الخلق هو تكاملنا و تربيتنا و هذه هى فلسفة خلق الإنسان، و لابدّ أن نرى هل سينتهى هذا التكامل بموتنا، بحيث ينتهى كل شىء عند الموت؟ هل يمكن لهذه الدنيا بمدّتها القصيرة و كل هذه المصاعب و الويلات أن تكون هدفاً لهذا الخلق العظيم؟***

هل نحن جسر لترقى الآخرين؟

يمكن أن يقال إنّ عالم البشرية لاينتهى بموتنا، بل فمنح مكاننا لأفراد أكثر منّا رقيّاً و تطوراً، و هكذا تسير قافلة التكامل إلى الأمام فاليوم فى المجالات المادية و التكنولوجية و غداً فى المجالات الأخلاقية و الإنسانية، و بناءاً على هذا فإن فلسفة الخلق هو تكامل و تربية النوع الإنسانى لا الأفراد، و مثل هذا التكامل لايتوقف بموت الأفراد و يسير قدماً، إلّا إنّ هذه الإجابة تشبه الدواء المسكن، فهى لا تحل المشكلة الأصلية من جذورها و ذلك لأنّه: أولًا: أليس إستمرار تكامل نوع الإنسان بفناء فرد و زواله هو تمييز عنصرى ظالم؟ فإن كانت نتيجة حياتنا هى تمهيد السبيل و توفير الأرضية الخصبة من أجل رقى و تطور الآخرين القادمين و ليس لنا من ذلك سوى أن تكون جسراً لترقيهم فيحصلون عليه دون أدنى جهد أو عناء بينما نشقى فمن أجل إعداده لهم، أفليس يتناقض هذا و العدالة المطلقة التى تحكم عالم الوجود؟ (لأنّ كل هذه الأبحاث ترد بعد الإقرار بوجود اللّه و صفاته). و عليه فلا يمكن للموت أن يكون نقطة إنتهاء حتى بالنسبة للفرد، و إلّا لأصبحت حياة فرد حى عبثية لاطائل من وراءها. ثانياً: يخبرنا جميع العلماء: أنّ السيارة التى نعيش عليها ستؤول إلى السكون فى المستقبل- المستقبل الذى ليس ببعيد من حيث المقاييس الفضائية- كما ستظفىء بالتدريج الحضارة الرفيقه و التكامل لذلك الزمان، وتتحول الأرض إلى كرة خربة و باردة و ساكنة، و آنذاك يبرز هذا السؤال: ما الذى حصل من هذا الذهاب و الإياب؟ ألا يشبه هذا الأمر صنع لوحة نفيسة و جميلة للغاية و من ثم كسرها و تحطيمها؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۹ أمّا إن قبلنا بأنّ حياة الإنسان ستعيش اللانهاية و الخلود فى عالم أوسع، آنذاك نستطيع لمس فلسفة الخلق بوضوح و نعيش استمرارية قانون التكامل. و بناءاً على هذا فإنّ فلسفة الخلق و قانون التكامل يقول للإنسان لا يمكن للموت أن يكون نهاية الحياة، و ستستمر الحياة بشكل أرفع وأسمى بعد الموت.***

إنعكاس هذا المنطق فى القرآن

رغم أنّ القرآن الكريم تحدث على هامش مختلف السور القرآنية عن القيامة والحياة ما بعد الموت و خاض فى تفاصيلها، مع ذلك نرى بعض السور التى تصدت لقضية المعاد من بدايتها إلى نهايتها، و من ذلك سورة الواقعة التى تعالج تقريباً بأجمعها المعاد. و قد تعرضت آياتها (من الآية ۵۷ إلى ۷۳ تقريباً سبع عشرة آية) إلى بحث فلسفة الخلق و قانون التكامل بشكل رائع و بذكر عدّة أمثلة، و خلاصتها كالآتى: «كيف تشكون فى المعاد والقيامة» رغم أنّه: أولًا: إنّا خلقناكم من نطفة فى رحم الأم ثم طويتم مسيرة التكامل حتى أصبحتم أناساً كاملين، فهل لمن جعل النطفة تتكامل جنيناً أن يوقفه عند هذا الحد، أم هل هو عاجز عن إعادة الحياة بعد الموت؟ ثانياً: أفلا تنظرون إلى ما تحرثون من الأرض، فهل أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، فلو شئنا لجعلناه حطاماً فلا تحصلوا منه على شىء، إلّاأنّنا نسير بهذا العالم نحو السمو و التكامل و ننبت مئات الحبات من حبة قمع واحدة، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۰ ثم تصبح جزءاً من بدن الإنسان، فيطوى مرحلة جديدة من التكامل. أفتنطفىء هذه الشعلة المتوهجة للتكامل بمجرّد موت الإنسان لتتحول إلى تراب لا قيمة له؟ أفليس هذا العمل عبثاً و لغواً؟ ثالثاً: انظروا إلى هذا الماء العذب الذى تشربون و لا تنسوا أنّه كان ماءاً مالحاً و مرّاً فى البحر، نحن الذين صفّيناه و بعثنا به كغيوم إلى السماء (و كنّا قادرين على نبعث بالأملاح معه إلى السماء) و نستطيع أن نجعله علقماً، إلّا أنا لم نفعل ذلك و أجرينا عليه قانون التكامل فجعلناه عذباً فراتاً ليصبح جزءاً من بدن النباتات و الناس، فهل نطوى سجل التكامل بموت الإنسان؟ أو ليس هذا ضرباً من العبث؟ رابعاً: انظروا إلى هذه النار التى توقدونها، فهل أنتم أنشأتم شجرتها؟ أم نحن المنشئون من

أجل قضاء حوائجكم و تذكيركم، نحن الذين أمرنا الشمس بأن ترسل أشعتها فجعلنا تلك الشجرة تدخر الطاقة لتقوم بعد ذلك باعادة هذه الطاقة على شكل حرارة لكم فتستفيدوا منها فى حياتكم، و قد فعلنا كل ذلك من أجل تكاملكم، فهل ينتهى كل شىء بموت هذا الإنسان؟ كلا، ليس الأمر كذلك. نعم كل هذه الأمور تدل على عدم نهاية الحياة الواقعية بموت الجسم.

الدليل العقلى الثالث: لو كان الموت نهاية لكان خلق الإنسان عبثا

لايمكن فصل الإيمان بمبدأ للعلم و الحكمة فى عالم الوجود عن الإيمان بحياة ما بعد الموت، لنفرض أن فخّاراً يصنع آنية، فما إن ينتهى منها حتى يضربها بالأرض و يكسرها، فهل من شك فى حماقته؟ و هل نعتبره عاقلًا مهما أضفى عليها من الجمالية و جعلها تحفة فنية واقعية إن كسرها عبثاً؟ بل إفرض أنّ مهندساً ثرياً و ماهراً و له ذوق سليم يقوم ببناء عمارة ضخمة وجميلة بأفضل مواد البناء و وفق أدق الخرائط و بتكاليف كثيرة بحيث تثير تلك العمارة إعجاب كل من ينظر إليها، أو أن يقوم ببناء سد عظيم، و ما أن ينتهى من بناء تلك العمارة الضخمة أو هذا السد العظيم حتى ينظم مراسم ويدعو جميع الشخصيات لإفتتاحه، و فى الغد نطالع فى الصحف أنّ المهندس المذكور قام بتفجير العمارة و السد بالديناميت، ثم تحدث للصحفيين قائلًا أنّ هدفه من تلك العمارة هو الاستراحة فيها ليوم المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۲ واحد، أو العوم بسفينة لبضع ساعات فى بحيرة السد! فكم طفولى هذا الكلام و بعيد عن العقل؟ لايبدو هذا العمل متوقعاً من شخص أمى فضلًا عن فرد حكيم وعالم. *** لو نظرنا إلى منظمات ومؤسسات هذا العالم الواسع و فكرنا بالدقة و العظمة التى استخدمت فى هذا العالم بصورة عامة و فى الإنسان من الناحية الجسمية و الروحية بصورة خاصّة، لعرفنا أنّ «الموت» لايمكنه أن يكون نهاية الحياة البشرية و نقطة توقف وجودها، لأنّ حياة الإنسان فى هذه الحالة و العالم المحيط به سوف يكون عبثاً و غير منطقى، و هو بالضبط كفعل ذلك الفخّار و المهندس. توضيح ذلك: تفيد مطالعة عالم الخلق على مستوى عظمته و كذلك دقته حقيقة مؤدّاها أنّ هذا العالم أوسع و أجمل و أعقد ممّا نتصوره. فقد صرح «أنشتاين» فى كتابه «الفلسفة النسبية»: إنّ ما قرأناه من كتاب التكوين الكبير لم يكن أكثر من صفحة (أو صفحات) و قد تعرفنا على ألف باء هذا الكتاب العظيم فى ظل تطور العلوم البشرية. و لابدّ من الاضافة إلى هذا الكلام: إنّه كتاب غطاؤه الخارجى «الأزلية» وغطاؤه الداخلى «الأبدية» و قد إجتاحت أوراقه السماء و الأرض، بينما تشكل المنظومات و الكواكب و الكرات العظيمة و المجرّات كلماته و حروفه، و ياله من عمر طويل يتطلب لمن أراد قراءته إن أمكن ذلك. كما صرّح البروفسور «كارل جيلزين» فى كتاب «رحلة إلى العوالم البعيدة» قائلًا: إنّ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۳ المسافة الشاسعة بين المجموعة الضخمة للكواكب أو المجرّات لهذه الجزر الفلكية التى تعوم فى الفضاء و تدور حول محورها، ممّا يصعب حتى التفكير فيها، فكل واحدة من هذه المجرّات تضم ملياردات الكواكب، و إنّ مسافاتها على قدر من السعة بحيث إنّ الضوء (و بتلك السرعة الرهيبة و الفريدة) يحتاج أحياناً مئات آلاف السنين من الوقت ليطوى المسافة بين كوكبين يقعان ضمن مجرّة واحدة. «۱» و بالطبع فإنّ الدقة المستعملة فى بنية أصغر وحدة فى هذا العالم كالدقّة المحيرة و المذهلة التى تشاهد فى بنية أعظم وحدة ضخمة من وحداته، و الإنسان- فى هذه الأثناء- هو أكمل موجود على الأقل عرفناه لحد الآن، و هو أعظم محصول لهذا العالم- حسب علمنا طبعاً- بما يمتلكه من بنية عجيبة. *** من جانب آخر: نشاهد أنّ هذا الإنسان الذى يعد أعظم نتاج لهذا العالم، يتحمل أية مشاكل و صعاب خلال هذه المدّة القصيرة من عمره التى تعتبر لحظة عابرة متبخرة إزاء عمر الكواكب و المجرّات، فمرحلة طفولته التى تعدّ أصعب و أعقد مراحل حياته حيث تتضمن برامج غاية فى الثقل الذى يرهق كاهله، فقد وضع قدمه فى محيط جديد لا يألف فيه أى شىء، إنّه لا يعرف حتى كيف يحفظ لعابه و عليه أن يتوفر على تجارب كثيرة و إختبارات و إمتحانات متعددة و تمارين تأخذ أغلب أوقاته ليتعلم كيف يسيطر على عضلات شفتيه و أطراف فمه. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۴ إنّه لايعرف الجهة التى ينبعث منها الصوت، كما لايعلم الفاصلة بين عينيه والأشياء و لعله يعتقد بادىء الأمر بأنّ جميع الأشياء على صفحة واحدة و قريبة من عينه، و ليس له أدنى إطلاع عن حركة أمواج الهواء على الأوتار الصوتية وايجاد أنواع الأصوات و من ثم

تكسر و تشكل الأصوات بواسطة حركات اللسان وعضلات الفم و الحنجرة، و عليه أن يتمرن صباح مساء فى مهده و يدرس ويطالع و يتدرب ليتعرف على محيطه و يستفيد من وسائله و أدواته، أضف إلى ذلك عليه أن يكافح أنواع الأمراض ليتمكن من تحمل الظروف التى تواجهه فى ذلك المحيط، و على كل حال فإنّ أهميّة التمارين التى يزاولها من أجل التعرف على المحيط لتفوق التمارين المنهكة التى يمارسها رواد الفضاء من أجل التكيف على سطح القمر، وهكذا يقضى فترة الطفولة بكل معاناتها. و لايكاد يلتقط أنفاسه حتى يواجه المرحلة الصاخبة للشباب بعواصفها الشديدة الطاغية التى تعصره فى معترك أمواجها، و هكذا يتنقل من مرحلة إلى أخرى، حتى لا يكد يقف على رجليه فتنقضى فترة الشباب ليرى نفسه فى حالة الكهولة و الشيخوخة و من ثم العجز، و هنا يشعر تدريجياً بأنّه أخذ يفهم بعض أخطائه الماضية- و التى لابدّ من بعضها بغية بلوغ حالة النضج- فهو قلق و مضطرب و منهمك فى كيفية تداركها، فيفكر مع نفسه بأنّه حصل الآن على تجربة تؤهله لحياة جديدة بنضج أكبر، ولكن للأسف أنى له ذلك وقد ضعفت القوى و الموت كامن له فى الطريق الذى سيحيل نضجه و تجاربه و علومه ومعارفه تراباً، و بغض النظر عن ذلك فإنّ هذه المراحل الثلاثة من عمره كانت مسرحاً لمختلف الحوادث المأساوية الطبيعية و المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۵ الاجتماعية وفقدان الأحبّة والأعزة و الأصدقاء و تحمل الهم و الغم و المرارة. و الآن نحتكم و نتساءل: أمن المعقول أن يكون هدف هذا الجهاز الجبار العظيم للخلق خاصّة الهدف من خلق هذه الدنيا الصغيرة العجيبة التى تدعى «الإنسان» إنّما يتمثل بهذه الحياة و هذا الذهاب و الإياب الممزوج بآلاف الكدورات والإزعاجات، و بعد ذلك يغلق ملف كل هذا العلم و التجارب و الإستعداد الروحى الذى يبدو أنّه كان مقدمة من أجل حياة أخرى و من ثم تبدل تلك الخلايا الدماغية العجيبة التى تضم أكبر ملفات الدنيا بالموت إلى ذرات بسيطة من تراب عالم الطبيعة؟ أليس هذا شبيه عمل ذلك المهندس الذى نسف عمارته؟ أليس هذا شبيه بعمل ذلك الفخّار الذى حطم آنيته؟ هل ينسجم هذا و حكمة البالغة سبحانه؟ إنّ الفلاح يغرس الأشجار ليقطف ثمارها، فما الذى يقطفه فلاح عالم الوجود منه؟ ... بضعة أيام منغصة! لو إفترضنا أننا كنّا مكانه و بهذا العقل الذى لدينا أفكنا نفعل مثل ذلك العمل؟ فما بالك به و هو العقل و العلم و الحكمة المطلقة. كيف يمكن التصديق بأنّ كل هذا الضجيج من أجل هدف يساوى تقريباً اللاشىء! أليس ذلك بمثابة الطفل الصناعى الذى يربونه فى الرحم فإن نما وتأهب للحياة قتلوه؟ و نخلص ممّا سبق إلى أنّ الشخص الذى يؤمن باللّه و حكمته لا يسعه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۶ إنكار نهاية حياة الإنسان بموته. *** و قد أشار القرآن فى عدّة مواضع إلى هذا الإستدلال حيث أورده على سبيل الاستفهام الإنكارى: «افَحَسِبْتُمْ انَّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ انَّكُمْ الَيْنَا لَاتُرْجَعُونَ» «۱». فقد شبّهت الآية عدم الرجوع إلى اللّه (يعنى البعث و القيامة و استمرار الحياة و الحركة نحو النقطة اللامتناهية للوجود) بالبعث، أى أنّ الخليقة ستنتهى إلى العبثية لو لم يكن هناك من معاد و حياة بعد الموت. «ايَحْسَبُ الإِنْسَانُ انْ يُتْرَكَ سُدًى* الَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِّىً يُمْنى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الانْثى* الَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يُحْيِىَ الْمَوْتى «۲» . فلو كان كل شىء ينتهى بالموت لكان الخلق عبثاً مهملًا (حيث وردت سدى فى اللغة بمعنى المهل)، و من هنا قال بعض المفسرين أنّ المراد بالإنسان فى الآية المذكورة «الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ الْجَاحِدُ لِنَعِمِ اللَّهِ» «۳» . حقاً لايستحق سوى الملامة من يشاهد هذا العالم و عظمته بينما لا يرى العالم الآخر. ***

الدليل العقلى الرابع: بقاء الروح علامة على القيامة

أحد الأدلة الأخرى ذات الصلة بمسألة القيامة و الحياة بعد الموت والذى يشير إلى عدم فناء الإنسان و زواله المطلق بالموت هو بقاء الروح. إثبات وجود الروح بصفتها حقيقة مستقلة- لاخاصية عارضة على البدن- توضيح هذا الموضوع فى أنّ روح الإنسان باقية بعد الموت، و أنّ الموت لا يعنى النهاية المطلقة للحياة، و إثبات هذا الموضوع فى الواقع يعدّ خطوة كبيرة باتجاه إثبات عالم ما بعد الموت و المعاد، ولكن لابدّ من دراسة ثلاثة مواضيع من أجل بلوغ هذا الهدف هى: ۱- إستقلال الروح ۲- تجرّد الروح ۳- بقاء الروح وقبل الخوض فى ذلك لابدّ من الإلتفات إلى أنّ قضية الروح من أقدم وأعقد المباحث التى واجهت الفلاسفة و العلماء. المعاد و عالم

الاخرة، ص: ۱۴۸ لا أحد يسعه بيان مقدمة لهذا البحث، لأنّه وطبق شهادة التاريخ أنّ المصريين- و احتمالًا سائر الأقوام- قد تعرفوا قبل خمسة آلاف سنة على مسألة الروح، حتى صرّح العالم الاسلامى المعروف «الآلوسى» أنّ هناك مايقارب الألف قول و نظرية بشأن هذه القضية، و قد تحدث كل حسب طريقته عن ماهية الروح. فالإنسان- حتى إنسان ما قبل التأريخ- يشاهد فى عالم النوم عدّةمشاهد وعوالم واسعة لم يرها بعد النوم فى محيطه، و بالنظر إلى هذا الأمرفانّه يشعر بوجود قوّة خفية أودعت وجوده تنشط و تتجلى بصورة حين‌اليقظة و أخرى حين النوم، و هو مشغول بممارسة هذا النشاط حتى فى حالة سكون أجهزة البدن و ارتماء الإنسان فى زاوية معيّنة، و قد إصطلح على هذه القوّة بالروح (أو ما يعادلها فى اللغات الأخرى). ثم إحتلت الروح موقع الصدارة فى أبحاث الفلاسفة حين أصبحت‌الفلسفة معرفة مدونة. و سنرى عمّا قريب إن‌شاءاللّه- أنّ مسألة النوم هى أحد مفاتيح أبواب عالم الأرواح، بل سنرى أنّ الرؤيا يمكنها أن ترشدنا إلى عالم الأرواح من جهتين: الأولى أصل مسألة الرؤيا و المشاهد التى يراها الإنسان فى المنام- سواءكان لها وجود خارجى أم لا، و بعبارة أخرى سواء كان لها تعبير أم لم يكن- والأخرى كيفية الرؤيا التى يشاهدها الإنسان و التى تزيح الستار أحياناً عن‌الحوادث الموجودة أو القادمة أو الماضية. و هنا بالطبع ينبرى البعض من أصحاب الآراء السطحية ليخبرنا بأنّ الرؤيا ليست بالشىء المهم، فهى هذه المشاهد التى نراها فى اليقظة، كما قد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۹ تكون تلك التى نراها بفعل نشاط قوّة الواهمة و المتخيلة، أو أنّها ما تفصح عن محتويات الضمير. و لسنا بصدد معرفة المصدر الذى تستند إليه الرؤيا و إلى ماذا تستند فعاليتها؟ و هل ترتبط بالماضى أم المستقبل؟ و الكلام فى أنّ المشاهد الواسعة التى نراها فى عالم المنام لابدّ أن يكون لها حيزاً فى وجودنا، فهل هذا الحيز فى خلايانا الدماغية و داخل الجمجمة، أم أنّها ترتسم على لوحات أخرى بنقوشها الكثيرة. مثلًا نرى فى المنام أننا جلسنا فى بستان يضم مسبحاً كبيراً فى وسطه وتتقاذفه الأمواج المتكسرة و الجميلة، و يقع هذا البستان على سفح جبل شاهق يرتفع إلى عنان السماء. لا يهمنا إرتباط هذا المشهد بالماضى أم المستقبل، لكن على كل حال يلزم موضع لهذا المنظر الذهنى على غرار تلك اللوحة التى رسم عليها، فهل هذا الموضع هو خلايا الدماغ؟ سنقف عمّا قريب على أنّه ليس كذلك، و عليه فموضعه شىء آخر نسميه «الروح». و على كل حال سنرى ما المدى الذى يسع الرؤيا أن تزيحه من غطاء عن أسرار الروح، كما تدل على أنّ هذه المسألة كما كانت فى البداية مفتاحاً للحركة فى منطقة الروح الواسعة، فانّها أصبحت اليوم تشكل الدليل الفلسفى وحتى التجربى فى هذا المجال، و نترك البحث لمتابعة الأدلة الحديثة على إثبات وجود الروح التى توصل إليها العلم و الفلسفة، و المراد هنا فقط الإشارة إلى تاريخ ظهور الحوار بشأن الروح على مستوى العموم و أفكار العلماء. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۱

إستقلال الروح

اشارة

لا- شبهة و لا- شك فى الفارق بين الإنسان و الحجر و الخشب الخالى من الروح، لأننا نشعر بانّنا نختلف عن الجمادات بل و حتى النباتات، فنحن نفهم وندرك و نتصور و نقرر و نعشق و نتنفر و لنا إرادة و ... بينما ليس هنالك أى من هذه المفردات للنباتات و الأحجار، و عليه فهناك عدّة فوارق أصولية بيننا وبينها و ذلك هو إمتلاك «الروح الإنسانية»، و لم يتنكر الماديون و لا غيرهم لأصل وجود «الروح» أو «النفس» و من هنا فهم يقرون بعلمى معرفة النفس و بحث النفس. و العلمان المذكوران و إن إجتازا تقريباً مراحلهما البدائية، فهما على كل حال من العلوم التى تدرس فى كبار جامعات العالم ومن قبل الاساتذة والباحثين، و كما سنرى فإنّ «الروح» و «النفس» ليسا حقيقتين منفصلتين عن بعضهما، بل مراحل مختلفة لحقيقة واحدة. فإن كان الكلام عن إرتباط الروح بالجسم و التأثير المتبادل لكل منهما على الآخر، أطلقنا عليه إسم «النفس» بينما نستعمل اسم الروح حيث نتعرض للظواهر الروحية المنفصله عن الجسم. و الخلاصة ليس هناك من ينكر أن فى وجودنا حقيقتان باسم الروح والنفس. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۲ و الآن لابدّ من

رؤيـة موضـع النزاع بين «المـاديين» و «فلاسـفة الميتافيزيقيـا «۱» و الروحيين»؟ الإجابـة على هـذا السؤال هى: يرى علمـاء الإلهيـات و الروحيون أنّ هناك حقيقة أخرى و جوهراً كامن فى نفس الإنسان من غير جنس المواد التى تشكل بدنه، و التى يتأثر بها بدن الإنسان بصورة مباشـرة. بعبـارة أخرى: إنّ الروح حقيقـة مـا وراء الطبيعـة تختلف بنيتها و نشاطها عن بنيـة و نشاط عالم المادة، نعم هى مرتبطة دائماً بعالم المادة إلّاأنّها لا تتصف بخصائص المادة. و بالمقابل هناك الفلاسـفة الماديون الـذين يعتقدون بعدم وجود موجود مستقل عن المادة يدعى الروح أو أى اسم آخر، و كل ما موجود هو هذه المادة الجسمية أو آثارها الفيزيائية و الكيميائية، لدينا بعض الأجهزة من قبيل الـدماغ و الأعصاب و التى تقوم بجانب مهم من نشاطاتنا الحياتيـة وهى كسائر الأجهزة البدنيـة المادية و التى تمارس وظائفها فى إطار قوانين المادة. ولـدينا غـدد تحت اللسان تعرف باسم «غـدد البزاق» و التى تقوم بوظائف فيزيائية و كيميائية، فما إن يرد الطعام الفم حتى تبـدأ هـذه الغـدد بممارسة وظيفتها بفرز السوائل الكافية لترطيب الطعام و سـحقه، و إن كان الطعام يشـتمل على بعض الماء فانّها تفرز سائلًا بالقـدر الـذى يرطبه أيضاً؛ أى بمقـدار أقل، بينما تضاعف من هذا السائد إن كان الطعام يشـتمل على بعض الحوامض بحيث يترطب بالشـكل الـذى لايسـبب أى ضـرر على جـدار المعـدة. فإذا ما إبتلع الإنسان الطعام قعدت هذه الغدد عن العمل، و زبدة الكلام المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۳ هناك نظام عجيب يحكم هـذه الغدد بحيث إذا إختل حسابها لساعة فإمّا أن يسـيل الماء على الـدوام من فمنا على شـفاهنا، و إمّا أن يجف فمنا و بلعومنا بحيث تحشـر لقمـة الطعام فى حناجرنا. هـذه هى الوظيفـة الفيزيائية للبزاق، إلّاأنّنا نعلم بأنّ الوظيفة الكيميائية هى الوظيفة الأهم للبزاق، حيث يتحد مع مختلف المواد فيتركب مع الطعام و يحد من إجهاد المعدة. يقول الماديون: إنّ سـلسة أعصابنا و دماغنا تشـبه الغدد البزاقية و ما شابهها حيث لها أنشطة فيزيائية و كيميائية (و التى يطلق عليها فيزيا كيميائية) و هذه الأنشـطة الفيزيا كيميائية هى التى نصـطلح عليها بالروح أو «الظواهر الروحية». توضيح ذلك: حين ننشغل بالتفكير فإنّ سلسـلة أمواج ألكترونيـة خاصّـة تنبعث من دماغنا، و اليوم تؤخـذ هـذه الأمواج بأجهزة و تسـجل على ورقـة ولاسـيّما فى المستشـفيات النفسية، فيتوصلون من دراسة هذه الأمواج إلى الطرق اللازمة للتعرف على الأمراض النفسية و سبل علاجها، هذه هى الوظيفة الفيزيائية لـدماغنا. إضافـة إلى ذلك، فإنّ لخلايا الدماغ سلسـلة من الأفعال و الإنفعالات الكيميائية حين التفكير و سائر الأنشـطة النفسـية. و بناءاً على هـذا فـالروح و الظواهر الروحيـة مـا هى إلّـاالخواص الفيزيائيـة والأفعـال و الإنفعالات الكيميائيـة للخلايا الدماغيـة و العصبيـة. ثم يخلصون من هذا البحث إلى هذه النتائج: ۱- كما أنّ أنشطة الغدد البزاقية و آثارها المختلفة لم تكن موجودة قبل البدن و بعده سوف لن تكون أيضاً، فإنّ أنشـطتنا الروحيـة وجدت بظهور المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۴ الدماغ و الجهاز العصبى و سـتموت بموتهما. ۲- الروح من خواص الجسم، إذن فهى مادية و ليس لها من بعد لما وراء الطبيعة. ۳- تخضع الروح لجميع القوانين التى تحكم الجسم. ۴- ليس للروح و لايمكن أن يكون لها من وجود مستقل دون البدن.

أدلة الماديين على عدم إستقلال الروح

تمسـك المـاديون بعـدّة أدلـة لإثبـات صـحة مـدعاهم فى أنّ الروح و الفكر والإرادة و سـائر الظـواهر الروحيـة ماديـة و من الخواص الفيزيائيـة و الكيميائيـة لخلايا الدماغ و الأعصاب، و إليك هذه الأدلة: ۱- «يمكن الإشارة بسـهولة إلى توقف طائفة من الآثار الروحية إثر توقف بعض الأعصـاب عن العمل» «۱». مثلا أجرى إختبار برفع مقـدار من دماغ طير فلم يمت، إلّاأنّه فقـد الكثير من معلوماته، فإن أعطى طعـام تنـاوله و هضـمه، و إن لم يعـط و طرحت حبيبات أمامه لم يتناولها و يموت جوعاً. كما لوحظ فقـدان الإنسان لجانب من معلومـاته حين ترد دمـاغه بعض الضـربات أو حين تعرضه لبعض الأمراض و العوارض بحيث تشـل بعض خلايـاه. قرأنـا قبل مـدّة فى الصـحف: أنّ شاباً متعلماً تعرض لحادثة و هى ضـربة دماغية قرب منطقة الأهواز فنسى أغلب حوادث الماضى حتى أنّه لم يكن يعرف أمّه و أخته، و لم يكن يعرف المنزل الـذى و لـد وترعرع فيه، فهذه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۵ القضية و نظائرها تدل على الرابطة الشديدة بين نشاط الخلايا الدماغية والظواهر الروحية. ۲- فتزايد التغييرات المادية للدماغ حين التفكير حيث يأخذ الدماغ طعاماً أكثر و

يفقـد مواد فسـفوريهٔ أكثر، بينما تقل حاجته للطعام حين النومو توقف الـدماغ عن التفكير، و هذا دليل على كون الآثار الفكريهٔ ماديهٔ. «۱» ۳- تشـير القرائن إلى أنّ وزن أدمغهٔ المفكرين عامّهٔ أكثر من الحدّ المتوسط (الحدّ المتوسط لدماغ الرجال حدود ۱۴۰۰ غم و أقل منه الحـد المتوسط لـدماغ النساء) و هـذا دليل آخر على ماديـهٔ الروح. ۴- لو كـانت قوى التفكير و الظواهر الروحيـهٔ دليلًا على وجود الروح المسـتقلهٔ فلابـدّ من قبول هـذا المعنى بالنسـبهٔ للحيوانات، فهى تتمتع بادراكات تتناسب ووضـعها. و الخلاصهٔ فإنّهم يقولون: إنّنا نشـعر بـأنّ روحنـا ليست موجـوداً مسـتقلًاويؤيد ذلـك تطـور العلوم المرتبطـهٔ بمعرفـهٔ الإنسـان. فيخلصون إلى نتيجـهٔ من مجموع هـذه الإسـتدلالات إلى أنّ تطور فسـلجهٔ الإنسان و الحيوان يوماً بعد آخر توضح بصورهٔ أعمق هذه الحقيقهٔ التى تتمثل بالرابطهٔ الحميمهٔ بين الظواهر الروحيهٔ و الخلايا الدماغيهٔ.

ثغرات هذا الإستدلال

يبـدو أنّ المـاديين إرتكبوا خطأ فادحـاً هنـا و ذلـك أنّهم خلطوا «وسائـل العمل» ب «فاعل العمل». المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۵۶ و إليك مثالان بغيـهٔ الوقوف على هـذا الخط: لقـد حـدث تطور فى مطالعـهٔ وضع السـماء منـذ زمن العالم الإيطالى «غاليلو» حيث ساعده صانع للنظّارات فتمكن من صـنع منظار صـغير يشـبه منظار الأطفال هذه الأيام، إلّاأنّ غاليلو كان شديد الفرح آنذاك، فكان يستعين به ليلًا لمطالعـهٔ كواكب السـماء فكان يرى أمام عينه مشـهداً مـذهلًا لم يكن رآه أحد آنذاك، ففهم أنّه إكتشف شـيئاً مهماً، و منذ ذلك اليوم إنهمك فى مطالعهٔ أسرار العالم العلوى. لقد كان الإنسان حتى ذلك الحين أشبه بالفراشهٔ التى لا تعرف سوى بعض ما حولها من أغصان، بينما لاحظ مقـداراً أكبر منها حين إسـتعان بالمنظار، و قد تكاملت هذه المسألهٔ حتى صـنعت المنظارات النجوميهٔ الكبرى يبلغ قطر عدسـتها خمسهٔ أمتار أو أكثر، فكانوا ينصبونها على سفوح الجبال المرتفعهٔ الكائنهٔ فى المناطق المناسبهٔ من حيث صفو الهواء، فقد مكنت هـذه المنظارات الإنسان من رؤيـهٔ عوالم من العالم الأعلى بما تعجز العين المجرّدهٔ عن رؤيهٔ واحد بالألف منها. و لك أن تفكر لو تطور هـذا الجهاز بحيث يفوق قطر عدسـته المئهٔ متر وحجمه بقدر مدينهٔ كبيرهٔ، قطعاً سـتكشف لنا عوالم لعلنا لا نسـتطيع اليوم حتى تصورهـا. و السؤال المطروح: لو سـلبت منّـا هـذه الأـجهزهٔ فمن المسـلم به أنّ قسـماً أو أقسـاماً من معلوماتنـا و مشاهـداتنا عن السـماء ستتوقف، ولكن من المشاهـد الأصـلى نحن أم المنظـار؟ هـل المنظـار و التليسـكوب وسائـل العمـل التى نرى بواسـطتها أم هى الفاعل والمشاهد الواقعى؟ المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۵۷ و هنا نقول لا أحد ينكر أنّه لايمكن ممارسهٔ التفكير دون خلايا الدماغ، ولكن هل الـدماغ وسـيلهٔ عمـل الروح أم موجـد الروح؟! نضـرب مثالًـا آخر: إنّنـا نركب سـفينهٔ أو طائرهٔ و نرتبط من داخلهما بجهاز لاسـلكى مع الأرض فنتسـلم التعليمات بصورهٔ مرتبهٔ، فمن المسلّم به إذا تعطل الجهاز فسوف لن نسمع صوتاً، يعنى هناك رابطهٔ شديدهٔ بين سماعنا لتعليمـات المركز و جهـاز اللاسـلكى. ولكن من الـذى يسـمع و يـدرك نحن أم الجهـاز؟ زبـدهٔ الكلاـم: إنّ كافـهٔ الأدلـهٔ التى أوردها المـاديون هنـا فقـط تثبت وجود الرابطـهٔ بين خلايانـا الدماغيـهٔ و إدراكاتنـا، إلّاأنّهـا لا تثبت أنّ الـدماغ هو القائم بالإدراك و أنّه ليس الوسـيلهٔ (عليك بالدقّـهٔ). و من هنا يتضح أنّ الموتى لو لم يفهموا شـيئاً فإنّما ذلك لزوال الرابطهٔ بين أرواحهم و أبدانهم، لا أنّ الروح فنت، بالضـبط كالسـفينهٔ و الطـائرهٔ الـتى خرب جهازهـا اللاسـلكى، فالسـفينهٔ و الملاـح و طاقمهـا مـا زال قائمـاً، إلّـاأنّ أهـل السواحل لايمكنهم الإرتباط بهم، و ذلك لزوال وسيلهٔ الإرتباط. *** المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۵۹

أدلهٔ إستقلال الروح

اشارهٔ

كـان الكلام عن الروح و أنّ الماديين يصّـرون على أنّ الظاهرهٔ الروحيـهٔ من خواص الخلايا الدماغيـهٔ، و الفكر و الحافظـهٔ و الإبـداع و

الحب و البغض و الغضب و العلم و المعرفة كلها من المسائل التجريبية و التابعة لقوانين عالم المادة، وللفلاسفة الذين يقولون باستقلال الروح أدلتهم التى ترفض العقيدة المذكورة، والأدلة هى:

۱- العلم بالعالم الخارجى

السؤال الأول الذى يمكن طرحه على الماديين هو: لو كانت الأفكار والظواهر الروحية هى الخواص الفيزيا كيميائية للدماغ، لما إنبغى أن يكون هناك تفاوت اصولى بين عمل الدماغ و عمل المعدة أو الكلية و الكبد، لأنّ عمل المعدة- مثلًا- مركب من وظائف فيزيائية و كيميائية فتقوم من خلال بعض حركاتها و إفراز الحوامض فى هضم الطعام و إمتصاصه، و كذلك وظيفة البزاق- كما ذكرنا سابقاً- فيزيائية و كيميائية، و الحال إننا نرى بينهما فرقاً واضحاً. إنّ أعمال جميع أجهزة الجسم تشبه إلى حدّ بعضها البعض ماعدا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۰ «الدماغ» الذى يتميز بوضع إستثنائى، و كل هذه الأمور ترتبط بالجوانب الداخلية، والحال هنالك بُعد خارجى للظواهر الروحية و أنّها تنبهنا إلى الأوضاع الخارجة عن وجودنا. و لتوضيح هذا الكلام لابدّ من الإشارة إلى عدّة نقاط: أولًا: هل هناك عالم خارج وجودنا أم لا؟ قطعاً هنالك مثل هذا العالم، و المثاليون- الذين ينكرون وجود العالم الخارجى و يزعمون أنّ كل الموجود هو «نحن» و «تصوراتنا» و العالم الخارجى بالضبط كالمشاهد التى نراها فى المنام فهى ليست سوى تصورات- على خطأ عظيم، و خطأهم قد أثبتناه فى محلّه. «۱» ثانياً: هل نعلم بالعالم الخارجى أم لا؟ قطعاً الجواب على هذا السؤال بالإيجاب، لأنّ لنا علم كثير بالعالم الخارجى، كما لدينا معلومات واسعة عن الموجودات من حولنا أو التى تقع فى نقاط بعيدة عنّا. و الآن يطرح هذا السؤال نفسه: هل يأتى العالم الخارجى إلى باطن وجودنا؟ قطعاً لا، بل صورته لدينا، حيث نستفيد من خاصية تشابه الواقع فنقف على العالم الخارج عن وجودنا. و لا يمكن لهذا الواقع أن يقتصر على الخواص الفيزيا كيميائية للدماغ، لأنّ هذه الخواص وليدة تأثيراتنا عن العالم الخارجى، أو هى معلولاته، بالضبط كالتأثيرات التى يتركها الطعام على معدتنا، فهل يؤدّى تأثير الطعام على المعدة و فعله و إنفعاله الفيزيائى و الكيميائى إلى إلتفات المعدة وتنبهها بالطعام، إذن كيف يستطيع دماغنا أن يحيط خبراً بالدنيا الخارجة عنه؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۱ بعبارة أخرى لابدّ من إحاطة للعلم بالموجودات الخارجية و العينية، وهذه الإحاطة ليست من وظيفة الخلايا الدماغية، فخلايا الدماغ تتأثر فقط بالخارج، هذا التأثير كتأثر سائر أجهزة البدن بالخارج، أمّا الإحاطة و العلم بالوضع الخارجى فهى شىء آخر، فإن كان التأثر بالخارج دليلًا على علمنا بالخارج، للزم أن نفهم أيضاً بمعدتنا و لساننا. و الحال ليس الأمر كذلك، والخلاصة فإنّ الوضع الاستثنائى لإدراكاتنا دليل على أنّها تستبطن حقيقة أخرى (عليك بالدقّة).

۲- وحدة الشخصية

اشارة

الدليل الآخر الذى يمكن ذكره لإستقلال الروح هو مسألة وحدة الشخصية طيلة عمر الإنسان. توضيح ذلك: إنّنا فى الوقت الذى نشك فى كل شىء لا نشك و نتردد فى هذا الموضوع و هو «إنّ لنا وجود». «أنا موجود» و لا أشك فى وجودى، و علمى بوجودى هو علم حضورى لا- حصولى، يعنى أننى حاضر عند نفسى و لست منفصلًا عنها، و بناءاً على هذا فإن علمى بوجودى ليس من قبيل رسم صورة لوجودى فى ذهنى، بل عن طريق عدم إنفصالى عن نفسى. بعبارة أخرى: إنّ علمنا بالموجودات الخارجية، مثلًا من قبيل هذا الكتاب الذى أمامى و الذى يضم خطوطاً و صوراً من خلال رسم صورة عنه فى أذهاننا، و من هذا الطريق نحيط بالوضع الخارجى، و يطلق على هذا العلم فى الفلسفة اسم «العلم الحصولى» أو الإرتسامى، أمّا علمنا بوجودنا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۲ فليس كذلك، لأنّه كما قلنا أنّ هذا العلم ليس من خلال رسم صورة ذهنية، بل من حضورنا لدى أنفسنا، و يصطلح على هذا النوع من

العلم بالعلم الحضوری. علی کل حال إنّ علمنا بوجودنا من أوضح معلوماتنا و لیست هناک أیة حاجة أبداً إلی إستدلال، و علیه فالإستدلال المعروف الذی أورده الفیلسوف الفرنسی المشهور «دیکارت» علی وجوده فقال: «أنا أفکر إذن أنا موجود» هو إستدلال زائد و یبدو غیر صحیح، لأنّه إعترف بوجوده مرتین قبل أن یثبت ذلک (مرّة حین قال «أنا» و أخری حین قال أفکر) ... هذا من جانب. و من جانب آخر فإن «أنا» هی واحدة من بدایة العمر حتی نهایته «أنا الیوم» هی «أنا بالأمس» وهی «أنا قبل عشرین سنة». إنی شخص واحد منذ الطفولة و لحدّ الآن، أنا ذلک الشخص الذی کنت و سأکون کذلک إلی آخر العمر و لن أصبح شخصاً آخر، طبعاً درست و تعلمت و تکاملت و سوف أتکامل أکثر إلّا أنّی لم أصبح شخصاً آخر، ومن هنا فإنّ جمیع الناس یعرفوننی کشخص واحد منذ الطفولة لحد الآن، فلی إسم واحد و هویة واحدة و ... و الآن أرید أن أری ما هذا الموجود الواحد الذی غطی جمیع عمرنا؟ هل ذرات و خلایا بدننا أم مجموعة خلایا الدماغ و فعلها و إنفعالاتها؟ فهذه تستبدل مرات طیلة عمرنا و تقریباً تستبدل کافة الخلایا مرّة واحدة کل سبع سنوات، لأنّنا نعلم أنّ ملایین الخلایا تموت یومیاً و تحلّ محلّها خلایا أخری، کالبنایة التی یخرجون بعض طابوقها تدریجیاً و یضعون مکانه طابوقاً آخر، فهذه البنایة تتغیر تماماً بعد مدّة و إن لم یلتفت عوام الناس إلی ذلک، أو کالمسبح الکبیر الذی یرده الماء ببطیء من جانب و یخرج من جانب آخر، فمن البدیهی أن یتغیر کل ماء المسبح بعد مدّة، و المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۳ إن لم یشعر أصحاب النظرة السطحیة بذلک فیرونه علی حالته السابقة الثابتة. و بصورة عامة فإنّ حالة التبدل و التغیر تسود کل کائن یتغذی ویستهلک هذا الغذاء، وعلیه یمکن أن یکون جمیع أجزاء بدن رجل السبعین عاماً قد تغیرت لعشر مرات، الذی نرید أن نخلص إلیه إننا لو اعتبرنا الإنسان کما یراه المادیون هو ذلک الجسم و الأجهزة العصبیة و الدماغیة و الخواص الفیزیائیة والکیمیائیة لابدّ أن تکون هذه «الأنا» قد تغیرت عشرة مرات خلال السبعین سنة و لایبقی ذلک الشخص السابق، و الحال لا ضمیر یقبل هذا الکلام. و من هنا یتضح أنّ هناک حقیقة واحدة ثابتة طیلة العمر غیر الأجزاء المادیة و هی لا تتغیر کالأجزاء المادیة و تشکل أساس وجودنا و هی عامل وحدة شخصیتنا.

تفادی خطأ فاحش

یتصور البعض أنّ الخلایا الدماغیة لا تستبدل و یزعمون أنّهم قرأوا فی کتب العلوم الفسلجیة أنّ عدد خلایا الدماغ واحد منذ أول العمر حتی آخره، و هی لا تقل و لا تزداد بل تکبر فقط أنّها لا تنتج مثلها، و لذلک إن تعرضت لصدمة لما أمکن تعویضها، و علیه فلدینا وحدة ثابتة فی مجموع البدن هی الخلایا الدماغیة. إلّاإنّ هذا خطأ کبیر، و ذلک لأنّ من یقول هذا الکلام قد خلط بین مسألتین، فما برهنه العلم الیوم هو أنّ خلایا الدماغ من حیث العدد ثابتة طیلة العمر فهی لا تزداد و لا تنقص، لا أنّ الذرات التی تشکل هذه الخلایا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۴ لا تعوض، وذلک لأننا کما قلنا سابقاً أنّ خلایا البدن تستقبل الطعام دائما و تستهلکه بالتدریج فتفقد الذرات القدیمة، بالضبط کالشخص الذی یستلم المال من جانب ویدفعه من جانب آخر، فمن المسلم به أن رأسمال مثل هذا الفرد یتغیر بالتدریج و إن لم یتغیر مقداره، علی غرار ذلک المسبح الذی یسکب فیه الماء من جانب ویطرح ماءاً إلی الخارج من جانب آخر فلا تمضی مدة حتی یستبدل الماء بأجمعه و إن بقی مقداره ثابتاً. و یبدو أنّ کتب الفسلجة قد أشارت إلی هذا الأمر، و من ذلک کتاب الهورمونات ص ۱۱ و کتاب الفسلجة الحیوانیة ص ۳۲ لمؤلفة الدکتور محمود بهزاد وزملائه. و بناءاً علی ما تقدم فخلایا الدماغ لیست ثابتة و تتعوض کسائر الخلایا. ***

تبریرات و تفاسیر

إنهمک بعض المادیون فی حلّ المشکلة الکبری المتمثلة بوحدة الشخصیة، فقالوا أحیاناً: «أنا» مجموعة من التصورات المختلفة و المتتالیة التی تطرأ علی الذهن، و بناءاً علی هذا فإنّ الإتصال و الإرتباط لهذه الإدراکات تشکل سلسلة واحدة تعرّف وحدة شخصیتنا

طيلة العمر. و يقول الدكتور آرانى: «إنّ مفهوم الذات يوجد بصورة منظمة و بشكل متوالى فى أزمان متوالية فى الكائنات الحيّة السالمة، و لا تنقطع إلّا بواسطة النوم، و يمكن أن يظهر الإختلال فى الذات بواسطة المواد المخدرة والمسكرات». «۱» المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۵ ولكن يلزم من هذا الكلام إنقطاع الأنا و تبدل و عدم وحدة الشخصية، لأنّ الأنا التى أتى بها الدكتور آرانى بالضبط كأقمشة مصنع لحياكة الأقمشة التى تتبدل باستمرار إلّاأنّها متصلة مع بعضها. و من هنا فقد أضطر البعض للقول: للأنا حيثية نسبية، فكل شخص من جهة هو نفسه و من جهة غيره، كما يقول فى نفس الكتاب: «فى الوقت الذى أنا نفسى فأنا لست نفسى، أنا ذلك الثابت، و لكن المتغير أيضا، أفضل مثال لفهم هذه القضية التشبيه بالنهر، فالنهر جارى وكل لحظة تختلف عن اللحظة السابقة و مع ذلك فهو نفس النهر» «۱» و يبدو هذا الكلام عجيباً، لأنّ معناه هكذا: أنا لست ذلك الشخص قبل عدّة سنوات و قد تغيّرت حقيقة إلّاأنّى أظن أنّى أنا! ... و هذا على خلاف ضمير أى شخص. و ناهيك عمّا سبق فان «أنا» لست مجموعة من التصورات، و التصوراتعملى (أنا)، إذن فما هذه «الأنا» المبدأ للتصورات؟ ليس لهم جواب قانع على هذا السؤال و لايستطيعون أن يرونا موجوداً ثابتاً طيلة العمر كأساس لوحدة شخصيتنا.

۳- عدم تطابق الكبير و الصغير

اشارة

كان البحث هل روح الإنسان حقيقة ثابتة و تفوق الطبيعة أم خاصية تتوقف على البدن و دائماً فى حالة تغير. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۶ فهل للدماغ نشاط فكرى كما للفم نشاط إفراز البزاق و الكبد الصفراء بحيث تفنى الروح بفناء الدماغ؟ أم هى كالسفن الفضائية التى تنفصل صواريخها عنها الواحد بعد الآخر بعد أن تنطلق على شكل مراحل بحيث تستمر بسرعتها فى مواصلة حركتها، فروح الإنسان أيضا بعد أن تنفصل عن البدن تبقى فى عالم الأرواح و تواصل مسيرتها؟ لقد ذكرنا لحدّ الآن بعض الأدلة على إثبات نظرية إستقلال الروح و إليك الآن الدليل الآخر:*** نفرض إنّنا جلسنا على ساحل بحر تتحرك فيه عدّة زوارق صغيرة وسفينة عظيمة، و نشاهد الشمس تغرب من جانب، كما نشاهد القمر يطلع من جانب آخر، و طيور الماء الجميلة تعوم دائماً على ماء البحر تحط وتنهض، و كان بجانبنا جبل شامخ يرتفع إلى عنان السماء. و الآن لنغمض أعيننا لحظات و نتمثل كل ما رأيناه فى أذهاننا: جبل بذلك الإرتفاع و بحر بتلك السعة و سفينة عظيمة بتلك الضخامة، هذا ما يتجسد فى أذهاننا و هى كاللوحة الكبيرة جداً التى توجد أمام أرواحنا أو باطن أرواحنا. و الآن يطرح هذا السؤال: أين موضع هذه اللوحة الكبيرة؟ هل يسع خلايا الدماغ الصغيرة إستيعاب مثل هذه اللوحة العظيمة؟ قطعا لا، بناءاً على هذا لابدّ أن نمتلك قسما آخر من الوجود يفوق هذه المادة الجسمانية و هو على قدر من السعة بحيث يستوعب فى نفسه جميع هذه اللوحات. هل يمكن تطبيق خارطة عمارة ذات خمسمائة متر على أرض ذات مائة متر؟ هل يمكن بناء صالة رياضية بعشرة آلاف متر على أرض مساحتها متر واحد؟! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۷ قطعاً إجابة هذه الأسئلة بالنفى، لأنّ الوجود الكبير و بحفظه لكبره لا ينطبق قط على الوجود الصغير، فليزم من الإنطباق التساوى أو أن يكون أصغر ممّا يراد له الإنطباق عليه. و على هذا الأساس كيف نستطيع إستيعاب الألواح الذهنية الخارقة فى الكبر فى الخلايا الدماغية الصغيرة؟ إننا نستطيع أن نرسم فى أذهاننا الكرة الأرضية بخرامها البالغ أربعين مليون متر و كذلك نستطيع أن نتمثل فى فكرنا الشمس التى تكبر الأرض بمليون و مئتى مرّة و كذلك المجرّات التى تفوق حجم الشمس بملايين المرّات، فلو أريد لهذه الصور أن تنطبق على الخلايا الدماغية الصغيرة لتعذرذلك طبق قانون عدم إنطباق الكبير على الصغير، و عليه فلابدّ أن نعترف بوجود يفوق هذا الجسم هو مركز إستيعاب هذه الصور الكبيرة و ليس له أى بعد مادى.

سؤال ضرورى

قد يقال أنّ صورنا الذهنية مثل «المايكروفيلم» أو «الخرائط الجغرافية» التى يكتب عليها عدد كسرى مثل**** أو**** الذى يبيّن مقياس صغرها ويفهمنا أننا لابدّ أو نكبرها بنفس هذه النسبة لنحصل على الخارطة الواقعية، وكذلك رأينا كثيراً أنّهم إلتقطوا صورة لسفينة عظيمة لايمكنها بمفردها أن تشير إلى عظمة تلك السفينة، و من هنا جعلوا شخصاً فى تلك السفينة و إلتقطوا صورة لها معاً لتتضح عظمته السفينة من خلال مقارنتها مع الشخص. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۸ فصورنا الذهنية صغيرة جدّاً وقد صغرت بمقاييس معيّنة فإن كبرناها بتلك النسبة حصلنا على الصورة الواقعية، و من المسلّم به أنّ لخلايا الدماغ القدرة على إستيعاب هذه الصور الصغيرة فى خلايا (عليك بالدقّة).

جواب

القضية المهمّة هنا هى أنّ المايكروفيلم عادة مايكبّر بواسطة البروجكتر فينعكس على شاشة، و العدد الذى يكتب تحت الخرائط الجغرافية فهو يساعدنا على ضرب الخارطة به لنتصور الخارطة الكبيرة الواقعية فى أذهاننا، و السؤال الذى يطرح نفسه أين تلك شاشة الكبيرة التى ينعكس عليها مايكروفيلم ذهننا؟ هل هذه الشاشة الكبيرة هى خلايا الدماغ؟ قطعاً لا، و تلك الخارطة الجغرافية الصغيرة التى نضربها فى عدد كبير و نبدلها إلى خارطة عظيمة لابدّ أن يكون لها موضع، فهل يمكن أن يكون الخلايا الدماغية الصغيرة. بعبارة أوضح: فى مثال المايكروفيلم و الخارطة الجغرافية فالموجود فى الخارج هو تلك الأقلام و الخرائط الصغيرة جدّاً، إلّاأنّ صورنا الذهنية ليست كذلك، فهذه الصور بالضبط بقدر الوجود الخارجى لها، و قطعاً تحتاج إلى محل بقدرها، و نعلم أنّ خلايا دماغنا أصغر من أن يمكنها عكسها و هى بتلك العظمة. و خلاصة الكلام: إنّنا نتصور هذه الصور الذهنية بذلك الكبر التى هى‌عليه فى الخارج و لايمكن لهذا التصوير و التصور العظيم أن ينعكس فى‌خلية صغيرة، و بناءاً على هذا فهى بحاجة إلى محل غير ذلك، و من هنا نقف المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۹ على وجود حقيقة تفوق هذه الخلايا و تفوق عالم المادة.

۴- الظواهر الروحية ليست كالكيفيات المادية

الدليل الآخر الذى يمكنه أن يرشدنا إلى إستقلالية الروح و عدم كونهامادية هو: إنّنا نرى فى الظواهر الروحية خواصاً و كيفيات ليس لها أى شبه‌بالخواص والكيفيات التى تتصف بها الموجودات المادية. و ذلك لأنّه: الموجودات المادية تتطلب «الزمان» و لها حيثية تدريجيةهذا أولًا و ثانياً تتآكل بمرور الزمان ثالثاً: أنّها قابلة للتحلل إلى عدّة أجزاء. بينما ليس هناك مثل هذه الخواص و الآثار للظواهر الذهنية، فإنّنانستطيع أن نرسم فى أذهاننا عالماً كالعالم الفعلى دون الحاجة إلى الزمانوالتدريج. وبغض النظر عمّا سبق فإنّ الصور المطبوعة فى أذهاننا منذ فترةالطفولة لا يبليها الزمان و لا يجعلها تتآكل و تبقى محافظة على شكلها. يمكن أن يتآكل الدماغ ولكن لايتآكل بتآكله الحيز الذى إرتسم فى‌أذهاننا قبل عشرين سنة و هو يتمتع بنوع من الثبات الذى يعدّ من‌خصائص عالم ما وراء المادة. و لروحنا خلاقية عجيبة بالنسبة للصور والمشاهد فإنّنا نستطيع فى آنواحد و دون أية مقدمة أن نرسم فى أذهاننا ما نشاء من صور و كرات‌سماوية ومجرّات و كائنات أرضية و بحار و جبال و ما إلى ذلك، و هذا ليس‌من خصائص المادة، بل هو علامة لوجود يفوق عالم المادة. أضف إلى ذلك فمما لاشك فيه أن ۲ زائد ۲ يساوى ۴ حيث يمكن تحليل طرفى هذه المعادلة أى تحليل العد ۴ أو ۲، أمّا المساواة فلا يمكننا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۰ تحليل أبداً كأن نقول للمساواة نصفان و كل نصف غير الآخر فهذا الموضوع‌ليس بممكن، فالمساواة مفهوم يأبى التحليل، أمّا موجود أو غير موجود ولايمكن تنصيفه، وبناءاً على هذا فمثل هذه المفاهيم الذهنية ليست قابلةللتحليل و لذلك لا يمكن أن تكون مادية، لأنّها لو كانت مادية لأمكن تحليلها، و كذلك لا يمكن لروحنا بصفتها مركزاً لهذه المفاهيم غير المادية أن تكون مادية، و عليه فهى تفوق المادة (عليك بالدقّة).

۵- الأدلة التجريبية على إستقلال الروح

اشارة

أثبتنا لحدّ الآن إستقلال الروح عن طريق أربع إستدلالات عقلية ومنطقية، و برهنا أو الروح لايمكنها على ضوء مذهب الماديين أن تكون خاصية فيزيائية و كيميائية لخلايا الدماغ، و لابدّ أن تكون حتمياً موجوداً يفوق المادة الجسمانية. و نتجه الآن صوب الأدلة التجريبية لنثبت من خلالها إستقلالية الروح وعدم كونها مادية، فقد أورد الفلاسفة و علماء الإلهيات المعاصرون الروح فى مصاف المسائل التجريبية و قد منحوها صورة حسية و تجريبة لُاولئك الذين يتعذر عليهم قبول الإستدلالات العقلية، حتى سلّم جمع من علماء العلوم الطبيعية لتلك الأدلة التجريبة فاعترفوا بالروح على أنّها وجود يفوق المادة. و يمكن الإشارة باختصار إلى أقسام الأدلة التجريبة و هى:

أقسام الأدلة التجريبية

اشارة

۱- الإرتباط بالأرواح ۲- التنويم المغناطيسى ۳- النوم الاعتيادى و الرؤيا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۱ ۴- الأعمال الخارقة للمرتاضين ۵- إنتقال الفكر من بعيد *** و نخوض الآن فى تفاصيل كل واحد منها بصورة مختصرة.

۱- الإرتباط بالأرواح

اشارة

لقد أصبح موضوع الإرتباط بالأرواح و التحدث معها اليوم بصورة علم، وقد تشكلت جمعيات بهذا الاسم فى مختلف نقاط العالم، و قد قال العالمالمصرى المعروف فريد وجدى (فى المجلد الرابع من موسوعته فى مادة الروح) أنّ ثلاثمائة مجلة و صحيفة تنتشر فى أنحاء العالم من قبل «جمعيات الروح» ويشترك فى هذه الجلسات طائفة من كبار علماء العلوم المختلفة. و قد عقدت عدّة جلسات فى أمريكا و إنجلترا و فرنسا و ألمانيا و أغلبالبلدان بهدف التعامل مع هذا الموضوع و قد حضرها أفراد معروفون من مختلف الشخصيات و قد عقد الإتصال بالأرواح بحضورهم و حصلت عدّة أعمال خارقة للعادة، و من ذلك ما ورد فى كتاب اصول علم النفس لفرويد ص ۳۲: شكلت هيئة من ۳۳ شخص من أساتذة جامعات إنجلترا و عدد من القضاة لدراسة هذا الموضوع، فاستغرقت دراستهم سنة و نصف، هل الإرتباط بالأرواح حقيقة أم خرافة؟ فلما فرغوا من تحقيقهم و دراستهم قدموا آرائهم الإيجابية بشأن صحة هذه الموضوع إلى «جمعية لغويين إنجلترا» التى كلّفوا من قبلها، وقد وردت مسائل مدهشة عمّا يشاهد فى تلك الجلسات فى كتب العالم بعد الموت لمؤلفه ليون دينى و علم النفس لفرويد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۲ و كتاب على إبطال المذهب المادى، و منها: ۱- التحدث بلغة غير اللغة الأم (يعنى الشخص الذى يتصل بالأرواح فىالتنويم المغناطيسى يمكنه أحياناً أن يتحدث معها بلغة لم يكن يجيدهاحتى ذلك اليوم!). ۲- حل المسائل الرياضية المعقدة فى التنويم المغناطيسى من قبل أفراد ليس لهم أى إستعداد لحل مثل هذه المسائل. ۳- كتابة بعض المطالب على ألواح جعلت فى صندوق و قد أحكم غلقه! ۴- حمل أجسام من الأرض بواسطة الأرواح دون أن تمتد إليها أى يد! ۵- ظهور الأرواح بشكل أشباح فى هذه الجلسات. و كما ذكرنا فإنّ هذه الأمور قد شوهدت من قبل كبار العلماء و قد إعترفوا بها و سجّلوها فى مختلف الكتب و المجلات. فهل يمكن القول و بالنظر لهذه المشاهدات الحسية أنّ الروح هى تلك

الخواص الفيزيائية و الكيميائية لخلايا الدماغ؟

ماذا يقول الماديون بشأن هذه المطالب المدهشة؟

ليس لهؤلاء سوى ثلاثة أجوبة: ۱- أحياناً يقولون: إنّ مثل هذه الأمور من قبيل الشعبذة و خفّة اليد والاستفادة من الوسائل الألكترونية أو الدسائس التى حيكت مسبقاً. ۲- قد لايكون هناك وجود واقعى لمثل هذه الظواهر و لعلها تستند إلى تلقينات متتالية و متكررة بواسطة أفراد مهرة. ۳- يمكن أن يكون بعض هذه الظواهر من حالة اللاشعور، أى أنّ هناك سلسلة من الأمور فى اللاشعور للشخص و هو غافل عنها و عند التنويم المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۳ المغناطيسى يرفع الستار عنها، و الأفراد الذين لايعلمون بوجود هذا اللاشعور يتصورون أنّهم يرون مسألة خارقة. إلّاأنّ علماء الروح قد أغلقوا جميع هذه المنافذ و قد مارسوا بعض‌الأفعال التى لا تبقى من مجال لاحتمال الدسائس و الشعبذة و الاستفادةمن مختلف الوسائل الألكترونية بحيث يزول أى إبهام و غموض و منها: أولًا: يختارون الواسطة «۱» ممن لايزيد عمره على عامين و يسمعون‌كلام الأرواح عن طريقه، و إن كان كبيراً جعلوه فى قفص خاص و قيدوا يديه‌و رجليه و عصبوا عينيه حتى لايتسنى لهم الاستفادة من أية وسائل خاصة. ثانيا: كما أوردنا سابقاً فإن حضّار الجلسة ينتخبون أحياناً من بين كبارالعلماء، و من البديهى أن يستحيل عادة احتمال تلقين مثل هؤلاء الأفراد. من جانب آخر أحياناً تحشر بعض الحيوانات فى تلك الجلسات ليدرسواردود فعل المشاهد المرعبة عليها و يبدو أنّها نتيجة إيجابية، يعنى أنّهاتتأهب للفرار من جراء رؤية تلك المشاهد أو أنّها تهرب فعلًا، و لا شك أوالتلقين بهذا الشأن لا يمكن الأذعان له. ثالثا: أحياناً يصرّح الواسطة حين التنويم المغناطيسى بأمور لم تطرق سمعه سابقاً قط كما لا يحتمل أن تكون كامنة فى اللاشعور (راجع الكتب التى ذكرت سابقاً بهذا الخصوص).

ملاحظات مهمّة

لابدّ من ذكر بعض المواضيع لكى تتضح جوانب البحث: ۱- إنّ قضية الإرتباط بالأرواح و إن كانت قطعية كما ذكرنا من وجهة نظر المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۴ الحاذقين فى هذا الفن و جمع من العلماء، و قد أوردنا اسم جماعة كثيرة من العلماء و المحققين ممن إعترفوا صراحة بهذا الموضوع فى كتاب «عودة الأرواح» إلّاأنّ هذا لايعنى إننا نقرّ بالزعم الأجوف لبعض السذّج و البله ممن يدعى الإرتباط بالأرواح. فمما يؤسف له أنّ مسألة الإرتباط بالأرواح قد استغلت إستغلالًا بشعاً، فقد يدعى ذلك عدد كبير من المنتهزين المحترفين أو السذّج البلهاء ويرون أنّهم يرتبطون بجميع الأرواح فيحصلون من خلال ذلك على بعض الأرباح، و لسوء الحظ فإنّ مثل هؤلاء الأفراد يضفون صبغة خرافية على هذه المسألة العلمية والتجريبية فيشوهونها لدى الآخرين، و قد دفعت بعض الأوهام و التخيلات البعض إلى إنكار أصل الموضوع و الحال هناك فارق كبير بين هؤلاء الأفراد والعلماء و المفكرين بالنسبة لهذا البحث، و قد لايصدق واحد من عشرات الذين يزعمون إرتباطهم بالأرواح، و عليه لابدّ أن نتحلى بالوعى و اليقظة و ننأى بهذا البحث بعيداً عن الإستغلال الذى يمارسه المهووسون و الجهّال فلا نخدع بالمزاعم التى يطلقها الدجّالون و لا ننسب أعمالهم الطائشة إلى هذا البحث العلمى. و لاسيما اللعبة الخاصة التى راجت فى الأوساط باسم الإرتباط بالأرواح بواسطة الطاولة المستديرة، فادعى البعض ممن ليس له أى إستعداد علمى أو عملى سوى إعداد طاولة مستديرة مع مخطط أنّه حصّل على مفتاح الأرواح وله أن يتصل بصغيرها و كبيرها، و هذا من أوضح النماذج المزيفة لمثل هذا الإرتباط الذى ينبغى الحذر منه بشدّة (ذكرنا هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب عودة الأرواح). *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۵ ۲- هل يوجد دليل على إمكان الإرتباط بالأرواح فى المصادر الإسلامية؟ الجواب على هذا السؤال بالإيجاب، حيث ورد فى التواريخ الإسلامية أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أمر بعد معركة بدر بالقاء قتلى الكفّار فى القليب

ثم وقف على القليب فناداهم: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً فَانّى قَدْ وَجَدْتُ مَاوَعَدَنى رَبّى حَقّاً». فقال له البعض أتحدثهم يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله و لم تبق إلّاجيفتهم. فردّ النبى صلى الله عليه و آله بأنّكم لستم بأسمع لكلامى منهم. «۱» و ورد فى نهج البلاغة أنّ علياً عليه السلام لما رجع من صفين و أشرف على القبور بظاهر الكوفة قال: «يا أهل ديار الموحشة، و المحال المقفرة، و القبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أمّا الدور فقد سكنت، و أمّا الأزواج فقد نكحت، و أمّا الأموال فقد قسمت. هذا خبر ماعندنا فما خبر ما عندكم» ثم إلتفت إلى أصحابه و قال: «أما لو أذن لهم فى الكلام لأخبروكم أنّ «خير الزاد التقوى». «۲» و بالنظر إلى هذه الأخبار و ماشابهها يتضح ومن خلال المصادر الإسلامية أنّ الإرتباط بالأرواح ليس بالأمر المتعذر. *** ۳- هل تعلم الأرواح بكل شىء؟ و هل تستطيع الإخبار عن كل ما تعلمه؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۶ قطعاً الجواب بالسلب، لأنّ الروح بعد إنفصالها عن هذا العالم و إن كانت لها فعالية أوسع، مع ذلك فمعلوماتها محدودة، و هى ليست عالمة بكل شىء، وعلى فرض المحال أنّها كذلك، فلا يعلم أنّها تستطيع الإخبار عن كل ذلك، والعبارة «لو أذن لهم فى الكلام» التى وردت فى نهج البلاغة تدل على أنّهم ليسوا مأذونين بذكر جميع الأشياء. *** ۴- الموضوع المهم الآخر الذى قد يلتبس أحياناً هو خلط قضية «الإرتباط بالأرواح» مع «عودة الأرواح» حيث يرى البعض ضرورة إلتزام من يؤمن بالإرتباط بالأرواح بموضوع عودة الأرواح، يعنى يعتقد بأنّ الروح بعدإنفصالها عن البدن تقر فى جنين أم أخرى فتولد من جديد، و يمكن أن يتكرر هذا العمل عدّة مرات، فتقدم روح واحدة إلى هذا العالم عدّة مرّات. إلّاأنّ هذه العقيدة و التى تعرف بتناسخ الأرواح خطأ محض، فالحياة التكرارية ليست ممكنة، و الروح بعد مفارقتها البدن لا تستقر فى بدن آخر. هذا و قد أوردنا عدّة أدلة تبطل هذه العقيدة فى كتاب «عودة الأرواح» ومن أراد المزيد فليراجعه.

۲- التنويم المغناطيسى

اشارة

توصل العلماء منذ القديم إلى وجود قوّة خفية فى بدن الإنسان يمكنها التأثير على الأجسام الأخرى دون اللجوء إلى الوسائل العادية و التى اصطلح‌عليها فيما بعد باسم «القوة المغناطيسية». و لعل هذه القوّة الخفية موجودة لدى كافة الأفراد، غاية ما فى الأمر أنّها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۷ تكون ضعيفة جدّاً لدى البعض، بينما تكون خارقة للغاية لدى البعض الآخر، كما يمكن تقويتها و تنميتها بواسطة التدريب و التمرين، حتى ورد أنّ بعض الحيوانات- و منها الأفعى- تستطيع بواسطتها شل حركة أعدائها أو فريستها، وإن شككنا فى وجودها لدى الحيوانات فلسنا نشك فى وجودها عند الإنسان. لقد كشفت هذه القوّة فى البداية فى مشرق الأرض حيث أدركها الكلدانيون و المصريون و الهنود، لكنّها لم تكن مسألة عامة حتى طرحت كاكتشاف علمى أواخر القرن الثامن عشر (عام ۱۷۷۵ م) من قبل الطبيب النمساوى «مسمر» فقال: هناك قوّة خاصة لدى الإنسان يمكن بواسطة معالجة بعض المرضى. طبعاً حسب العادة فإنّه كل إكتشاف غالباً ما يواجه بالحملات اللاذعة من قبل الأفراد غير المطّلعين و حسد الحاسدين، و من هنا فقد واجه «مسمر» عاصفة من الإعتراضات آنذاك حتى رآه البعض مجنوناً، و بالطبع فإنّ طموحات «مسمر» الخيالية قد زادت من حدة تلك الحملات و أصبحت ذريعة بيد مخالفيه، فقد إضطر إلى مغادرة النمسا و التوجه إلى فرنسا لمواصلة عمله، إلّاأنّ أبحاثه إقتصرت على السيّالة المغناطيسية دون الحديث عن التنويم المغناطيسى، حتى تعرف «بويسغور» على طريقة أستاذه مسمر، فكان يستفيد من هذه القوّة الخفية فى البدن لمعالجة المرضى حيث كان يدخل هذه الأمواج المغناطيسية الخاصة إلى بدن المرضى. ذات يوم و بينما كان يعالج قروياً فوجىء بأنّه نام، فأصيب بالذهول و الدهشة فأراد أن يوقظه فصرخ به إنهض! إنهض! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۸ و هنا إزدادت

دهشته حين نهض ذلك الرجل و ما زال فى حالة النوم وقد أخذ يمشى! فقال له مذهولًا! قف. فوقف ففهم بعد ذلك أنّ المريض يغط فى حالة تشبه النوم و هى تفرق كثيراً عن النوم الإعتيادى و كان يمتثل كل ما يقال له. أخيراً أيقظه و أعاده إلى حالته الطبيعية، و هكذا كشف موضوع التنويم المغناطيسى فى ذلك الوسط و تبيّن أنّه يمكن الحصول على «التنويم المغناطيسى» عن طريق «السيّالة المغناطيسية». و باستمرار التحقيقات فى هذا المجال إتضح أنّه يكفى لتنويم الأفراد مغناطيسياً النظر الطويل إلى نقطة شبه مضيئة إلى جانب التلقينات المتتالية مع الاستفادة من السيّالة المذكورة، و هكذا يمكن تنويم الأفراد مغناطيسياً بواسطة العناصر الثلاثة السابقة. ثم استمرت الأبحاث و الإختبارات لتتوالى كل يوم كشف غرائب وعجائب هذا النوم الذى يشير إلى فرقه الشاسع مع النوم الطبيعى، و القضية المهمّة هنا هى أنّ العامل «المنوِّم» يستطيع أن يحلّ محلّ إرادة و عزم المعمول «المنوَّم»، بحيث يستسلم المعمول تماماً لإرادة العامل فيمتثل كل ما يؤمر به دون نقاش سوى فى بعض الحالات الاستثنائية. و من ذلك: ۱- يستطيع العامل من خلال التلقينات المتابعة تخدير بدنه بحيث لايشعر بأدنى ألم. و قد استفيد اليوم فى الطلب من هذا العمل بدلًا من الدواء المخدر، وهنالك اليوم الأبحاث المسهبة فى الصحف و المجلات حول الاستفادة من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۹ التنويم المغناطيسى بدلًا من الأدوية المخدرة و قد إتخذت هذه القضية طابعاً عملياً فى بعض البلدان حيث يرى البعض أنّ آثاره أفضل من الأدوية المخدرة وعوارضه أقل. ۲- يمكن للعامل أن يلقّنه مثلًا أنّك آمر لجيش أو سجين مقيد، فيتخذلنفسه مباشرة هيئة قائد عسكرى فيتحدث بصوت وحركات خاصة بالنسبةلذلك الآمر، و فى الحالة الثانية يبدى ردود فعله و كأنّه سجيناً مقيداً؟ و قد رأيت فى منطقة خرم آباد فى أحد أسفارى مشهداً من مشاهدالتنويم المغناطيسى فى منازل أحد الأصدقاء و باقتراح البعض الآخر منالأصدقاء، فالمنوِّم كان رجلًا محترماً، كما كان الفرد المراد تنويمه شاباًمؤدباً، فأمره بالإستلقاء على الأرض وأخذ يدخل السيّالة المغناطيسية فىبدنه و هو دائم النظر إلى عينيه و يلقّنه باستمرار «الآن ستنام» و «ستنامسريعاً» و ما إلى ذلك من العبارات و قد كانت الغرفة شبه مظلمة و كان مايقرب خمسة عشر من الفضلاء قد حضروا هناك، و أخيراً جعله ينام، ثم قطعبواسطة التلقين إرتباطه عن جميع الأفراد سوى نفسه، بعد ذلك لقّنه أنّ بدنه سيكون كالخشب الجاف. و لم تمض مدّة حتى أصبح كذلك بحيث أخذ فرد برجله و آخر برأسهورفعوه من الأرض فجعلوا رجله على الحافة العليا لكرسى و رقبته علىالحافة الأخرى لكرسى آخر ثم وضعوا قطعاً من القماش تحته كى لايتأذىمن الكرسى وحافاته و الطريف فى الأمر أنّه إستقر على الكرسيين كأنّه قطعةخشبية جافة، حتى حين كانوا يضغطون على بطنه فإن ظهره كان يتحركبمرونة دون أن يعوّج أو يسقط على الأرض، ثم طرحوه على الأرض و أخذ العامل يلقّنه حتى أعاده إلى حالته العادية دون أن يوقظه من نومه. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۰ ثم لقّنه ثانية و بصورة مكررة فخدر بدنه بحيث لم يشعر بألم، و هناأشعل سيجارته و وضعها على يده، إلّاأنّه لم يبد أى رد فعل، لكنه لما أوقظمن نومه قال أشعر بقليل من الحرقة فى يدى. ۳- أحياناً يأمر العامل المعمول بالتحدث بلغات مختلفة حتى تلك التىلم يكن يعرفها. ۴- أحياناً يذكره العامل بالذكرات التى نساها بالمرة و يبعث به إلى حياتهالماضية، و الغريب فى الأمر أنّ جميع ردود فعله فى كل هذه الحالات كتلكالتى أبداها فى السنين الماضية! ۵- أحياناً يأمره العامل بالسفر إلى المناطق النائية و يتحدث عنمشاهداته. «۱» و كل هذه الأمور تدل على وجود قوّة أخرى فى وجودنا غير خلاياناالدماغية و أفعالها و إنفعالاتها، و هى تفرق كثيراً عن القوى المادية التىنعرفها، كما تفوق القوى المادية قدرة و نشاطاً حيث أمكن التعرف عليهااليوم بواسطة العلم، كما تبدى بعض الظواهر و الآثار التى تختلف و ما نراه ونعرفه فى عالم المادة. *** نقلت عدّة مشاهدات عن أفراد موثوقين بشأن «تجرّد الروح» يعنى الإنفصال المؤقت عن البدن و الذهاب إلى نقاط مختلفة بحيث يستطيع الإنسان الاطمئنان من مجموعها إلى وجود الروح بصفتها حقيقة مستقلة وتفوق المادة، نورد نموذجا منها: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۱ كان المرحوم الشيخ هاشم القزوينى من كبار علماء و أساتذة الحوزة العلمية فى مدينة مشهد، و الحادثة التى ننقلها قد سمعها منه الكثير من أصحابه وتلامذته، و من ذلك روى أحد تلامذة ذلك المرحوم- و هو من فضلاء الحوزة العلمية فى قم- قائلًا: ذهبت يوماً إلى المرحوم الشيخ هاشم القزوينى وطلبت منه أن يقص على تلك الحادثة بشأن تجريد الروح وإنفصالها المؤقت عن البدن الذى حدث

له، فردّ عليَّ قائلًا: «كان هناك رجل ضالعاً بهذا العلم فقصدته و سألته أن يجرّد روحي من بدني. فوافقني، و حين تأهبت لذلك، رأيت فجأة بدني في زاوية و قد إنفصلت عنه! فقلت: لابأس أن أستغل الأمر و أتوجه إلى قريتنا الواقعة أطراف منطقة قزوين، فرأيت نفسي قرب القرية، فرأيت خارج القرية رجلًا قام بسرقة ماء من النهر حين السحر وحمله إلى ملكه، و لم تمض مدّة حتى رأيت صاحب الماء، فلما علم بالأمر غضب و إنهال بالضرب على السارق بالمسحاة حتى قتله. كنت أشاهد تلك الحادثة إلّاأنّه لم يراني، أخيراً هرب القاتل و بقي جسد المقتول على الأرض، فلما جاءت نسوة القرية لأخذ الماء علمن بحادثة القتل، فنقلن الخبر مبهوتات إلى أهالي القرية، فجاء أهل القرية جماعات جماعات لرؤية الحادثة، و لكن ليس هناك من خبر عن القاتل، و من هنا شعروا بالقلق والاضطراب و لم يعرفوا ماذا يفعلون، أخيراً إستعدوا لدفن بدن المقتول. فلما أفقت إلى نفسي كان ذلك قريباً من طلوع الفجر و لم أكن صليت الصبح حينها، فرأيت نفسي فجأة في بدني، و قال لي الشخص الذي جرّد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۲ روحي: كيف حالك؟ فأخبرته بكل ما رأيت و أطلعته على تاريخ الحادثة بالضبط، و بعد شهرين قدم عدد من أهالي تلك القرية فلما إلتقوني، سألت عن المقتول دون أن أذكر الحادثة فقلت كيف حاله؟ قالوا: للأسف لقد قتل قبل شهرين و عثرنا على جثته قرب النهر إلّاإنّنا لم نعرف قاتله، و بعد سبع سنوات ذهبت إلى القرية لرؤية أقاربي وأصدقائي، فجاءني عدد كثير من الناس حتى كان القاتل أحدهم، و لما خلى المجلس دعوته إلى قربي و قلت له: قل الصدق من قتل فلاناً؟ فاعرب عن عدم علمه وقال: لا أدري. قلت: فمن رفع تلك المسحاة و قتل بها فلاناً؟ فشحب وجهه و فهم أنّي أعلم بالموضوع، فاضطر إلى سرد الحادثة. قلت: كنت أعلم، لكنّي أردت أن أقول لك إذهب و إدفع الدية لورثة المقتول أو أطلب منهم أن يعفو عنك».

ما ردّ الماديين على هذا الموضوع؟

طالما لايمكن التنكر لموضوع التنويم المغناطيسي، فقد صرّح القائلون بمادية الروح قائلين: إنّنا نقرّ هذه الظاهرة، إلّاأنّها قضية بسيطة، و لا تدل على أنّ الروح هي أكثر من الخواص الفيزيائية و الكيميائية لمادة الدماغ، لأنّ هذا النوم جاء إثر التلقين إلى جانب التعب بسبب تكرار عمل واحد جعله ينام (فالصوت الرتيب للمقص أو محرك السيارة يجعل الإنسان ينام أحياناً) ولكن يفقد الإنسان في هذا النوم إرادته فتستبدل بما يلقن، ثم تظهر آثاره الناتجة عن ذلك التلقين. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۳ و الذي ينبغي الإلتفات إليه أنّ التنويم المغناطيسي مقبول إذا إنحصر بهذا الأمر في أنّ الإنسان ينام و يظهر بعض الحركات إثر التلقين، إلّاأنّ سفر الروح إلى الأماكن الأخرى و التحدث باللغات التي لم تكن معروفة و العلم بالمسائل الخارجة عن حدود معلومات الشخص فهذه من الأمور التي لا يمكن حلّها على ضوء التفسير الذي أقررناه، و لابدّ أن نعترف أنّ في وجود الإنسان حقيقة كامنة أخرى غير ما تفيده العلوم الطبيعية و المادية والتي تبدي الآثار العجيبة التي لا تنسجم و الاصول و القوانين المادية.

۳- النوم و الرؤيا

اشارة

لقد شغلت قضية النوم أفكار العلماء من ناحيتين. ۱- ما النوم؟ لماذا ينام الإنسان؟ ما هي التغييرات الفسلجية التي تطرأ على الإنسان حين النوم؟ ۲- ما المشاهد التي يراها الإنسان في المنام و التي يطلق عليها اسم الرؤيا وكيف يحصل ذلك؟ لقد وردت لحدّ، الآن حسب تصريح بعض العلماء مئات النظريات بشأن النوم و حقيقة الرؤيا التي تشير إلى أنّ هذه المسألة قد خضعت للدرس والبحث منذ

قديم الزمان، و ما سنورده هنا مختصراً من أهم النظريات التى عالجت هذا الموضوع. و سنخوض فى البداية فى أصل حقيقة النوم لنرى ما الذى يحصل لينام الإنسان؟ ثم نتابع البحث بتسليط الضوء على حقيقة الرؤيا التى تشكل المحور الأصلى للبحث. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۴ النوم يعنى تعطيل قسم من الأنشطة الدماغية للإنسان (الأنشطة الشعورية). من البديهى أنّ جميع أنشطة هذا المركز القيادى لا- تعطل حيث إنّ التعطيل العام للدماغ يعنى الموت! يعتقد فريق من العلماء أنّ النوم يشمل كافة الكائنات الحيّة، فجميع الحيوانات و حتى النباتات تخلد إلى النوم، يعنى هناك سكون لبعض أنشطتها الحيوية بصورة متناوبة خلال الليل و النهار. «۱» أمّا ما الذى يحدث لتتوقف مجموعة من دماغ الإنسان عن النشاط ويغط فى النوم و تتباطىء فعاليات الجسم، و بعبارة أسهل ما الذى يحصل لينام الإنسان؟ لقد وردت عدّة أجوبة على هذا السؤال، و أهمّها النظريات الثلاث الآتية: ۱- نظرية العامل الفيزيائى ۲- نظرية العامل الكيميائى ۳- نظرية العامل العصبى للنوم عامل فيزيائى و سببه الرئيسى إنتقال الدم من الدماغ إلى الاطراف السفلى للبدن و الأرجل، و حين يتجه الدم إلى الأطراف السفلى و يقل عن الدماغ، فإنّ الدماغ يوقف جانباً من أنشطته فنقول فى هذه الحالة نام. و قد إستفاد أنصار هذه النظرية من أسرّة خاصة- تسمى الأسرّة الميزانية- لإثبات صحة آرائهم، فالشخص الذى يريد أن ينام يستلقى عليها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۵ و قد أثبتت التجربة أنّ رأسه يصبح أكثر ثقلًا قبل أن ينام، لأنّه سحب مقداراً كبيراً من الدم، أمّا إن نام أصبحت أطراف رجليه أكثر ثقلًا ليدل ذلك على أنّ الدم قد سار نحو هذه الأطراف. و هذه النظرية و إن كانت مقبولة ذاتاً- لأنّها تستند إلى التجربة- لكن لا يمكنها أن تكون العامل الرئيسى للنوم، لأنّ هناك سؤال يطرح نفسه و هو: ما الذى جعل الدم يترك الدماغ و يتجه نحو الأقدام، و بعبارة أخرى فالنظرية تبيّن نتيجة النوم لا العامل الأصلى الذى يقف وراءه. *** يقول أنصار النظرية الثانية (العامل الكيميائى): تتجمع بعض السموم فى بدن الإنسان حين الجهد و السعى و التى تشل جانباً من الدماغ عن العمل فإن جذبت هذه السموم من قبل البدن صحا من نومه. إلّاأنّ أصحاب هذه النظرية لم يستطيعوا بيان هذا الأمر، و هو لماذا ينام الإنسان و ينهض فجأة من نومه، والحال نعلم أنّ التسمم موضوع تدريجى و زواله تدريجى أيضاً؟ و عليه فلابدّ أن يتجه الإنسان بالتدريج من حالة اليقظة إلى حالة شبه المنام و من ثم حالة النوم الكامل، و نهوضه يجب أن يكون كذلك، و الحال ليس الأمر كذلك، وغالباً ما تحصل الظاهرتان فى آن واحد، طبعاً ممكن أن يستلقى الإنسان ساعة على الفراش محاولًا النوم، إلّاأنّ فترة الإنتقال إلى النوم لحظة ليس أكثر، و كذلك اليقظة من النوم تحصل فى لحظة واحدة، و لا تنسجم هذه القضية و التدريج. و أمّا النظرية الثالثة فتقول: هناك جهاز فعال فى دماغ الإنسان يضطره للعمل، فإن توقف هذا الجهاز عن العمل، نام الإنسان، هذا الجهاز العصبى له حكم معجل السيارة حيث يتوقف عند التعب. لكن ما هذا التعب؟ و لم المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۶ يتوقف هذا الجهاز العصبى الفعال عن العمل؟ هذه أسئلة لم تجد جواباً شافياً لحد الآن. و النتيجة التى نخلص إليها ممّا سبق أنّ العامل الأصلى للنوم ما زالمبهماً غير معروف رغم جميع الدراسات و التحقيقات التى أجريت بهذاالشأن، و لعل المستقبل كفيل بالتوصل إلى كنه حقيقة هذا الموضوع.

الرؤيا و الأحلام

الأهم من النوم الرؤيا، و هى المشاهد القبيحة و الجميلة و المحببة والموحشة التى يراها الإنسان فى المنام، و ما زال الإنسان لحدّ الآن يتساءلما هذه المشاهد و المناظر التى يراها فى المنام و ما مصدر الرؤيا؟ ما العاملالخفى الذى يجسد هذه المشاهد للإنسان فى ساعات النوم؟ هناك عدّة تفاسير بشأن حقيقة الرؤيا و يمكن تقسيمها إلى قسمين: ۱- التفسير المادى ۲- التفسير الروحى يزعم الماديون أنّ للرؤيا عدّة أسباب هى: الف: يمكن أن تكون الرؤيا نتيجة لأعمال الإنسان اليومية؛ يعنى ما فعله الإنسان فى الأيام الماضية يمثل لدى فكره عند النوم. ب: يمكن أن تستند الرؤيا إلى بعض الأمنيات التى لم تتحقق، كأن يرى العطشان ماءاً، و ذلك الذى ينتظر السفر أنّه قدم من السفر (و من هنا قيل قديماً أنّه يحلم ...). ج: يمكن للخوف من الشىء أن يدعو الإنسان لرؤيته، فقد تكرر بالتجربة

المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۷ أن من يبقى وحيداً فى البيت و يخشى اللص يراه فى المنام. و لفرويد و أنصاره و أتباع مدرسته تفسير و تعبير مادى آخر للرؤيا؛ فبعد مقدمات طويلة عريضة يصرحون بأنّ الرؤيا هى عبارة عن إشباع الرغبات المكبوتة. «۱» و توضيح ذلك: أنّ للنفس بعدان: «الشعور» و ما هو يرتبط بالفكر اليومى و المعلومات الإرادية و الإختيارية للإنسان و «اللاشعور» و ما يختفى فى الضمير الباطنى للإنسان بصورة رغبة لم تشبع، فهم يقولون عادة ما تكون لنا رغبات لم نستطع إشباعها فبقيت هذه الرغبات مكبوتة فإن؟ نمنا برزت إلى السطح و قد لا تحتاج أحياناً إلى تعبير (كالعاشق الذى يرى حبيبته المفقودة فى المنام) و أحياناً تتغير إلى أخرى و بهذه الحالة تحتاج إلى تعبير، و بناءاً على هذا فالرؤيا إنّما ترتبط دائماً بالماضى و ليس لها من صلة بالمستقبل لتخبر عنه، و هى وسيلة ممتازة للإطلاع على اللاشعور، و من هنا يعتمد عليها فى عالج الأمراض الروحية التى تستند إلى كشف اللاشعور عن طريق تنويم المريض، ويعتقد بعض علماء الأغذية أنّ هناك علاقة بين الرؤيا و الحاجة البدنية للغذاء، فيرون مثلًا أنّ الإنسان إذا رأى فى المنام أنّ الدم يخرج من أسنانه فمعنى ذلك قلّة فيتامين «*» فى بدنه و إن رأى مشيب شعر رأسه فهو يعانى من نقص فيتامين «*». *** و أمّا فلاسفة الروح فلهم تفسير آخر للرؤيا و النوم حيث يرون النوم و الرؤيا على أقسام: ۱- النوم الرؤيا المتعلقة بماضى الإنسان و رغباته و آماله و التى تشكل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۸ القسم المهم من رؤى الإنسان. ۲- النوم المضطرب و المبهم المعلول لفعالية الوهم و الخيال (و إن أمكن أن يكون له دوافع روحية). ۳- النوم والرؤيا ذات الصلة بالمستقبل و المدّلة عليه. لاشك أنّ الرؤيا و الأحلام المرتبطة بالماضى و تجسم المشاهد التى رآها الإنسان طيلة حياته ممّا لا تحتاج إلى تعبير خاص، و كذلك الرؤيا المضطربة و التى يصطلح عليها بأضغاث الأحلام التى تفرزها الأفكار القلقة و على غرار الأفكار التى تسيطر على الإنسان حين إرتفاع الحمى و الهذيان هى الأخرى ليس لها من تعبير خاص بالنسبة لمسائل الحياة المستقبلة، و إن إعتبرها علماء النفس نافذة للتعرف على اللاشعور و الاستفادة منها كعلاج لبعض الأمراض النفسية، و عليه فتعبير الرؤيا يهدف إلى كشف أسرار النفس و التعرف على علل الأمراض، لامن أجل الحوادث المستقبلة. و أمّا الأحلام المتعلقة بالمستقبل فهى على قسمين؛ قسم صريح و واضح لايحتاج إلى تعبير بأى حال من الأحوال و قد يتحقق أحياناً و يالعجب فى المستقبل القريب أو البعيد دون أدنى إختلاف، و قسم آخر يتحدث عن حوادث المستقبل لكنّه يحتاج إلى تعبير حيث يطرأ عليه التغيير بسبب بعض العوامل الذهنية و الروحية الخاصة. و لكل قسم نماذج كثيرة لايمكن إنكارها جميعاً، و بالطبع لم يقتصر ذكر هذه النماذج على المصادر الدينية و الكتب التأريخية، بل حدثت كراراً فى حياتنا الخاصة أو حياة الأفراد من معارفنا بحيث لا يمكن نسبتها جميعاً إلى الصدفة. و نورد هنا بعض النماذج التى تزيح الستار بصورة عجيبة عن المستقبل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۹ وقد سمعناها من أفراد لا نشك أبداً فى وثوقهم: ۱- نقل أحد العلماء و الثقاة المعروفين فى همدان المرحوم الميرزا عبد النبى و الذى كان من كبار أعلام طهران قائلًا: حين كنت فى سامراء كان يبعث إلىَّ كل سنة بمبلغ مئة تومان من «المازندران»، فكنت أستدين بعض المبالغ لقضاء الحاجة على أساس المبلغ المذكور، فاذا وصل ذلك المبلغ سارعت إلى تسديد الديون، ذات سنة أخبرت بأنّ وضع المحاصيل هذه السنة سيىء للغاية و عليه فسوف لن يبعث لى بذلك المبلغ، فشعرت بالإنزعاج والإمتعاظ حتى نمت كذلك، فرأيت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى المنام فنادانى قائلًا: فلان قم و افتح باب تلك الخزانة (و أشار إلى خزانة كانت فى البيت) فإنّ فيها مئة تومان. نهضت من النوم، و لم تمض مدّة حتى دق الباب، كان الرجل مبعوث المرحوم الميرزا الشيرازى المرجع الشيعى الكبير فقال: الميرزا يريدك، فتعجبت ما الذى جعل ذلك الرجل العظيم يطلبنى الآن، فذهبت إليه و كان جالساً فى غرفته، و كنت قد نسيت الرؤيا، فقال لى المرحوم الشيرازى: الميرزا عبد النبى إفتح تلك الخزانة فإنّ فيها مئة توماً فخذها! فتذكرت فوراً الرؤيا و أنا مذهول ممّا أشاهد، أردت أن أقول شيئاً، شعرت بعدم رغبته فى سماع شىء بهذا الشأن، فتناولت المبلغ و خرجت. ۲- نقل صديق ثقة أنّه كان لكاتب «ريحانة الأدب» المرحوم التبريزى ولد ويبدو أن يده اليمنى كانت مصابة بالروماتيز (التهاب المفاصل) بحيث كان يشق عليه الإمساك بالقلم فتقرر أن يذهب إلى ألمانيا ليتلقى العلاج. قال: كنت فى السفينة، و لما نمت رأيت فى المنام أنّ أمى قد توفت، ففتحت دفتر المذكرات و كتبت فيه اليوم و الساعة لتلك الحادثة، و بعد المعاد و عالم

الاخرة، ص: ۱۹۰ مدّتی عدت إلی إیران لأری طائفة من أقربائی الذی أتوا لإستقبالی و قد إرتدوا الملابس السوداء، فتعجبت و کنت قد نسیت تلک الرؤیا تماماً، أخبرونی بالتالی أنّ أمی قد فارقت الحیاة، و هنا تذکرت الرؤیا، و لما فتحت‌الدفتر و سألت عن یوم الوفاة کان کما دونت فی الدفتر. ۳- نقل أحد الثقاة أنّه إشتری قرب قزوین أرضاً بائرة واسعة بثمن غال جدّاً بحیث لامه جمیع الأصدقاء علی أنّه إرتکب خطأ فاحشاً، فلیس هنالک من أمل فی تهیئة الماء لتلک الأرض، و قد بذل مساعیه و استشار هذا و ذاک من المهندسین من أجل حفر بئر و الحصول علی الماء، إلّاأنّه لم یحصل علی نتیجة. فأثّر علیه ذلک تأثیراً کبیراً، لکنه کان نشطاً مکافحاً و لا یکف عن السعی، إلّاأنّه یأس بعد کل ذلک حتی نام لیلة فرأی فی المنام أنّه یتجول فی تلک الأرض من أجل العثور علی الماء، و فجأة بلغ نقطة کان ینبع منها الماء، فلما نهض من نومه و أصبح الصباح إنطلق إلی تلک النقطة التی رآها فی المنام، فأمر بحفرها، ولم تمر مدّة علی الحفر حتی نبع منها الماء الوفیر. ۴- کتب الکاتب الإسلامی المعروف سید قطب صاحب تفسیر فی ظلال القرآن فی تفسیره للآیات المرتبطة بسورة یوسف أنّه لو إستطاع إنکار کل ما قیل فی الأحلام لما وسعه أن ینکر ماحدث له حین کان فی أمریکا، فقد رأی فی المنام أنّ نزیفاً دموییاً قد أصاب عینی بنت أخته (و قد کانت حینها فی مصر) بحیث لم تعد تری الأشیاء، فاستیقظ من النوم مذعوراً و کتب رسالة إلی أهله فی مصر و قد سأل بالذات عن وضع عینی بنت أخته، فلم تمض مدّة حتی أتاه الجواب أنّها أصیبت بنزف داخلی ولا تقدر علی الرؤیة و هی الآن تتلقی العلاج. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۱ ثم یستطرد قائلًا: جدیر بالذکر أنّ النزف الداخلی کان لا یمکن مشاهدته بالعین المجرّدة، و لایتسنی ذلک إلّامن خلال الوسائل الطبیة. علی کل حال فقد حرمت من البصر، و قد شاهدت حتی هذا النزف الداخلی فی المنام بشکل واضح. *** و الحق أنّ الأحلام التی أشارت إلی الحقائق المرتبطة بالمستقبل والحقائق الخفیة المتعلقة بالحاضر و التی أزالت الستار عن بعض الحوادث لأعظم و أکبر من أن یفکر البعض بإنکارها، أو حتی حملها علی الصدفة ولکل أن یقف علی ذلک من خلال التعرف علی بعض النماذج التی تعرض لها ممن حوله من الأصدقاء. إنّ مثل هذه الأحلام لا یمکن تفسیرها علی أساس النظریة المادیة، ولایمکن تفسیرها إلّاعلی ضوء ما أورده فلاسفة الروح و من یعتقد بإستقلالها، وبناءاً علی ذلک یمکن الاستفادة من مجموع هذه الأمور بصفتها شاهداً علی‌إستقلال الروح.

۴ و ۵- الأعمال المذهلة للمرتاضین

اشارة

الطریق الرابع و الخامس من الطرق التجریبیة لإثبات إستقلال الروح قضیة إنتقال الأفکار و لاسیّما من الطرق البعیدة، و هذا هو الشیء الذی یصطلح علیه الیوم باسم «الحاسة السادسة». حیث یقوم شخصان ممن لهم إستعداد روحی کافی و بعد عدة تمارین بالتحدث إلی بعضهما البعض من بعید دون الاستفادة من أیة وسائل، کما یقرأ کل منهما أفکار الآخر، و قد یحصل هذا الأمر فی جلسة أو منطقة أو منطقتان نائیتان. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۲ کثیراً مایشعر الآباء و الأمهات و الأقرباء و الأصدقاء المقربین بحالة من‌القلق و الاضطراب دون أن یعرفوا السبب الذی یقف وراء ذلک، فلا تمضی مدّة حتی یتبیّن أن حادثة مأساویة وقعت لفرد یحبّونه و کأنّهم تحسسوا ذلک من بعید وقد إتصلت القلوب مع بعضها لتخبر بتلک الحادثة. و قد نقل «فلا ماریون» العالم الفلکی المعروف فی کتاب «أسرار الموت» نماذج کثیرة بهذا الخصوص عن عدّة أفراد و فی مختلف نقاط العالم، و لو فرضنا أنّ بعضها کان مصادفة أو خیال أو سذاجة، لکن هل یمکننا إنکارها جمیعاً. فهل یمکن تبریر قضیة إنتقال الفکر عن طریق التفاسیر المادیة للروح؟ و إذا إعتبرنا الفکر ظاهرة مادیة صرفة، فکیف یمکن أن ینتقل بهذه الصورة دون الاستفادة من الوسائل المادیة حتی أنّ مسألة الزمان و المکان لیست مطروحة بهذا الشأن. *** یقوم المرتاضون و استناداً إلی قوّة الإرادة و دون اللجوء إلی الوسائل بتحریک بعض الأجسام فی الهواء أو

إيقافها عن الحركة، كما يكتفون بنظرة واحدة لإعوجاج فلز أو كسره (حيث ذكرت الصحف أخيراً نماذج من ذلك، حيث قام شاب مرتاض فى إنجلترا و بحضور عدد من الصحفيين والمراسلين و أمام العديد من الأفراد بثنى الأشياء الفلزية، بل كان يقومبذلك العمل فى العديد من البلدان و كان المراسلون يتناقلون ذلك). أو يضعون مرتاضاً لمدّة أسبوع فى تابوت ثم يدفنونه تحت التراب و بعد المدّة المذكورة يخرجونه و يعملون له تنفساً إصطناعيا فيعود تدريجياً إلى حالته الطبيعية، و قد ذكروا أحد نماذج ذلك فى الصحافة حيث قام بذلك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۳ المرتاض «هاريک لوس» فى إحدى المدن الهندية أمام الحاكم الإنجليزى «كلوديوس فايدو». فقد جعلوه فى تابوت و أقفلوه ثم دفنوه تحت التراب وأوكلوا من يحرسه ليل نهار و قد حضر عند قبره الآلاف من صحبه و أتباعه وهم يشاهدون ذلك المنظر العجيب، و بعد مدّة أخرجوه و قد بدا بدنه ذابلًا وجلده ميتاً بحيث لا تشاهد فيه آثار الحياة، ثم أخذوا يرشّون عليه الماء الحار شيئاً فشيئاً و عملوا له تنفساً إصطناعياً حتى عاد إلى وضعه، فكيف نفس هذه القضية و سابقاتها إن إعتبرنا الروح من الخواص الفيزيائية والكيميائية الصرفة لخلايا الدماغ، و هل للخواص الفيزيائية و الكيميائية لخلايا الدماغ القدرة على حركة جسم أو ثنى فلز و ما شابه ذلك من الأفعال العجيبة؟

النتيجة

النتيجة التى يمكن أنّ نخلص إليها من مجموع الأبحات ذات الصلة باستقلال الروح بما فيها الأدلة العلمية و التجربية هى أنّ الروح حقيقة فوق المادة، و عليه فليس لخواص المادة من قبيل الفناء و العدم و التآكل من سبيل إليها، و هكذا فهى تستطيع البقاء بعد فناء البدن. و إثبات بقاء الروح بعد الفناء و إن تفاوت مع مسألة المعاد و القيامة، ولكن مع ذلك فهو خطوة باتجاه القيامة و العالم الأبدى الذى يعقب الموت، و سيكون ردّاً على اولئك الذين يرون الموت آخر مراحل الوجود الإنسانى ونقطة زواله وفنائه، و يعتقدون أنّ الإنسان حين يموت يعود إلى عالم ميت فتضيع ذرات وجوده فى طيات التراب و الماء و الهواء و ينتهى كل شىء!***

ملاحظة مهمّة

هل من تلازم بين إثبات القيامة و عالم ما بعد الموت و إستقلال الروح؟ و إن أنكرنا إستقلال الروح و اعتبرناها من الخواص الصرفة للمادة، فهل تبقى مسألة المعاد ثابتة؟ لابدّ من القول صراحة الإجابة على هذا السؤال: إنّ إثبات إستقلال الروح وكونها ليست مادية و إنّه كانت خطوة عريضة باتجاه إثبات المعاد و الحياة بعد الموت، لكن مع ذلك لا مانع أن يقول بالقيامة و الحياة بعد الموت الأفراد الذين ينظرون إلى الروح على أساس النزعة المادية و يرون الروح مادية، بحيث يقولون: إذا مات الإنسان تلاشى بدنه و الروح أيضاً التى من خواص المادة تزول أيضا، إلّاأنّ الذرات تبقى فى الهواء، و حين القيامة تتجمع هذه الذرات بالضبط كما كانت متفرقة فى بداية حياة هذه الدنيا ثم إتصلت مع بعضها بفعل بعض العوامل، فسوف تتجمع تلك الذرات فى ذلك اليوم و تعيد وجوداً من جديد وستلتحق بنا أعمالنا التى بقيت فى هذه الدنيا على هيئة طاقة. و إذا تذكرون فقد قلنا سابقاً: أنّ أغلب الفاكهة و الثمار و النباتات والبذور والحبوب يمكن أن تكون أصبحت تراباً عدّة مرّات ثم عادت إلى وضعها الأصلى، مثلًا فاكهة شجرة تنفصل عن الغصن بعد نضجها و تقع على الأرض، ثم تتعفن وتتحلل و تتحول بعد ذلك إلى مواد غذائية مؤثرة تمتصها الأشجار عن طريق الجذور فتطوى المسار السابق و تظهر بشكل فاكهة، وهذا فى الحقيقة نوع من الحياة بعد الموت و نموذج مصغّر للمعاد، و الحال نعلم أن ليس للفاكهة والحبوب من روح، و بناءاً على هذا فإثبات المعاد لايعتمد إلزاماً على مسألة إثبات الروح، و إن كان إستقلال الروح قطعياً على المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۵ ضوء الأدلة المذكورة. و الجدير بالذكر أنّ الآيات القرآنية المتعلقة بأبحاث المعاد قلّما ركزت على مسألة

الروح و بقائها، و يبدو أن علة ذلك هو أننا نستطيع إثبات المعاد دون إثبات بقاء الروح.

بقاء الروح فى القرآن

لا ينبغى الإلتباس إنّنا نريد القول بأنّ القرآن لم يتطرق إلى مسألة الروح وبقائها، بل نريد أن نقول أنّه لم يوقف إثبات المعاد عليها، فهناك عدّة آيات فى القرآن أشارت صراحة أو تلميحاً إلى بقاء الروح و إستقلالها و عدم فنائها بفناء البدن، و من ذلك ما ورد فى الآية ۱۷۰ من سورة آل عمران بشأن الشهداء فى سبيل اللّه: «وَ لَاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللَّهِ امْوَاتاً بَلْ احْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتيهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ الّا خَوْفٌ عَلَيهِم وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ». فالآية صريحة فى بقاء أرواح الشهداء، و نعلم أنّ هذا الحكم لايختص بالشهداء فى سبيل اللّه، و ذلك لعدم وجود الفارق بين روح هؤلاء و الآخرين من حيث المادية و عدمها، و إن إقتصر الذكر عليهم فذلك لأنّ الكلام كان بشأن وضع الشهداء من قبل الناس (كما يستفاد ذلك من سبب نزول الآية). كما ورد فى الآية ۴۶ من سورة المؤمن: «النَّارُ يُعْرَضونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ اشَدَّ الْعَذابِ». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۶ هذه الآية أيضا و إن كانت فى آل فرعون، إلّاأنّ المسلّم به أنّها لا تختص بهذه الحفنة من الظلمة و الآثمة، و عليه فالآيتان تفيدان أنّ لأرواح المحسنين و المسيئين بعد الموت الحياة برزخية، و لذلك فهى من الأدلة على إستقلال الروح. و يستفاد من الآية القرآنية: «قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ الْمُوتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» «۱» و سائر الآيات المشابهة كالآية ۵۰ من سورة الانفال و الآية ۴۲ من سورة ۷ الزمر والآية ۳۶ من سورة يونس و غيرها أنّ فى الوجود الإنسانى شىء يؤخذ منه عند موت الجسم حيث عبرت عن الموت بالأخذ، و هذا يدل على عدم فناء الإنسان كلياً بموت الجسم حيث يبقى منه شىء، فالتعبيرات إشارة لطيفة إلى بقاء الروح.***

المعاد الجسمى و الروحى

اشارة

هل الحياة بعد الموت تقتصر على الجانب الروحى؟ يعنى الجسم ينفصل عنّا دائماً حين الموت و الحياة الخالدة تتعلق بالروح فقط؟ أم يحصل المعادبالنسبة إلى الجانبين فيعود الجسم و الروح معاً؟ أم للمعاد بعد روحى و شبه جسمى، أى تعود الروح و يعود الجسم، لكن لا هذا الجسم المادى الاعتيادى، بل يعود جسم لطيف يفوق هذا الجسموهو عصارته. أم أنّ المعاد جسمانى فقط، و هذه عقيدة الأفراد الذين لايقولون باستقلال الروح و يرونها من آثار و خواص هذا الجسم. لكل من هذه النظريات الأربع أتباعها.

النظرية الأولى: المعاد الروحى

أغلب فلاسفة القدماء هم من أنصار هذه العقيدة و يزعمون أنّ الروح تنفصل للأبد عن البدن حين الموت و تبقى فى عالم الأرواح، و بناءاً على ذلك فإنّ مسألة المعاد لا تنطوى على مفهوم فليس هناك من عودة، بل تواصل الروح بقائها، إنّهم يعتقدون كما أنّ الفرخ يحتاج إلى مدّة يقضيها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۸ داخل البيضة وكذلك الجنين فى بطن أمّه، فإن طوى مسيرته التكاملية وإنفصل عنه، فإنّه لن يعود إليه أبداً، لا الفرخ إلى داخل البيضة و لا الجنين بعدالولادة إلى رحم الأم، و الإنسان كذلك و بناءاً على هذا فإنّ لجميع الثوابوالعقاب واللذة و الألم بُعد روحى فى العالم الآخر بعد الموت.

النظرية الثانية: المعاد الجسمانى و الروحانى

و هو الرأى الـذى إختاره طائفة من العلماء و الفلاسـفة القدماء والمعاصـرين و كما سـنرى لاحقاً- قد أيدت الآيات القرآنية هذا الرأى فى أنّالأجزاء المتناثرة من البدن ستجمع يوم القيامة و تجدد و تكتسب الحياة، طبعاً على مستوى أرفع وفى عالم و حياة أسمى.

النظرية الثالثة: المعاد الروحى و شبه الجسمى

يرى بعض الفلاسـفة القـدماء و الروحانيين أن لا عودة لهـذا الجسمالمادى والعنصـرى، فإن إنفصـلت الروح عن البـدن قرّت فى جسـم لطيف فعّال للغايـة من حيث الزمان و المكان و حتى قادر على إجتياز الموانع و ليس للفناء و الفساد من سبيل إليه، و به تواصل حياتها الخالدة. و فى الحقيقة إنّ هذا الجسم ليس كالمادة، بل يشـبه الأمواج، و لكن حيث يشـبه هذا الجسم من بعض الجوانب و يعتبر شبحاً منه فقد إصطلحوا عليه باسم «الجسم المثالى».

النظرية الرابعة: المعاد جسمانى فقط

اشارة

و هو رأى بعض قـدماء العلمـاء و المعاصـرين، الـذين يعتقـدون بانّنا إن متنا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۹ إنتهى كل شـىء، بالضبط كالمولـد الكهربـائى الـذى ينتهى فتنفـد طاقته وتزول مادته، و حين القيامـة تجمع الأجزاء المتلاشـية لهـذا المولـد الكهربائى أى بـدن الإنسـان و تلحق مع بعضـها و تكتسب صـبغة الحياة و بالطبع فإنّ الروح بفضـلها من آثارها و خواصـها كالطاقـة بالنسـبة لـذلك المولد الكهربائى تعودإليها.

الإسلام و المعاد

سنتنـاول فى البدايـة رأى الإسـلام بهـذه المسألـة ثم نورد الأدلـة العقليـة بهـذا الخصوص. طبعـاً يعتبر القرآن من أهم المصادر بالنسـبة للمسائـل الإسـلامية، فهـذاالكتاب السـماوى تحـدث فى أكثر من موقع عن المعـاد الجسـمانى (طبعاًالمقرون بالمعاد الروحانى) و أدنى معرفـة بالآيات القرآنيـة تكفى لنفى إقتصارالمعاد على المعاد الروحانى، لأنّ- كما بيّنا ذلك بالتفصـيل فى صـدر هذاالكتاب- القرآن بهدف تقريب المعاد إلى أذهان المنكرين قد ضرب أمثالًارائعة للردّ على إيرادتهم و هى ممزوجة بنوع من الإستدلال الحى، حيثأراد تجسـيد قضـية المعاد و القيامـة إلى حـدّ المشاهـدة و الإحساس لـدىالناس، و لذلك فإنّ جميع هذه الأمثلة و التشبيهات القرآنية بشأن المعادإنّما تؤيـد المعاد الجسـمانى. فأحياناً يدعو الناس إلى مشاهدة تكرار عملية الموت و الحياة فى عالمالنباتات و كيف تكرر قضـية المعاد كل سـنة أمام الأعين. فالأرض تتجه فى فصل الخريف تدريجياً نحو الموت، تكتسب الزهوروالأغصان و النباتات صبغة الموت، و تموت فى الشـتاء، إلّاأنّها تسـتعيد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۰ الحياة من جديـد حين يداعبها نسـيم الربيع و تتساقط عليها قطرات المطر (و قـد أوردنا الآيات المتعلقـة بـذلك فى بدايـة الكتاب)، فهل يفيـد هذا سوىالمعاد الجسـمانى؟ أحياناً يشـير القرآن إلى بداية الخلق فيصـرّح بأنّ الذىخلقكم أول مرة سـيعيدكم بعد الموت تارة أخرى. فمن البديهى أنّ هذا التشبيه لأجل إثبات المعاد الجسمانى و إلّافإنّبقـاء الروح بعـد فنـاء الجسم ليس له أى إرتباط بهـذا التشبيه. أضف إلى ذلك فإنّ أبحاث القرآن بشأن معاد الطاقـة الـذى مرّ علىناتفصـيله فى أول الكتاب و قصة أصحاب الكهف أو سائر القصص كقصةإبراهيم مع الطيور و مجيئ ذلك الإعرابى إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و هو يمسـكبعظم و يسأل عن كيفيـة إفاضـة الحياة عليه و الإجابـة التى أوردها القرآن فىسورة يس و التى مرّت علينا فى بداية الكتاب، إنّما ترتبط جميعاً بالمعادالجسمانى، و إلّاليست هناك من مناسبة للمعاد الروحانى دون الجسمانىبهذه الأبحاث (عليك بالدقّة). والجـدير بالذكر إنّ عرب الجاهلية كانت تعتقد ببقاء الروح، و الذى أثار دهشة الإعرابى و دفعه للإنكار مسألة المعاد

الجسمانی و عودة هذا الجسد إلی الحیاة بعد الموت، و لذلک قال القرآن علی لسانهم: «ایَعِدُکُمْ انَّکُمْ اذَا مِتُّم وَ کُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً انَّکُمْ مُخْرَجُونَ» «۱». و قال فی موضع آخر: «وَ قَالُوا ءَاذَا ضَلَلْنَا فی الأَرْضِ أَءِنَّا لَفی خَلْقٍ جَدِیدٍ» «۲». و قال: «وَ قَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَدُلُّکُمْ عَلَی رَجُلٍ یُنَبِّئُکُمْ اذَا مُزِّقْتُمْ کُلَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۱ مُمَزَّقٍ انَّکُمْ لَفی خَلْقٍ جَدِیدٍ* افَتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً امْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِینَ لَایُؤْمِنونَ بِالآخِرةِ فی الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعیدِ» «۱». فالذی یستفاد من کل هذه الآیات أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کان یتحدث عن عودة الجسم و المعاد الجسمانی و لذلک کان یتعجب المخالفون فکان القرآن یرد علیهم و یقول: «اللَّهُ یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعیدُهُ ثُمَّ الَیهِ تُرجَعُونَ» «۲». و خلاصة القول فإنّ الف باء المعاد فی القرآن الکریم هو المعاد الجسمانی- العنصری و أنّ مَن یُوجه أو الأصح «یُحرف» کل هذه الآیات الحاکیة عن المعاد الجسمانی و یفسرها بالجسم المثالی و ماشابه ذلک فلا یروم سوی التملص عن الحقائق!

المعاد الجسمانی علی ضوء العقل

اتضح تماماً من الأبحاث السابقة أنّ القرآن الکریم إنّما أراد «المعاد الجسمانی» فی کل موضع تعرض فیه لمسألة المعاد، و قلّما نجد فی محیط نزول القرآن من أنکر «المعاد الروحانی فقط»، و من هنا فإنّ الرهبة التی أصابت العرب الجاهلیة من طرح القرآن لقضیة المعاد إنّما تعود لبعده الجسمانی. و الآن لابدّ أن نری هل للعقل من دلیل یؤید هذا الکلام؟ یقول العقل: إنّ الروح و البدن حقیقتان لا تنفصلان عن بعضهما، بل هما متصلتان تماماً، فهما معاً کلزوم «المادة» لملزومها «الطاقة»، فهما یتکاملان معاً، و علیه فاستمرار بقاء أی منهما (لمدّة طویلة) لیس بممکن، هذا من جانب. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۲ و من جانب آخر فکما أنّ جسم إنسانین لایتشابهان قط من جمیع الجهات، و بشهادة التحقیقات الواسعة التی تمت بشأن الأفراد فإنّه لا یتشابه فردان حتی فی بنانهما، فإنّ روحین لا تتشابهان أبداً، و کما أنّ الجسم ناقص بدون الروح فإنّ الروح تنقص دون الجسم، و إن إنفصلا عن بعضهما فی عالم البرزخ (العالم الفاصل بین الدنیا و الآخرة) فانّه إنفصال مؤقت تکون فعالیة الروح فیه محدودة و لذلک لیس للحیاة البرزخیة سعة الحیاة لعالم القیامة أبداً. بعبارة أخری الروح آمر و عامل مؤثر و البدن مأمور و وسیلة العمل، وکما لا یستغنی الآمر عن المأمور و أدوات العمل، فإنّ الروح لاتستغنی عن الجسم فی مواصلتها لفعالیاتها، غایة ما هنالک حیث تستقر الروح فی عالم آخر أرفع وأسمی من هذا العالم فلابدّ أن یکون لها جسم أکمل و أرفع وسیکون الأمر کذلک، علی کل حال فإنّ الجسم و الروح مکملان لبعضهما، وعلیه فلا یمکن أن یکون المعاد أحادیاً کأن یکون روحانیاً أو جسمانیاً، وتتضح هذه الحقیقة من خلال تأمل وضع ظهور الجسم و الروح. لکن تبقی هنا أربعة إشکالات أو کما یصورها البعض أربعة مطبات لابدّ من الخوض فیها بالتفصیل و هی: ۱- شبهة الآکل و المأکول. ۲- قلّة التربة علی الأرض. ۳- أی جسم یعود، حیث یتبدل جسم الإنسان طیلة عمره. ۴- أین ستقع القیامة و المعاد؟ لأنّ سطح الأرض لا یسعه حشر و نشر کافة الناس. و الآن نسلّط الضوء علی کل واحد من هذه الإشکالات.

الاشکالات الاربعه حول معاد الجسمانی

۱- شبهة الآکل و المأکول

اشارة

هذه من الإشکالات القدیمة التی أوردت علی المعاد الجسمانی وخلاصتها: إفرض أنّ إنساناً حین القحط و المجاعة الشدیدة تغذی علی لحم آخر بحیث أصبح جزء من بدن الإنسان الأول أو جمیعه من لحم الإنسان الثانی، فهل ستنفصل هذه الأجزاء فی المعاد عن

الإنسان الثانی أم لا؟ فإن کان الجواب بالإیجاب أصبح بدن الإنسان الثانی ناقصاً، و إن کان الجواب بالسلب کان بدن الإنسان الأول ناقصاً. أصلًا لیست هناک من حاجة لهذه الفرضیة، فهذا الموضوع یجری دائماً فی الطبیعة حیث یموت الناس و یصبح بدنهم تراباً و یصبح التراب جزءاً من الأرض ثم یتبدل بعد إمتصاصه من قِبل جذور الاشجار تدریجیاً إلی نبات أو ثمرة فیتغذی علیها سائر الناس، أو الحیوانات، بعد ذلک یتناول الإنسان لحوم هذه الحیوانات. و علیه فأجزاء الأفراد السابقین تصبح من هذا الطریق جزءاً من بدن الأفراد اللاحقین. و لاینبغی لکم أن تتعجبوا إذا ما علمتم بأنّ هذه التفاحة التی توضع أمامنا قد تکون أصبحت لعشر مرات جزءاً من بدن إنسان ثم عادت إلی التراب، وامتصت ثانیة من قبل جذور و تحولت إلی تفاحة ثم تناولها إنسان آخر وأصحبت جزءاً من بدنه، و علی هذا الأساس فإن کان المعاد جسمانی تصارعت عشرة أبدان یوم القیامة علی بعض الأجزاء و سیکون لکل جزء من یدعیه له، فکیف سیکون المعاد جسمانیاً؟

إجابة و تحقیق

قلنا أنّ الإیراد المذکور من أقدام الإیرادات التی وردت علی المعاد الجسمانی و قد أجاب علیها الفلاسفة و المتکلمین القدماء کالخواجة نصیر الدین الطوسی و العلّامة الحلی و ... کل حسب مبانیه، و أهم جواب طرحه قدماء العلماء علی ذلک الإیراد عن طریق «الأجزاء الأصلیة» و «الأجزاء غیر الأصلیة». و طبق ذلک فهم یقولون: لبدن الإنسان قسمان من الأجزاء هی: الأجزاء الأصلیة و الأجزاء الإضافیة. الأجزاء الأصلیة هی الأجزاء التی تبقی طیلة عمر الإنسان فلا تتعوض ولا تفنی و لا تصبح جزءاً من بدن إنسان آخر أبداً، حتی و إن تناولها شخص آخر فلا تصبح جزءاً من بدنه. أمّا الأجزاء الإضافیة فهی قابلة للتغییر و التعویض و هی دائماً فی حالة تغیّر و یمکن أن تکون جزءاً من بدن إنسان أو حیوان آخر، و هکذا تحلّ المشکلة، یعنی فی یوم القیامة فإن الأجزاء الأصلیة لبدن کل شخص تنمو فی مدّة قصیرة کبذور النباتات أو نطفة الإنسان و تصنع البدن الأصلی. و السؤال الوحید الذی یبقی أمام هذا الجواب و الذی یبدو بصورة فرضیة مبهمة هو: أی الأجزاء من البدن هی الأصلیة و کیف یمکن تمییزها عن سائر الأجزاء؟ هناک عدّة إجابات علی هذا السؤال لعلها تزیل الإبهام و منها: ۱- الأجزاء الأصلیة هی «الجینات» الواقعة علی الکروموسومات فی وسط نواة الخلایا، و علیه فهذه الجینات جزء من نواة الخلیة الثابتة الوضع طیلة العمر وتشکل الأجزاء الأصلیة لبدن الإنسان. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۵ ۲- الفقرة الأخیرة فی العمود الفقری یعنی أسفل عظم فی هذا العمود هو الجزء الأصلی لبدن الإنسان حیث لایزول أبداً و لایستقطبه بدن حیوان أو إنسان آخر. ۳- الأجزاء التی لا نعرفها علی وجه الدقة، إلّاأنّنا نعلم أنّها موجودة فی بدن الإنسان و خاصیتها أنّها لا تزول أبداً و لا تنتقل إلی بدن حیوان أو إنسان آخر. لکن أی من هذه الاحتمالات لیس بمقبول من الناحیة العلمیة لأنّه: الجینات من حیث المواد دائمة التغییر حیث تتعوض بمرور الزمان و الباقی والثابت هو خواص الجینات. من جانب آخر، آخر عظم للعمود الفقری لا یختلف و سائر العظام من حیث البنیة، و الزعم المذکور لیس مبرهناً فی العلوم المعاصرة، فهذا العظم کسائر العظام فی حالة تغیر و تبدل و سیصبح تراباً بعد الموت و علیه فیمکن أن ینتقل إلی حیوان أو إنسان آخر. أضف إلی ذلک فإنّ موضوع الأجزاء غیر المعروفة الثابتة أشبه بالفرضیة منه بالموضوع القطعی، یعنی لیس لدینا من دلیل علی وجود مثل هذه الأجزاء فی البدن و إنّنا لا نری من فارق بین أجزاء البدن و یفید قانون النمو أنّ الکل فی حالة تغییر و سیتحول إلی تراب بعد الموت و یمکنه أن یعود إلی بدن حیوان أو إنسان آخر. و بناءاً علی هذا فمسألة الأجزاء الأصلیة و غیر الأصلیة مجرّد فرضیة یحتاج إثباتها إلی دلیل، و للأسف لیس لدینا من دلیل. ***

إجابة أوضح

لدينا سبيل أوضح لحل هذا الإشكال و الذى يحتاج شرحه إلى مقدمات لابدّ من تأملها بدقة. «۱» ۱- إنّ بدننا يتغير خلال عمرنا عدّة مرّات، كالمسبح الكبير الذى يرده الماء من قناة صغيرة و يخرج بالتدريج من قناة صغيرة أخرى فبعد مرور مدّة طويلة يتغير كلّه دون أن يشعر به، و كما قلنا فى بحث إستقلال الروح أنّ هذا القانون جارى و لا يستثنى منه أى من خلايا البدن حتى خلايا الدماغ. و يرى البعض أنّ المدّة الزمانية اللازمة لتبدل جميع أجزاء البدن بالأجزاء الجديدة قد تكون سبع أو ثمان سنوات، و هكذا يكون الإنسان الذى له سبعون سنة قد تبدل عشر مرّات منذ بداية عمره إلى نهايته. ۲- كل بدن يتبدل ينقل صفاته إلى الخلايا التى إستبدلته، و من هنا فإن لون بشرة الإنسان و شكله ولون عينيه و سائر مميزاته باقية على حالها طيلة عمره، رغم أنّ مواده قد تكون تغيرت عشر مرات، و ذلك يعزى إلى أنّ الخلايا حين التغير و التبدل تودع خواصها إلى الخلايا الجديدة، و الواقع هو أنّ البدن الإنسانى إلى آخر العمر يشتمل على جميع المميزات و الصفات والكيفيات التى كانت فى البدن السابق، و من هنا يمكن القول: أنّ آخر بدن للإنسان هو عصارة جميع الأبدان طيلة عمره. ۳- ما يفهم بوضوح من الآيات القرآنية إنّ الذى يعاد يوم القيامة آخر بدن للإنسان و الذى يتبدل إلى تراب و له فى الواقع جميع صفات الأبدان المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۷ التى تغيّرت طيلة العمر. فقد ورد فى الآيات القرآنية الثلاث: «فَاذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلونَ» «۱» ، «يَخْرجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٍ مُنْتَشِر» «۲» و «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعَاً» «۳» . فالآيات تبيّن أن آخر بدن يعاد يوم القيامة، لأنّ الذى فى القبر ليس سوى تراب آخر بدن. طبعاً هذا إذا دفن البدن، أمّا إذا تبدلت الأبدان مثلًا فى حريق إلى تراب أو فنت بسبب عوامل أخرى فإنّما تعود يوم القيامة ذرات آخر بدن و إن لم يكن هناك من قبر. و قد ورد فى آخر سورة يس بشأن المعاد: «قُلْ يُحْيِيَها الَّذى انْشَاهَا اوَّلَ مَرَّةٍ» «۴» فالآية تفيد أنّ الذى يبعث هو آخر بدن للإنسان، و هنالك عدّة آيات أخرى تؤيد هذه الحقيقة. و عليه نخلص إلى هذه النتيجة: إنّ ما يعود يوم القيامة هو آخر بدن الذى يشتمل على كافة الصفات و الخصائص طيلة العمر. ۴- هل يمكن إتحاد بدنين بصورة تامة؟ و بعبارة أخرى هل يمكن أن يتبدل جميع بدن شخص بفعل التغذية إلى جميع بدن شخص آخر؟ الجواب بالسلب، لأنّ بدن الإنسان يمكنه أن يكون جزءاً من بدن إنسان آخر فقط لا كل بدنه، و دليل ذلك واضح فالشخص الذى يتغذى على آخر كان موجوداً و عن طريق التغذية على بدن الآخر يجعله جزءاً من بدنه لا كل بدنه، صحيح أنّ بدن الشخص الأول يحلّ بصورة كاملة فى بدن الشخص الثانى، لكن الشخص الأول لا يمكن أن يكون تمام الشخص الثانى قط المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۸ وليس له أن يكون جزءاً منه (عليك بالدقّة). نعم لو فرضنا أنّ إنساناً تغذى على بدن آخر لمدّة سبع سنوات بحيث لم يتناول شيئاً غيره بما فى ذلك الماء و الهواء، ففى هذه الحالة سيكون بدن الإنسان الأول جميع بدن الثانى، و لكن واضح أنّ هذا الموضوع ليس أكثر من فرض، و لايمكن لشخص أن يستغنى سبع سنوات عن الماء و الهواء، إضافة إلى أنّ هذا الأمر ليس له عادة صورة خارجية بأن يقتصر غذاء الإنسان على مواد بدن آخر (بغض النظر عن مسألة الماء و الهواء). و النتيجة لايمكن إتحاد بدنين بصورة تامة و من جميع الجهات، بل يمكن البدن أن يكون جزءاً من بدن آخر (عليك بالدقّة أيضاً). ۵- كل خلية من خلايا بدننا تضم جميع شخصيتنا بحيث لو نمت لاستطاعت تشكيل بدننا، و بعبارة أخرى فإنّ كافة خصوصيات بدننا كامنة فى كل خلية، و يتضح هذا الموضوع سيّما بالنظر إلى أبحاث الجينات و أنّ فى نواة كل خلية داخل الكروموسومات ذرات غاية فى الصغر تعرف باسم الجينات التى تحمل كافة صفات الإنسان، و لاينحصر هذا الموضوع ببدننا، بل هو قانون يصدق على جميع الكائنات الحية، و من هنا نرى كيف يكثرون الأشجار حيث يغرسون غصن صغير فى وسط مساعد ثم يتحول تلقائيا إلى شجرة كاملة، و قد أجريت بعض التجارب على الحيوانات البسيطة مثل بعض الدود أنّه إذا قطّعت عدّة قطع فإنّ كل قطعة تتبدل بالتدريج إلى حيوان كامل. و يبدو هذا الموضوع ليس بمستبعد عن الإنسان من الناحية الاصُولية و الكلية، يعنى لو أمكن توفير ظروف مناسبة فإنّ كل خلية من خلايا بدن الإنسان تستطيع بمفردها أن تكوّن إنساناً يشبهه بكل شىء، بل هو نفسه، أو لم نكن يوماً خلية أحادية نمت تصاعدياً حتى تكونت الأعضاء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۹ المختلفة بالتدريج، أو ليست هذه الأعضاء والأجزاء قد ظهرت من إنقسام تلك الخلية الأحادية؟ أى أنّ الخلية الأولى نمت وتحولت إلى خليتين ثم نمت هاتان الخليتان و تحولتا إلى أربع

خلايا و هكذا تزايدت فكوّنت جميع عضلات البدن، و عليه فكل خلية يمكنها بمفردها أن تبنى جميع بدن الإنسان. و أحياناً نرى قطعة قد فصلت من بدن الإنسان بفعل حادثة، و سرعان ما تقوم الخلايا المجاورة لها تملأ مكانها و استعادة ذلك الجزء. ۶- هل تتغير شخصيتنا من الناحية الجسمية بزيادة و نقصان و صغر و كبر موادها؟ قطعاً لا. مثلًا كنّا فى اليوم الأول نطفة ذات خلية واحدة، و أصبحنا بعد عدّة أسابيع جنيناً يزن عدّة غرامات، ثم يصبح وزننا بعد أشهر كيلوين أو ثلاثة كيلو غرامات و يعقب ذلك ولادتنا و يختاروا لنا إسماً، و لكن لم نكن حين الولادة نزن أكثر من ثلاث كيلوات فإن كبرنا بمرور الزمان قد نصل إلى سبعين كيلو غرام، و ربّما ضعفت عضلاتنا و عظامنا فى حياتنا المستقبلية فيهبط وزننا إلى أربعين كيلو غرام. فهل تبدل هذه التغييرات شخصيتنا من الناحية الجسمية؟ يعنى لم نعد ذلك الوليد فى اليوم الأول؟ ذلك الجنين والنطفة الآحادية الخلية، و إن هبط وزننا بفعل المرض و الكهولة فبلغ نصف الوزن الفعلى، فهل لسنا ذلك الشخص السابق؟ ألا توجد شخصية واحدة فى ظل كل هذه التغييرات و التبدلات؟ الإجابة على هذه الأسئلة واضحة و هى: هناك واقعية واحدة فى ظل كل هذه التغييرات و التحولات و التى نعبّر عنها باسم زيد أو عمرو أو مسعود أو فاطمة، و عليه فشخصية الإنسان لا تغيير تبعاً لتغير مادته الجسمية المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۰ وزيادتها و نقصانها. *** و بعد أن إتضحت هذه المقدمات الست نعود إلى أصل البحث لنرى هل تخلق تغذية إنسان على بدن آخر مشكلة بالنسبة للمعاد الجسمانى أم لا؟ الحقيقة أنّها لا تخلق أية مشكلة، لأنّ الأجزاء الأجنبية الموجودة فى بدن الإنسان تعود إلى موضعها الأصلى يوم القيامة و لا تبقى سوى أجزاء نفس البدن، لأنّه كما قلنا أنّ البدن لايصبح جميع بدن إنسان آخر أبداً، بل يصبح جزءاً منه، و عليه فإن إنفصل منه ستبقى له بعض الأجزاء (عليك بالدقّة). و هذا مسلّم من أنّ البدن الثانى إنّما يصغر و يضعف بنفس النسبة التى يفقد بها الأجزاء الأجنبية المتناثرة فى جميع البدن، و لكن واضح أنّ ذلك لا يخلق مشكلة، فكما قلنا لو بقيت من البدن الثانى خلية واحدة لأمكنها أن تنمو و تكوّن البدن الأصلى، فضلًا عن بقاء الكثير من البدن الثانى. و بناءاً على ما سبق فإنّ الأجزاء الباقية من كل بدن مهما كانت قليلة ستنمو و تتكامل يوم القيامة (فى مدّة زمانية قصيرة أو طويلة) و تشكل البدن الأولى وليس هنالك أية مشكلة تترتب على هذا الأمر فالبدن هو البدن و الشخصية هى الشخصية و الصفات و المشخصات هى نفس الصفات و المشخصات و لذلك ستكون العينية و الوحدة محفوظة بين البدنين. لعلنا لا نحتاج إلى التذكير بأنّ هذا السبيل لحلّ مشكلة الآكل و المأكول لا يرتبط بفرضية الأجزاء الأصلية و غير الأصلية، لأنّ جميع الأجزاء أصلية من وجهة نظرنا وكلّها قابلة لأن تستقطب من البدن الآخر.

سؤال

السؤال الوحيد الذى يبقى هنا: على ضوء هذه النظرية فإنّه يمكن العثور على أجزاء معينة كانت يوماً جزء بدن آثم و بعد تحولها إلى تراب و جزء من النباتات إلى جزء بدن إنسان صالح، فهل عودة هذه الأجزاء التى كانت يوماً فى مسير الذنب و آخر فى مسير الطاعة إلى بدن الأول و هو بدن الآثم ينسجم والعدالة؟

جواب

يتضح جواب هذا السؤال من الالتفات إلى نقطة و هى أنّ الروح هى مركز الآلام و الأوجاع و كذلك الهدوء و الراحة، و ما الجسم إلّاوسيلة، و لذاإنّ بضّع بدن ميت إلى قطع قطع فأنّه لن يشعر بأى ألم، كما لايشعر بأىوجع لو قطع جسمه حين التخدير، و عليه فالثواب و العقاب يترتبان علىالروح و الجسم وسيلتها، حيث يستند الثواب و العقاب و المعصية إلى الروحو البدن وسيلتها كذلك فى هذا الأمر، و إننا لا نستند قط فى مسألة المعادالجسمانى إلى هذا المطلب فىأنّ البدن الفلانى أذنب أو البدن الفلانىأحسن بل نعتمد هذا

المعنى فى أنّ الروح لايمكن أن تكون لها حياة كاملةدون البدن، و من هنا لابدّ أن تعود الروح إلى جسمها الأصلى و تواصل حياتها الكاملة. و النتيجة هى أنّ وجود أجزاء معينة فى بدنين (بعد حل مشكلة وحدةالشخصية) لايخلق مشكلة من حيث الثواب و العقاب. و هكذا يتبيّن حلّ شبهة الآكل و المأكول التى شغلت أفكار أغلب الأفراد ولعل عدم حلّها جعلهم يترددون فى إقرار مسألة المعاد الجسمانى، أى يمكن الردّ على الإيراد المذكور من خلال قبول المعاد الجسمانى بهذا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۲ البدن العنصرى المادى كما صرّح بذلك القرآن. (يمكن مطالعة البحث من البداية ثانية لمن بقى لديه شك فىالموضوع).

۲- قلّة التربة على الأرض

اشارة

الإيراد الآخر الذى طرح بشأن المعاد الجسمانى هو لو تقرر أنّ تعود أجساد كافة أفراد بنى الإنسان يوم القيامة بهذا البدن المادى، فإن التراب الذى على الأرض لا يكفى لكل هؤلاء الأفراد، و عليه ستكون لنا مشكلة المواد الأساسية لبناء كل هؤلاء الأفراد! و إن قلنا بأنّ الأفراد سوف لن يكونون بهذه الهيئة الفعلية وسيتبدلون إلى أفراد صغار جدّاً، فانّ هذا الأمر عجيب و لايمكن تصديقه؟

جواب:

يبدو أنّ من يطلق هذا الكلام و يتحدّث عن أزمة التراب اللازم لبناء جميع أفراد البشر إنّما يطلق سهمه فى ظلام دامس و قد خاب سهمه، فما أحرى من يتفوه بذلك أن يتناول ورقة و قلماً و يحسب الأمر بصورة رياضية ليعلم مدى الخطأ الذى يرتكبه فى هذا المجال. يقال أنّ الماء يشكل ۶۵- ۷۰ بالمئة من جسم الإنسان، و عليه فإنّ المواد المعدنية و الآلية لبدن الإنسان تقريباً ثلث وزن بدنه، يعنى الإنسان الذى يزن ستين كيلو غرام تقريباً عشرون كيلواً- أو أقل- من بدنه تراب ومواد معدنية وآلية و الباقى ماء، و الآن نحسب لو كان لدينا متراً مكعباً من التراب فكم عساه يكفى كمواد لبناء بدن الإنسان؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۳ سنتوصل بسهولة إلى أنّ هذا المقدار من التراب (المتر المكعب) يكفى لأكثر من مئة شخص، و الآن تستطيع التعرف بسهولة على أنّ الكيلو متر المكعب من التراب يعنى قطعة أرض طولها و عرضها و إرتفاعها ألف متر تكفى لمئة مليارد إنسان- يعنى فى الكيلومتر المكعب مليارد متر مكعب يكفى كل منها لمئة إنسان. و بعبارة أوضح: يمكن لهذا المقدار من التراب أن يكفى لخمس و عشرين ضعفاً من سكان الكرة الأرضية، و هل تصدق أنّ هذا المقدار من التراب يشغل مساحة زهيدة من سطح الكرة الأرضية؟ و إذا تابعنا القضية من حيث الزمان، فمتوسط عمر الإنسان لايتجاوز الخمسين عاماً فاذا ضربنا العدد ۲۵* ۵۰ متوسط عمر كل جيل يكون الناتج ۱۲۵۰ سنة، يعنى يكفى كيلومتر مكعب من التراب لبناء المادة الأصلية لجميع البشر على الكرة الأرضية بمدّة ۱۲۵۰ سنة، و عليه فلو فرضنا أنّ عصر تأريخ الحياة البشرية على الأرض مثلًا كان إثنى عشر ألف و خمسمائة سنة، و نفرض أيضا أنّ أى جزء من بدن إنسان لم يصبح جزءاً من بدن إنسان آخر فإنّ عشرة كيلو مترات مكعبة من التراب تكفى لتشكيل أبدان جميع الأفراد. و إن اعتبرنا طول عمر الإنسان فى الكرة الأرضية مليونين و خمسمائةألف عام و الذى يتأتى من كشف آخر جمجمة و لعله لايمكن الذهاب أبعدمن ذلك، ففى هذه الحالة يكفى ألفى كيلومتر مكعب من التراب لتشكيل أبدان جميع الأفراد طيلة ۰۰۰/ ۵۰۰/ ۲ عام، و نعلم أنّ هذا المقدار من التراب لايشغل سوى مساحة صغيرة من الأرض، و النتيجة لو أخذنا بنظر المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۴ الاعتبار مساحة إيران بعمق ألف متر من التراب فانّها تلبى بناء أبدان مليارات مليارد من أفراد البشر خلال ميلونين و خمسمائة ألف سنة، رغم أنّ بلدنا يشغل زاوية صغيرة من سطح الكرة الأرضية و هذا ما يتضح من أدنى نظرة إلى الخارطة الجغرافية. فيتضح ممّا ذكرنا عدم صحة الزعم القائل بعدم كفاية تراب الكرة الأرضية لتلبية حاجة أبدان جميع أفراد البشرية.

۳- ما الجسم الذى يشمله المعاد؟

اشارة

السؤال الآخر الذى يطرح بشأن المعاد هو: إذا كان المعاد جسمانياً، فأى‌بدن من الأبدان التى إكتسبها الإنسان طيلة عمره سيكون المعاد؟ لأنّنا نعلم‌أنّ البدن و الجسم يتغير عدّة مرّات طيلة عمر الإنسان، و يحتمل أن تعوض‌خلايا البدن كل سبع سنوات و تستبدل بخلايا جديدة. و طبعاً فإنّ هذا التغيير إنّما يتم بصورة تدريجية و دقيقة بحيث لايبدو محسوساً قط، و الطريف أنّ الخلايا الجديدة تجتذب جميع مميزات وخصوصيات الخلايا القديمة، أى أنّها تكون بنفس الحجم و الشكل و اللون، أو ليست هى وليدة وراثة الخلايا القديمة، فكيف لاتشبهها فى كل شىء؟ على كل حال فبالنظر لما قيل يبقى سؤال و هو: إنّ الإنسان قد عوّض بدنه عشر مرات خلال سبعين سنة و قد أتى بكل واحد منها أعمالًا حسنة أخرى سيئة، فهل يعود بمجموع هذه الأبدان بحيث يصبح هيولا عجيبة؟ أم ببدن واحد منها، و ذلك ترجيح بلا مرجح، أضف إلى ذلك فإن لكل بدن صحيفة أعمال بحيث يمكن أن تكون متفاوتة تماماً مع صحيفة أعمال المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۵ البدن الآخر، أمّا إن كان المعاد روحانياً فليست هنالك أية من هذه‌المشكلات.

جواب:

يمكن العثور على جواب هذا السؤال فى ذات السؤال، فكما ورد فى المتن أنّ كل بدن يجتذب جميع مميزات و صفات البدن السابق، و عليه فآخر بدن هو مخزن جميع الصحف طيلة العمر و هو خلاصة و عصارة لجميع مميزات الأبدان السابقة. و لذلك فإنّ عودة و بعث آخر بدن تعنى عودة جميع الأبدان و بعثها، والجدير بالذكر هو أنّ الخلايا حين التعويض تجتذب حتى العوارض الإكتسابية، مثلًا الخال الموجود على البدن يمكن الّا يقارقه طيلة العمر رغم‌أنّ الخلايا تتعوض، و هذا مايشير بوضوح إلى نقل حتى الصفات الإكتسابية‌إلى الخلايا الجديدة. و كما ذكرنا سابقاً فالمفهوم من أغلب الآيات القرآنية‌أنّ المعاد يوم القيامة سيكون بآخر بدن، فقد ورد فى الآية ۵۱ من سورة‌يس: «وَ نُفِخَ فى الصُّورِ فَاذِاهُمْ مِنَ الَاجْدَاثِ إِلَى رِبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» و الآية ۷ من سورة الحج «وَ انَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فى الْقُبُورِ». فالذى يستفاد من هذه‌الآيات وشبيهاتها أنّ المعاد يحصل بآخر بدن، و هذا ما يقتضيه قانون‌العقل، لأنّ البدن الذى يكون عصارة و خلاصة جميع أبدان مدّة العمر هوفى الحقيقة مع الروح دائماً و له سنخية و تناسب معها فى كل جهات، و لاتستطيع الروح سوى به أن تكتمل، و عليه فليس هنالك من مشكلة من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۶ هذه الناحية فى أمر المعاد الجسمانى.

۴- أين تقام القيامة؟

اشارة

السؤال الأخير الذى يطرح بشأن المعاد الجسمانى و هو إذا أراد أن يعودكافة الناس منذ بداية الخليقة إلى الحشر فسوف لن يكون هناك من مكان‌على الأرض يسعهم، و نحن نعلم أنّ الأرض لا تستطيع تلبية التعداد السكانى فى بعض مناطق العالم، و من هنا هناك مواجهة شديدة لازدياد عدد السكان، فاذا أريد تجمع كافة الناس من الماضين و الحاضرين والقادمين فى مكان واحد، فكيف ستكون الحالة مزرية، أمّا إن كان المعاد روحانياً فليست هنالك أية مشكلة حيث لاتوجد مضايقات فى عالم الأرواح.

جواب:

لعل من أورد هـذا الإشـكال غفل عن نقطـة و هى كما ورد صـريحاً فى القرآن فإنّ نهايـة هذا العالم ستشـهد إختلال نظام كرات عالم الوجود: فالشـمس تكوّر و القمر يصـبح مظلماً و الجبال تنسف و تصـبح كـذرات الغبار، ثم يقام عالم جديد على أنقاض هذا العالم و تبـدأ حياة جديـده للناس فى ذلك العالم، و من هنا فليست هنالك من مشـكلة بالنسـبة لصـغر مساحـة الكرةالأرضـية، حيث لن تكون هناك كرة أرضية بهذا الشكل حتى نقلق من قلّةمساحتها، و سنستعرض مستقبلًا بصورة أعمق- إن شاء اللّه- هذا الموضوع.

شهداء المحكمة الكبرى للمعاد

اشارة

والحساب و الكتاب و الميزان القيامـة محكمـة عظيمـة لابدّ أن يحضـرها الجميع دون إسـتثناء و يمثلواللمحاكمة، ولكن كما ذكرنا أنّ ألفاظنا قـد أبتدعت منذ اليوم الأول بشأنحياتنا اليومية، و لذلك سـيتعذر علينا التحدث بمجرّد أن نخرج عن إطارحياتنا اليومية، لأنّنا لا نجـد الألفاظ التى تبيّن المفاهيم التى سـنتعمل معها! خاصـة بشأن الحياة فى العالم الآخر؛ العالم الذى يختلف تماماًعن هذاالعالم، حيث يفوق بمراتب هـذا العـالم سـمواً و رفعـة، و لاينطوى على حياتهالمملـة المتعبـة. بالضـبط كـالتوأمين فى بطن أمّهمـا- فرضاً- يضـعون ألفاظاًمن أجـل قضـاء حاجاتهمـا، فمن البـديهى أنّهمـا حين يلـدان و يريـان أنواعالمشاهـد والمنـاظر و الكائنات و الظواهر و الأفراد و الأشـخاص فليس أمامهمـامن سبيـل سوى التفاهم عن طريق الإشارات و حركـة العيون و الحواجب منأجل إفهام الآخرين ما يريـدان، لأنّ قاموسـهما فى مرحلـة الجنين قـد لايشـتمل على عشـر مفردات، و الحال يحتاج العالم الواسع الفعلى إلى عشـراتآلاف المفردات للتعامل مع مطالبه و مفاهيمه، فسـعة ذلك العالم بالنسـبة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۸ لعالمنا كنسـبة هذا العالم إلى عالم الجنين، و عليه فليس من العجيب ألّاتسـتطيع الألفـاظ والمفردات التى نتحـدث بهـا فى هـذا العالم أن ترسم لناصورة كاملـة عن شـكل الحياة فى العالم الآخر، فنشـعر بالإعياء و العجز لوصفروعة النعم و عظمة تكامل تلك الحياة، بل يصعب علينا نحن الذين نعيشفى سجن الدنيا حتى تصورهـا. *** على كـل حـال فحين نقول سـيمثل جميع الأفراد للمحاكمـة فى ذلـك العـالم، فـإن ذلك لايعنى سـتنصب عـدّة طاولاـت فى المحشر و سـيحمل كـل فرد ملفه صـغيراً كـان أم كبيراً تحت إبطه و يرد مع الشـهود، فيمثل مثلًا بين قضاة و حكام تلك المحكمة الذين يكونون من الملائكة، ثم تبدأ المحاكمة العلنية بعد الإستماع إلى الإفادة و التحقيق و السؤال و الجواب و يهب المتهم للـدفاع عن نفسه ثم يتـداول القضـاة- الملائكـة- الحكم فيصـدرون أحكامهم بتبرأة الأفراد أو إدانتهم، و بعـد إمضاء الحاكم المطلق- الـذات الإلهيـة المقدسـة- للحكم يبلّغ مأمورى إجراء الأحكام الإلهيـة؛ أى ملائكـة الجنّة و النار بتطبيقها، كلا ليس الأمر كذلك أبدا! فهناك تتخذ الألفاظ صـبغة و مفهومها آخراً، فهناك شـبح للمحكمة إلّاأنّه على مسـتوى أرفع بالشكل الذى لم نره و نسمعه قط. و إن ورد الكلام عن ميزان الأعمال فهـذا لايعنى وضـعها فى كفـة من ميزان ويضـعون عـدداً من الأثقال فى الكفـة الثانية حتى تحصل حالة التوازن فيعلم الوزن الواقعى، أو إن كـان أكـثر جيىء بميزان ضـخم ليحسب وزن الأعمـال، كلاـ ليس الأـمر كـذلك. قلنـا إنّ الألفـاظ هناك تتخـذ شـكلًا آخر (و لابـدّ أن تكون كـذلك) لأنّ الحـديث عن عالم يختلف تماماً عن عالمنا هـذا. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۹ طبعاً لا ينبغى أن تكون هذه الحقيقة وسـيلة للتفاسـير الخاطئة والمنحرفة ومدعاة إلى نوع من الفوضـى فى الألفاظ المتعلقة بالعالم الآخر، بل لابـدّ من توضـيح مفاهيم هذه الألفاظ فى ظل القرائن الموجودة، من جانب آخر فإن مفاهيم الألفاظ إنّما تتغير بمرور الزمان فى الحياة الدنيويـة: فحين كانت تطلق كلمـة السـراج يراد بها تلك القارورة المملوءة بالزيت و فى فوهتها فتيلـة طويلة يخرج جزء منها للإشـعال و يأخذ الزيت بالإحتراق شـيئاً فشـيئاً، و أحياناً توضع عليها مظلة متواضـعة لإحتواء الدخان. أمّا اليوم فتطلق هذه الكلمة و يراد بها المصـباح الكهربائى الذى يعلق فى السقف فلا من زيت و لا فتيلة، و لا يحمل من السراج القديم سوى خاصيته فى مكافحة الظلمة، و يصـدق هـذا الكلام على سائر وسائل الحياة القديمـة والجديـدة على أنّ تلك الوسائل و الأدوات تغيرت تماماً، غير أنّ النتيجـة باقية

ثابتة، فإن كان هذا الاختلاف و التغيير إلى هذه الدرجة بشأن زمانين فى هذا العالم، فما بالك بذلك العالم الذى يختلف بكل تفاصيلة عن هذا العالم، بحيث إذا لم نحصل على ألف باء آخر لبيان مفاهيمه فلابدّ على الأقل أن نفكر فى إستعمال ألفاظ أكثر بالنسبة لنتائجها، طبعاً لا نقول إنّنا نفسّرها كيفما نشاء ونصرّح بأنّ لهذه الألفاظ وضع خاص. و نخوض الآن فى تفسير هذه المفاهيم بعد تلك المقدمة.

الف- شهداء القيامة

اشارة

تعرض القرآن الكريم على لسان آياته إلى طائفة من شهداء المحشر وهم بالترتيب: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۰ ۱- الذات القدسية المطهرة: «وَ مَاتَكُونُ فى شَأْنٍ وَ مَاتَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ وَ لَاتَعْمَلُونْ مِنْ عَمَلٍ الّا كُنّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً اذْ تُفِيضُونَ فِيْهِ وَ مَا يَعْزَبُ عَنْ ربِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فى الأَرْضِ وَ لَافى السَّماءِ وَ لَاأَصغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لَاأَكْبَرَ الّا فى كِتَابٍ مُبينٍ» «۱». ۲- الأنبياء: «فَكَيْفَ اذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ امَّةٍ بِشَهيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهيداً» «۲». ۳- الأعضاء كالرجل و اليد: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ الْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيْهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «۳». ۴- الجلود: «وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذى أَنْطَقَ كُلَّ شَىءٍ» «۴». ۵- الأرض تشهد على الأعمال: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَها» «۵». ۶- الملائكة: «وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَ شَهيد» «۶». ***

كيفية هذه الشهادة

يتضح من خلال عد اللسان و اليد و الرجل و أعضاء البدن و كذلك الأرض فى عداد الشهود، أنّ تلك الشهادة ليست من قبيل الشهادات البشرية التى لا تتجاوز الكلام و ليست لها أية مطابقة للواقع، فهى شهادة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۱ «عملية» و «أثرية» لا سبيل للكذب إليها. توضيح ذلك، أحياناً نقول تشهد عين فلان أنّه لم ينم البارحة! يشهد شحوب وجهه و لعثمة لسانه أنّه يخشى من شىء! تشهد نظافته الفائقة لملابسه و داره أنه ينتظر ضيفاً. فهذه (الشهادة الطبيعية و العلمية) تفيد أنّها أبلغ و أصدق شهادة ولايسمع أحد إنكارها. غالبا ما ينكر المتهم شهادة جميع الشهود، ولكن بمجرّد أن يسمعوه كلامه من على شريط أو يروه الصور حين إرتكابه للجريمة يشعر بإغلاق كافة الطرق بوجهه فلا يملك سوى الإعتراف، و سبب ذلك هو أن شهادة الشريط و الصورة هى شهادة طبيعية و أثرية لا يسع أى أحد التنكر لها، لا ينبغى الغفلة أنّ روحنا و جسمنا إرشيف عجيب لكافة أعمالنا و تصرفاتنا وأقوالنا طيلة عمرنا، يعنى كما أنّ الغذاء الذى تناولناه منذ بداية عمرنا لحدّ الآن فى جسمنا- قد أثرت وأن آثار كل غذاء موجود فى دمنا و خلايا بدننا و فى عظامنا و شرايينا و أنّ هذه الآثار ستنتقل إلى الخلايا القادمة حين تغيير هذه الخلايا و تبدلها، بحيث لو كان هناك جهاز دقيق يدرس دمنا و خلايا بدننا لأمكنه إطلاعنا على جميع الأغذية مع تأريخها التى تناولناها لحدّ الآن، كذلك لكل عمل من أعمالنا إنعكاس فى روحنا و جسمنا: فللكذب و الخيانة و إنتهاك حق الآخرين و صفع البرىء و الشهادة الظالمة، لكل هذه الأمور بصماتها على روحنا و جسمنا و ترسم خطوطاً تسهل قراءتها فى محكمة القيامة التى تمثل على الظهور و البروز، فكل هذا من شهود تلك المحكمة. بالمناسبة لو كان المجتمع يؤمن بمثل هذه الحقائق فكم سيكون مراقباً المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۲ لأعماله و تصرفاته؟ و ما أعظم الآثار التربوية التى سيفرزها هذا الإيمان بمثل هذه القيامة.

ب- الحساب فى تلك المحكمة

يتضح ممّا قيل أنّ هناك صبغة أخرى لمسألة صحيفة الأعمال و الحساب فى محكمة القيامة، فوجود المجرمين و الصالحين هو

صحیفة عمل، و هکذا أبواب و نوافذ البیت المسکون کل منها صحیفة، و لاشک أنّ الکتاب الذی یعطی یوم القیامة إلی الصالحین بیمینهم و إلی الطالحین بشمالهم و الذی تحدثت الآیات القرآنیة عن تعذر إنکاره هو من قبیل هذه الصحف الأثریة التی یصعب علینا الیوم حتی تصورها، و من هنا تحل لدینا مشکلة أخری یقول بشأنها القرآن: «وَ اللَّهُ سَرِیعُ الْحِسَابِ» «۱». لأنّ الحساب واضح هناک و هو مجموع آثار الأعمال الحسنة و السیئة فی وجود کل شخص و نتیجتها معلومة واضحة. و لتقریب هذه الحقیقة للذهن یمکن أن نضرب مثلًا بسیطاً فنقول لعل السیارات العادیة قد طوت عدّة طرق کثیرة طیلة عمرها دون أن یستحضرها حتی سائقها فضلًا عن حسابها، ولکن إن أدرنا نظرنا إلی العدّاد فاستطعنا تعیین مقدار الطریق الذی إجتازته و هذه أیضا شهادة أثریة، عادة ما یتخلل الحساب العادی بعض الأخطاء و حتی حسابات الأدمغة الألکترونیة، إلّاأنّ لدینا حساب فی هذا العالم لا یتسلل إلیه الخطأ، مثلًا تضیف الأشجار المقلوعة کل سنة إلی نفسها بعض القشور التی تکشف عن عمرها، و کذلک المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۳ طبقات الثلج، فهذه حسابات لا سبیل للخطأ إلیها، و الحق أنّ حساب یوم القیامة من أرفع أنواع هذه الحسابات.

ج میزان الأعمال

کثر الکلام فی المتون الإسلامیة عن میزان الأعمال و یری البعض أنّ هناک میزاناً کالذی نراه فی هذا العالم، و لذلک تکلّفوا عناء وجوده و ماذایزن. ۱- نفس الأفراد ۲- صحف الأعمال ۳- تجسم الأعمال له وزن و کل ذلک لأنّهم فسّروا المیزان و الوزن علی ضوء المفاهیم العادیة التی‌نتعامل معها فی الحیاة الیومیة و الحال ورد مفهوم أوسع و أجمع له فی‌القرآن الکریم: «وَ السَّماءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِیزَانَ» «۱». «وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمْ الْکِتَابِ وَ الْمِیزَانَ» «۲» توضیح ذلک: هناک مع یار لدی کل قوم وملّة لتعیین القیم حیث یمکن القول لهذا المیزان إمکانیة تحدید مصیرها، علی سبیل المثال فمقیاس العلم و العالم فی دنیاه المادة غیر مقیاس مدرسة الأنبیاء و الأولیاء والوحی، فالیوم یطلق العالم علی من یمتلیء دماغه بأکثر عدد من القواعد و المعادلات و له معرفة بطبیعته و أسراره و کیفیة الاستفادة منه و قد قضی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۴ شطراً من عمره فی الجامعات و المختبرات و تفوق فی الإمتحانات، و لا فرق فی أن یسخر هذا العلم لخدمة البشریة أو لخدمة القنابل و الصواریخ‌العابرة للقارات أو الرؤوس النوویة أو صنع المخدرات، أو الدفاع عن عصابات‌اللصوص الدولیین حین یمثلون فی المحاکم أو فی خدمة المنظمات الإستعماریة و الاقتصادیة العالمیة. بینما تکتسب هذه الکلمة معنی آخر لدی أولیاء اللَّه کعلی (ع) الذی یری‌العالم من یقوم علی مصالح الناس و یوظف العلم فی سبیل نجاة البشریةویتحمل هموم الامة و إلّافلیس هو بعالم. «وَ مَاأَخَذَ اللَّهُ عَلَی الْعُلَمَاءِ الّایُقارُّوا عَلَی کِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لاسَغَبِ مَظْلُومٍ» «۱» . نعم، فمقیاس العلم و الشخصیة و القیم الإنسانیة و السعادة و الشقاء مختلف تماماً بین الشعوب و أقوام، فمحیط عرب الجاهلیة الذی یری الشخصیة فی السلب و النهب و کثرة الأولاد الذکور إنّما ناتجه حفنة من اللصوص بتعدد الزوجات دون حساب، أمّا حین أصبح العلم و الورع والتقوی هو المقیاس بظهور الإسلام فقد تغیّرت الأوضاع کلیاً و ظهرت حصیلة أخری تباین سابقتها. إنّ أحد أهداف رسالات الأنبیاء هو منح الضوابط و المعاییر الواقعیة الصانعة للإنسان، و الآیة ۲۵ من سورة الحدید إشارة إلی هذه الحقیقة، ومن هنا نری المیزان بوسیلة المعیار المعنوی الذی یشبه المیزان الحسی فقط فی النتیجة یعنی تعیین الوزن الواقعی- جدیر بالذکر ورد فی إحدی زیارات أمیرالمؤمنین علی علیه السلام: «السَّلامُ عَلَیْکَ یَا مِیزَانَ الْاَعْمَالِ». فهنا یصبح الإنسان الکامل هو المیزان للأعمال ولکل أن یعلم وزنه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۵ وقیمته علی أساس مدی شباهته به فی الإیمان و العمل و التقوی و العدالةوالشجاعة، فهو میزان دقیق ووسیلة إختباریة تامة و کاملة للقیم الإنسانیة. و نری الیوم بعض الموازین الدقیقة تؤثر علیها حتی حرکة الریح و کتابة کلمة واحدة، و کذلک هناک میزان ضغط الدم و الحرارة و حتی مقدار إستعداد الإنسان و ذکائه، بینما لیس لدینا أی میزان للعمل الصالح والسییء مقدار الإخلاص وحسن النیة و دوافع الأعمال. مثلًا ورد فی روایةأنّ مثل الشرک فی الأمّة أخفی من دبیب حشرة سوداء فی لیلة ظلماء علی‌حجرة صماء. فمن المسلم به أنّ حرکة تلک الحشرة تؤثر علی الحجرة و ینبعث من‌حرکتها علیها صوت مرتفع، إلّاأنّه

زهيد إلى درجة أننا لا نستطيع حسابهبأية وسيلة، فبطريق أولى ليس لدينا من وسيلة لمعرفة نفوذ الأفكارالمنحرفة إلى نيّة الإنسان التى تعتبر أدق و أظرف من سابقتها، لكن منالمفروغ منه أنّ هناك مثل هذه الوسائل فى العالم الآخر، نعم كل ما نعرفهأنّها موجودة، بينما لا نعلم كيفيتها و خصائصها. ***

الثواب و العقاب

إنّ القراءات غير السليمة لمسألة الثواب و العقاب فى عالم ما بعد الموتجعلها تنطوى على هالة من الإبهام و الغموض، فهنالك عدّة علامات استفهام ونقاط مبهمة بشأن الثواب و العقاب فى القيامة و العالم الآخر، والتى عادة ماتستند إلى التفسيرات الخاطئة للثواب و العقاب. فمثلًا يتساءل البعض: ما تأثير ذنوبنا على اللّه ليؤاخذنا بها و يعاقبنا عليها؟ إنّنا نذنب لكنّه هو الكبير و القادر و العالم فلماذا يعاقبنا؟ إذن ما الفرق بيننا و بينه؟ فهو الذى يصفح و يعفو. و بغض النظر عمّا سبق فإن أقصى ما يعمر أعتى الظلمة و أعظم الأثمة لا يزيد على مئة سنة، فما معنى هذا العذاب لملايين السنين و الخلود فيه؟ إنّ فلسفة العقاب لا تتجاوز أحد ثلاث: الاستناد إلى روح الثأر أو من أجل اعتبار الآخرين أو تربية الخاطئين. و لايصح أى من هذه المواضيع الثلاثة بشأن العقاب فى العالم الآخر، فأمّا الثأر و الإنتقام فاللّه منزّه عنه، لأنّ الإنتقام (و خلانا لما يتصور) لا يفيد القدرة، بل هو علامة على ضعف الإنسان و عجزه الروحى، و الانتقام مسكّن للأرواح المجروحة، أو الأصح عامل من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۸ أجل تخدير الأرواح المريضة و العاجزة، وعليه فالعقاب الإلهى لاينطوى علىأى عنصر إنتقام. كما لا ينطوى على «عنصر تربوى» بالنسبة لمرتكب الذنب أو الآخرين، فمركز التربية هو هذا العالم و ليس هنالك من فرصة فى العالم الآخر، و عليهفإنّ العقوبات فى العالم الآخر ليست مثل القوانين الجزائية و لعقوبات فىعالم الدنيا، فمثل هذه العقوبات تختزن الجانب التربوى، بينما لا معنى لهفى الحياة الآخرة. *** يمكن الردّ على التساؤلات السابقة من خلال الإلتفات إلى حقيقة و هى أنّ العقاب الاخروى و الجزاء فى القيامة ليس إلّاآثار و نتائج الذنوب والمعاصى فى روح الإنسان و جسمه و كذلك تجسمها. توضيح ذلك: هنالك عدّة آيات قرآنية و روايات إسلامية ذات عبارات رائعة بشأن رابطة هذا العالم بعالم الآخرة يمكنها كشف الإغماض المذكور، مثلًا ورد فى الآية ۲۰ من سورة الشورى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْاخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فى حَرْثِهِ». فالتعبير بالحرث يفيد أنّ الثواب و العقاب فى ذلك العالم ليس سوى نتائج أعمال الإنسان. و ورد فى الآية ۱۵ من سورة الجن: «امَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً». و نخلص من ذلك إلى أنّ النار ليست سوى الصورة الأخرى لأعمال الأفراد، وجاء فى الآية ۳۹ من سورة الصافات: «وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ». و يفهم من ذلك أنّ الثواب أيضا هو ذات الأعمال و الذى يستفاد من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۹ هذه العبارات أنّ الذى سيلازمنا فى العالم الآخر هو الأعمال الحسنة و السيئة والتى صدرت منّا فى هذا العالم و هى التى ستبلغ بنا التكامل أوالتسافل. فستخرج هذه الأعمال آنذاك من خفاياها و تظهرلنا بشكل جديد، فإمّا أن تنير أعماقنا و تشعرنا بالحيوية و النشاط و إمّا أن تحرقنا، على كل‌حال فهى معنا ولا تفارقنا، فهى أبدية بإذن اللّه كسائر الأشياء فى ذلك العالملايتطرق إليها الفناء و الزوال، و هكذا فمسألة الثواب و العقاب ليست مثل‌أجرة العمال و معاقبة العبيد، و ليس لها بعد الإنتقام، كما ليس فيها عبرةللمذنبين أو غيرهم، بل هى نوع آخر يمكن التعبير عنه ب «أثر العمل». و الطريف فى الأمر أنّه ورد فى الرواية المعروفة «الدنيا مزرعة الاخرة». وبالإلتفات إلى مفهوم المزرعة يتضح أنّ ما نحصده هناك هو المحصول لبذور الأعمل الحسنة و السيئة التى غرسناها هنا، فلو نثرنا عدّة بذور من الأشواك ورأينا أنفسنا بعد سنوات أمام ميدان واسع مليئى بالشوك و لابدّ لنا من عبوره، فهل نكون قد حصلنا على شىء غير الذى زرعناه؟ و بالعكس لو نثرنا بذور الزهور فى مزارعنا و واجهتنا بعد مدّة حديقة غنّاء مليئة بالزهور و الأوراد ذات الروائح العطرة التى تبعث النشاط و السرور فى قلب الإنسان، فهل تكون سوى نتيجة عملنا؟ فلا فى الحالة الأولى هناك ظلمنا و لا فى الحالة الثانية ما تلقيناه عبثاً دون حساب، و لم نحصل فى الصورتين سوى على نتيجة عملنا (عليك بالدقّة). و الآن نسأل: إذا كانت تلك الأشواك و هذه الزهور خالدة أبدية، تجعلنا نعيش الألم أو اللذة دائماً، فهل هناك من مقصر؟ أم أنّ ذلك ينافى العدل؟

أم لنا الحق فى الشكوى إذا فهمنا الثواب‌و العقاب على أساس ما تقدم فسوف تزول كل علامات الإستفهام (عليك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۰ بالدقّة أيضاً). و سنتحدث بالتفصيل عن ذلك فى بحث «الخلود» و «تجسد الأعمال». *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۱

تجسم الأعمال

اشارة

كيف ستكتسب أعمالنا فى الآخرة صفة الحياة بحيث يتجسم كل عمل بالصورة التى تناسبه؟ إنّ من بين الخصائص التى يتصف بها ذلك العالم و تميزه عن هذا العالم‌هو مسألة تجسم الأعمال، فأقوالنا وأعمالنا فى هذه الدنيا التى نعيش فيهاتبدو حركات عابرة ليس لها من دوام و بقاء و عادة ما تمحى و تزول بعدالظهور، يمكن أن يكون هناك مصور ماهر وعارف بالوقت فيحضر فى لحظةوقوع الجريمة فيلتقط عدّة صور لجميع مراحل الجريمة أو يسجّل الأصواتبحيث يمنحها بنوع صبغة الدوام، لكن أصل القول و العمل مهما كان حصللعدّة لحظات ثم تم و إنتهى. ولكن نفس هذه الألفاظ و الكلمات و الأعمال الحسنة و السيئة التى أتينا بها فى هذه الحياة و يبدو أنّها نسيت و زالت و كانت تعتمد علينا فىوجودها حتى فى تلك اللحظات، ستظهر يوم القيامة بصيغة موجودات‌مستقلة تبدو فيها جليستنا الأصلية التى لاتبتعد عنّا أبداً. ورد فى الحديث النبوى الشريف أنّ: «الظُّلْمُ هُوَ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۲ الْقِيَامَةِ» «۱» .، و أموال اليتامى تتجسم بصورة نار: «انَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً انَّما يَأْكُلُونَ فى بُطُونِهِمْ نَاراً» «۲» . كما يكون الإيمان نوراً: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِايْمانِهِمْ» «۳». و الخلاصة فإنّ كل عمل سيتجسم بالصورة التى تناسبه، أحياناً تتبدل الكيفيات العملية بكيفيات روحية و جسمية، فمثلًا المرابين الذين يعثرون بأعمالهم القبيحة المسيرة المتوازنة لإقتصاد المجتمع يعيشون نوعاً من مرض الصرع بحيث لايستطيعون التوازن حين قيامهم من الأرض: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لَايَقُومُونَ الّا كَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ» «۴». أما الأموال التى إحتكرها الأغنياء و البخلاء و جهدوا فى جمعها ولم يبدو أية رحمة تجاه من حولهم من الفقراء و المساكين الذين يعانون من الجوع و الحرمان، بل حتى هم أنفسهم لم يستفيدوا من تلك الأموال و لم تجلب لهم سوى مسؤولية الحفاظ عليها و الهم و الغم من أجل عدم فقدانها وتشتتها و بالتالى لم يكن لهم بد من مفارقتها و الإرتحال عنها، فإنّهم سيطوقون بها و تكون وبالًا عليهم: «سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ» «۵». فإضافة إلى الإشارات فى الموارد الخاصة الماضية حول تجسم الأعمال الذى ورد فى مختلف الآيات القرآنية، فهناك إشارة إلى هذا الموضوع فى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۳ عدّة موارد أخرى بصورد حكم كلى و من ذلك: ۱- «وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً» فكل ما يحبّونه انّما هو من صنع أيديهم وحاضر لديهم من هنا أردف بقوله: «وَ لايَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً» «۱». ۲- «وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤنَ» «۲». ۳- «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ اشْتَاتًا لِيُرَوا اعْمالَهُمْ» «۳». ۴- «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» «۴». فالآية الأخيرة تفيد أنّ الإنسان سيرى نفس العمل لا ثوابه و عقابه وكذلك الآيات السابقة، طبعاً يمكن تفسير ذلك على أنّه مشاهدة النتيجة وثواب وعقاب العمل أو مشاهدة صحيفة الأعمال، و لكن يبدو هذا التفسير خلاف ظاهر الآيات و ليست هناك من قرينة على ذلك. أضف إلى ذلك فهناك الكثير من الروايات الواردة فى المصادر الإسلامية والتى تصدنا عن مثل هذا التفسير و ترشد إلى كيفية تجسم الأعمال الحسنة والسيئة هناك.

هل يمكن تجسم الأعمال؟

المسألة المهمّة التى ترد هنا هى: هل تنطبق هذه المسألة و الموازين العلمية؟ و تتضح الإجابة على هذا السؤال بعد الإلتفات إلى عدّة

مقدمات مختصرة: ۱- نعلم أنّ العالم مركب من «مادة» و «طاقة» و إنّنا نراهما أينما نظرنا فى السموات و الأرض مع بعضهما و يبديان فى صور مختلفة. أمّا المتصور سابقاً هو أنّ هناك حدّاً فاصلًا لايمكن عبوره بين المادة والطاقة، فالمادة مادة دائماً و الطاقة طاقة كذلك، إلّا أنّنا و بفضل تطور العلوم المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۴ الطبيعية قد وقفنا على الأسرار الكامنة فى هذين الأصلين الأساسيين لعالم‌الخلقة، حيث تبيّنت مدى العلاقة الحميمة بينهما إلى درجة أنّ كل واحدمنهما أب و كذلك إبن الآخر. و أخيراً فقد إنهارت آخر قلعة محكمة للذرة بصفتها الحدّ الأخير لعالم‌المادة، حيث إخترقها العلم و التطور التكنولوجى ليتبيّن أنّه ليس فى‌داخلها سوى الطاقة، و لم تكن هذه المادة سوى طاقة مضغوطة، و هكذاأصبح تحول المادة إلى طاقة أمراً عادياً. و قد أثبتت الأجسام الراديو كتيفية التى تنبعث منها أشعة ذرية فى‌الحالة العادية و الطبيعية، يعنى أنّ مادتها فى حالة تآكل و إنهيار وتحول‌إلى طاقة، عدم الحاجة فى كل موضع إلى المفاعلات الذرية القوية بغية‌تجزأة الذرة وتحطيم أغطيتها، بل إنّ أغلب ذرات العالم الثقلية فى حالة‌تجزأ تلقائى- أو بصورة تدريجية و بطيئة- هذا جانب من المسألة. و السؤال المطروح: هل يمكن تبديل الطاقة إلى مادة على غرار تجزأالذرة وتبدلها إلى طاقة، مثلًا يمكن ضغط و فتح السلك المرن فهل يمكن‌هذا فى عالم الطاقة بحيث يمكن ضغطها و تبديلها إلى مادة، طبعاً- حسبمانعلم- لم يستطع العلم المعاصر القيام بذلك العمل، و لكن لا دليل على نفى‌ذلك أيضاً، فما دامناً أقررنا أن بينهما رابطة حميمة، بل إنّهما و جهان لعلمةواحدة، فمن الممكن تبدل أحدهما إلى الاخر، و عليه فلا مانع من تبديل‌الطاقة بمادة. ۲- إنّ أعمالنا أشكال مختلفة للطاقة، فكلامنا طاقة صوتية مخلوطة بالطاقات الميكانيكية للسان و الشفة و تستمد العون من الطاقة الخاصة للدماغ. حركاتنا و أفعالنا و أعمالنا الحسنة و السيئة و الظلم و العدل و المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۵ الإحسان والبخل و العبادة و الدعاء كلها أشكال أخرى للطاقة الميكانيكية أو الخليط من الطاقة الميكانيكية و الصوتية. و هنا خطأ كبير لابدّ من إجتنابه و هو أنّ الأغلب يتصور بأنّ المواد الغذائية فى بدننا إنّما تتبدل إلى طاقات وحركاتنا و أعمالنا المختلفة، و الحال إنّ هذه خطأ، فالمواد الغذائية لا تتبدل إلى الطاقة قط (تبديل المادة إلى طاقة يختص بتجزأة الذرة أو التشعشعات الذرية فى الأجسام الراديو كتيفية). فما تفسير مايقال من أنّ الغذاء وقود البدن و يتبدل فيه إلى طاقة؟ لا تبدو الإجابة صعبة على هذا السؤال لأنّ فى بدننا ماكنة كسائر المكائن التى تقوم بتحويل الطاقة من شكل إلى آخر، لا أنّ المادة تتبدل إلى طاقة (عليك بالدقّة). *** توضيح ذلك: إنّ كل تحليل أو تركيب كيميائى إمّا أن يحرر طاقة أو يكتسبها، فمثلًا حين نشعل حطباً فانّ الكاربون الموجود فيه يتحد مع اوكسجين الهواء، فتنبعث منه الطاقة الحرارية التى إدخرها فى جوفه خلال سنوات حين القيام بعملية الكربنة دون أن يتبدل شىء من كاربون الأشجار أو اوكسجين الهواء إلى طاقة. و الآن يمكن أن نجعل هذه الطاقة الحرارية تحت قدر من الماء و نبدلها إلى بخار فنستفيد من القوة البخارية لتسيير العجلات، فقد تبدلت هنا الطاقة الحرارية إلى طاقة ميكانيكية و حركية. كما نستطيع عن طريق الضغط ضخ البخار عبر إنبوب لايجاد صوت عظيم، أى تبدلت الطاقة الحرارية إلى طاقة صوتية و كذلك .... المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۶ ففى جميع هذه الحالات لم يقل شىء من المادة، بل تغيّر شكل الطاقة‌الكامنة فى جوف المواد. و يصدق هذا الموضوع على المواد الغذائية فى بدننا، لأنّ المواد الغذائية‌فى أبداننا تتحد مع الاوكسجين فتنبعث منها طاقة حرارية بفعل الإحتراق، فتتغير هذه الطاقة لتتبدل إلى حركة و صوت و ما شابه ذلك. *** نعود إلى الموضوع، فأعمالنا و أفعالنا و أقوالنا إنّما تنتشر بصورة طاقات متنوعة فى الأوساط المحيطة بنا، و هى تؤثر على كل شىء بما فيه بدننا‌والأرض التى نعيش عليها، و أثرها باقى لايعتريه الفناء و يحفظ دائماً فى صحيفة الطبيعة، فكما قلنا سابقا لا مفهوم للعدم و الفناء هناك، بل هناك تغيير فى الشكل. و بالتالى سيأتى اليوم الذى تجمع فيه هذه الطاقات التى تبدو منسية منتهية فتكتسب الحياة و تبيّن أنّها لم تعدم. لقد سمعنا بأنّه اخترع جهاز يستطيع تصوير السرّاق الذين يفرون من الموضع (يعنى يصور مكانهم الخالى) لأنّ الأشعة تحت الحمراء التى بقيت بصورة حرارة بدنية فى الموضع يمكن تصويرها، أو نسمع أنّ العلماء استطاعوا إستعادة الأمواج الموجودة على بدنة الأوانى الفخارية التى خلفّها المصريون قبل ألفى سنة فيجعلون الأصوات قابلة للسماع، و على ضوء ذلك سيمكننا التسليم و الإقرار بحلول مثل هذا اليوم بالنسبة بجميع أعمالنا و أقوالنا، و طبق المقدمة الأولى لإمكانية تبديل الطاقة إلى مادة لا تبقى

مشکلة بشأن تجسم الأعمال و تبدلها إلی موجودات مادیة، و علیه فتجسم الأعمال مقبولة من وجهة النظر العلمیة، و هذا بدوره یکشف عن مدی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۷ اختلاف الحیاة فی ذلک العالم عن الحیاة هنا، لو فرضنا أنّ هذا التجسم یحصل فی عالمنا المعاصر فمثلًا یتبدل السب و الکلام الفاحش إلی موجود مؤذی إلی جانبنا، أو یکمن لنا کمستنقع نتن، أو أن یتجسم صفع البریء وغصب حق الآخرین إلی موجود مشوّه مکروه، فکیف ستصبح حیاتنا؟ سیقال: ما أحسن أن تکون کذلک، کی تکون خشیتها دافعاً للناس لعدم سلوک السبیل المنحرف، بل یسارعون إلی الخیرات (علیک بالدقّة). و لکن لاینبغی الغفلة أنّه علی هذا الأساس سوف لن یکون هناک من تکامل فی أرواحنا و أنفسنا، بل سیکون هنالک نوع من العمل الإجباری، یعنی کمن یحمل قسراً لمساعدة مؤسسة خیریة حیث لایترتب أی تکامل أخلاقی أو معنوی علی عمله، و من هنا أکتفی بأوامر العقل و تعالیم الأنبیاء فی هذا المجال. لکن علی کل حال للإیمان بأصل تجسم الأعمال دور بارز فی بلورة الجانب التربوی لدی الإنسان، إلی جانب حثه الإنسان علی الإتیان بالصالحات و الحیطة و الحذر من الطالحات و القبائح، و یفتح قلبه و فکره فی الأمور التی تتطلب الفداء و التضحیة (علیک بالدقّة أیضاً).

الجنّة و النار

اشارة

لو أقیمت علاقة بین أم و طفلها التی فی بطنها و استطاعا التحدث معاً، فسوف لن تکون هناک أم قادرة علی التعبیر عن المنظر الجمیل الساحر والخلّاب لحظة شروق الشمس أو غروبها علی ساحل بحیرة رائعة تتناثر حولها الحشائش و الأشجار بأغصانها التی تداعب أمواج البحیرة. إنّها لاتستطیع تصویر حالة النسیم المنعش الممزوج بالرائحة العطرة للزهور و التی تحمل رسالة الحب، کما لا تستطیع شرح ألم فراق صدیق حمیم یتلظی بنار حبیبه، و لیس لها تمثیل سهره اللیالی و تطلعه إلی السماء و الکواکب والنجوم، و أنی للجنین إدراک هذه المفاهیم و لم یتعامل سوی مع قبضة من اللحم و الدم؟ إنّ شرح نعم الجنّة و الآلام المفجعة لعذاب النار بالنسبة لنا نحن الذین نعیش فی جنین هذه الدنیا بالضبط کم مرّ معنا فی إدراک الجنین. حقاً- کما قلنا- فإنّ کلماتنا المحدودة فی هذه الحیاة لأعجز من أن تصور الحقائق الخارجة عن دائرة الحیاة الدنیا، و علیه فلابدّ من ألفاظ أخری و مشاعر و أحاسیس و إدراکات أخری لکی یمکن التحدث عنها أو سماعها، و ما أروع ما قاله القرآن الکریم بشأن تلک الحیاة: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْس مَا اخْفِیَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۰ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ اعْیُنٍ» «۱» و ورد فی الحدیث: «فِیهَا مَا لَا عَیْنٌ رَاتْ وَ لَااذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَاخَطَرَ عَلَی قَلْبِ بَشَر» «۲» . و لعلنا نتعرف علی أهمیّة الأمر إذا ما تأملنا المفهوم الواسع لکلمة النفی «لا أحد»، هذا من جانب. و من جانب آخر فإنّ الصفات و الخصائص التی ذکرها القرآن الکریم لنعم الجنّة لا یمکن مقارنتها قط بما فی هذه الدنیا: ۱- «اکُلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا» «۳». ۲- لا تتعفن میاهها أبداً و فیها أنهار من لبن لا یتغیر طعمه (و کأنّه بصورة دائمة فی محیط و فضاء مکشوف دون أن یفقد شکله الطبیعی) کما فیها أنهار من الخمرة التی تشتمل علی اللذة دون السکر و العفونة: «فِیهَا انْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَیْرِ آسِنٍ وَ انْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ یَتَغَیَّرْ طَعْمُهُ وَ انْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِینَ» «۴». ۳- «وَ دَانِیَةٍ عَلَیْهِمْ ظِلَالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِیلًا» «۵». ۴- «یُسْقَوْنَ مِنْ رَحِیقٍ مَخْتُوم* خِتَامُهُ مِسْک» «۶». ۵- لیس هنالک من حدّ لنعمها من حیث النوع أو الجنس، بل فیها کل ما تشتهیه النفس: «وَ فِیهَا مَا تَشْتَهِیهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْاعْیُنُ» «۷». ۶- لیس فیها أی من معانی البغض و الحقد و الحسد و الصفات الذمیمة، وهی مفعمة بالحب و الطهر و الاخوة: «وَ نَزْعْنَا مَا فی صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ اخْواناً» «۸». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۱ ۷- محیط یفیض أمن وأمان، فلا وجود فیها للحرب و سفک الدماء، بل ولا النزاع و الجدال و کلها صلح و سلام: «لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ» «۱». ۸- لیست هناک من لذة تفوق لذة مناجاة اللّه و الاستغراق فی جمال الحق وجلاله سبحانه و الشعور بالسرور لرضی اللّه: «دَعْوِیهِمْ فِیهَا سُبْحَانَکَ اللَّهُمَّ وَتَحِیَّتُهُمْ فِیهَا سَلَامٌ وَ آخِرُ دَعْوِیهُمْ انِ الْحَمْدُ لِلّهِ رِبِّ الْعَالَمِینَ» «۲».

۹- تنبعث نار جهنم من نفس الناس و هم وقودها و حطبها: «وَ امَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» «۳» ، «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الحِجَارَةُ» «۴».

۱۰- تختلف هذه النار و سائر النيران فهى تحرق من الداخل و تسرى إلى الخارج و أول إقتداحها فى قلب الإنسان: «نَّارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتى تَطَّلِعَ عَلَى الْأَفْئِدَةِ» «۵». *** و نخلص إلى نتيجة ممّا سبق فى أنّ العالم الذى يعقب الموت هو عالم أوسع بمراتب من هذا العالم و بمفاهيم جديدة تماماً و حيّة و نعم جمة إلى جانب العذاب الأشد الذى لا نتصور سوى شبحه.

الخلود و العذاب الأبدى

اشارة

كما لا تتساوى خدمات و مخالفات كل الناس- من حيث الكمية والكيفية- كذلك ثوابهم و عقابهم لايمكن أن يكون واحداً، و هذا ما عليه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۲ الحال بالنسبة لقوانين العقوبات العادية لأفراد البشر فعقوبة من يسرق خاتماً زهيد الثمن ليست كعقوبة من يهجم على دار الآخرين فيسرق ويسلب ما يشاء ثم يعمد لقتل النساء و الأطفال فى الدار. و من هنا فإنّ هنالك تناسباً دقيقاً بين الثواب و العقاب الإلهى- و الذى يجرى وفق خطة محسوبة و بعيداً عن كافة أشكال الخطأ التى لا تخلو منها القوانين البشرية عادة- و طبيعة الأعمال، و لاسيّما أننا أشرنا سابقاً إلى أنّ هناك رابطة تكوينية و طبيعية قائمة بين العمل و الثواب و العقاب، وعليه فاختلاف ثواب و عقاب الأفراد أمر واضح لا نقاش فيه. إلّاأنّ المستفاد من المصادر الإسلامية- بما فيها القرآن و كتب الحديث- هو أنّ جميع المؤمنين سيخلدون فى الجنّة، أمّا الأفراد العصاة الذين مردوا على الكفر و الإلحاد و الذنب و المعصية فانّهم سيخلدون فى العذاب، و قد عبّر القرآن عن ذلك بالخلود التى تعنى فى اللغة بقاء الشىء على حاله، و من هنا يطلق الخالد على الشىء الذى يأبى الفساد. وردت كلمة «الخالدون» ۲۵ مرّة فى القرآن الكريم و أنّ ۱۴ مرّة منها فى عذاب جهنم و الخلود فيه، ووردت مفردة «الخالدين» ۴۴ مرّة فى القرآن وأنّ ۱۳ مرّة منها متعلقة بما سبق أيضاً، كما وردت بعض العبارت الأخرى إلى مفردة الخلود، مثلًا جاء فى سورة هود بشأن المحسنين: «وَ امَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّموَاتُ وَ الأَرْضُ إِلّا مَاشَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» «۱» . و قال بشأن الأشقياء: «خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّموَاتُ وَ الأَرْضُ الّا مَاشَاءَ رَبُّكَ» «۲». واضح أنّ الاستثناء الذى ورد آخر الآية (الّا ما شاء ربّك) لا يعنى قطع المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۳ الثواب و العقاب، بل بيان قدرة اللَّه سبحانه، يعنى لايتصور بأنّ المسألة قد خرجت من يد اللَّه بمثل ذلك الثواب و العقاب، كلا- فكل شىء مازال فى قبضته سبحانه وتعالى و شاهد ذلك العبارة: «عطاء غير مجذوذ» بعد الاستثناء المذكور. أضف إلى ذلك فإن كان هناك من يتردد فى دوام عقاب المذنبين فإنّه ليس هناك من ترديد فى خلود ثواب المحسنين، و هذه قرينة أخرى على ما ذكرنا (عليك بالدقّة).

سؤال مهم

هنا ينقدح سؤال مهم فى جميع الأذهان و مفاده: كيف نفسر هذه الحالة من عدم المساواة بالنسبة للَّه‌تعالى؟ كيف يمكن قبول هذا الأمر فى أن يقضى الإنسان جميع عمره الذى لايتجاوز الثمانين أو المأة سنة فى عمل الخير أو الشر بينما يكون ثوابه أو عقابه ملايين الملايين من السنوات بل أكثر؟ مع ذلك هذا المطلب ليس مهماً بالنسبة للثواب، لأنّ الثواب مهما كان كثيراً فذلك دليل على فضل و كرم المثيب، و عليه فلا إشكال فى هذا الخصوص، إلّاأنّ الإشكال فى كيفية العذاب الخالد إزاء الذنب و الظلم و الكفر و الإنكار المحدود، فهل ينسجم هذا الأمر وأصل العدالة؟ فمن لم يتجاوز ظلمه و طغيانه أكثر من مئة سنة لم يخلد فى النار وعذابها؟ أفلا تقتضى العدالة نوعاً من الموازنة بحيث يعاقب لمئة سنة أو أكثر على قدر ما صدر منه معصية؟!

إجابات غير مقنعة

إنّ صعوبة الردّ على هذا الإشكال دفعت البعض لتوجيه آيات الخلود، ففسروها بعدم إعتماد الخلود فى العقاب على أنّه يخالف العدل برأيهم. ۱- قال البعض: المراد بالخلود معناه الكنائى أو المجازى، يعنى مدّة طويلة نسبياً و هذا من قبيل مايطلق على من يحكم فى السجن إلى آخر عمره فيقال حكم عليه بالسجن المؤبد، و الحال ليس هناك من أبدية فى أى سجن حيث تنتهى هذه المدّة بانتهاء العمر، و منه ما تعارف لدى العرب من قولهم «يخلد فى السجن». ۲- و قال البعض الآخر: إنّ مثل هؤلاء الأفراد الذين أفنوا أعمارهم فى الذنب والخطيئة حتى أحاطت بهم وأصبح وجودهم معصية فإنّهم و إن خلدوا فى النار، إلّاإنّ هذه النار لا تبقى على حالها و بالتالى سيأتى اليوم الذى تخمد فيه هذه النار- كسائر النيران الأخرى- فيشعر أهلها بنوع من الهدوء الخاص. ۳- و أخيراً احتمل البعض حصول حالة من الإنسجام مع النار بعد مرور مدّة من الزمان و تحمل شدّة العذاب حيث يكتسبون خصائص الوسط فيتكيفوا معه بالتدريج و يعتادوه، و على ذلك فلا يعودون يشعرون بأى عذاب وألم! *** طبعاً كما ذكرنا فإنّ كل هذه التوجيهات بسبب العجز عن حلّ مشكلة العذاب الأبدى، و إلّافإنّ ظهور الآيات فى خلود عذاب طائفة معيّنة ممّا لايمكن إنكاره.

حلّ الإشكال

لحلّ هذه المشكلة لابدّ من العودة إلى الأبحاث السابقة و إصلاح الخطأ الناشىء من مقارنة عذاب يوم القيامة و عقوبته بسائر العقوبات، ليتضح من خلال ذلك عدم وجود أى منافاة لمسألة الخلود مع عدالة الحق سبحانه، ولإتضاح الأمر لابدّ من تسليط الضوء على ثلاث مقدمات: ۱- كما ذكرنا آنفا فإنّ العقاب الأبدى و الخالد يختص بالأفراد الذين أغلقوا على أنفسهم كافة سبل النجاة و قد مارسوا الكفر و النفاق عمداً و قد طبع الذنب على قلوبهم حتى عادوا أنفسهم معصية و خطيئة كما وصفهم القرآن الكريم: «بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَ احَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَاولئِكَ اصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «۱». ۲- يخطىء من يظن أنّ مدة العذاب لابدّ أن تتناسب و مدّة الذنب، لأنّ الرابطة بين «الذنب» و «العقاب» ليست زمانية بل رابطة كيفية، أى أنّ زمان العقاب يتناسب و كيفية الذنب لا مقدار زمانه، مثلًا يمكن أنّ يرتكب فرد قتل نفس فى لحظة فيحكمه القانون بالسجن المؤبد، فنرى هنا أنّ زمان الذنب لحظة بينما قد تكون عقوبتها ثمانين سنة فى السجن. و عليه فالقضية تتوقف على «الكيفية» لا «كمية الزمان». ۳- قلنا سابقاً أنّ لعقاب الآخرة حيثية الأثر الطبيعى للعمل و خاصية الذنب، و بعبارة أوضح: الألم و المعاناة التى يعانيها المذنبون فى العالم الآخر هو أثر ونتيجة أعماله، فقد جاء فى القرآن الكريم: «فَالْيَومَ لَاتُظْلَمُ نَفْس شَيْئاً وَ لَاتُجْزَونَ الّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، «وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاعَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ»، «فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۶ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ الَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ». و قد أوردنا عدّة توضيحات بهذا الخصوص فى بحث تجسم الأعمال. *** و بعد أن إتضحت هذه المقدمات الثلاث لا تبدو الإجابة على الإشكال صعبة، و يكفى فى الوصول إليها الإجابة على هذه الأسئلة: لنفرض شخصاً أصيب بقرحة فى المعدة إثر تناوله المشروبات الكحولية لاسبوع متتالى بحيث لابدّ له من تحمل هذا الألم إلى آخر عمره، فهل هذا التناسب بين العمل السيىء و نتيجته على خلاف العدل؟ و إذا فرضنا أنّ عمر هذا الفرد بدلًا من ثمانين سنة كان ألف أو مليون سنة و لابدّ أن يتحمل الألم لمليون سنة بسبب تهوره لاسبوع، فهل هذا يناقض العدالة؟ و الحال قد أنذر سابقاً من العاقبة الخطيرة لهذا العمل. و لنفرض أنّ فرداً ضرب عرض الحائط قوانين المرور التى تعود رعايتها بالنفع العام و الحد من الحوادث، و لم يصغ لأقوال الأصدقاء و تحذيراتهم فارتكب حادثة فى لحظة ففقد عينيه أو يديه و رجليه، و عليه أن يتحمل لسنين طوال هذا العمى أو قطع اليد و الرجل، فهل هناك من تناقض والعدالة؟ و قد ضربناً سابقاً مثالًا بهدف تقريب المطالب العقلية للذهن، فقلنا نفرض شخصاً زرع شوكاً ثم رأى نفسه بعد بضعة أشهر وسط مساحة شاسعة من الشوك فهى تؤذيه دائماً ... أو نثر بذور الزهور- عن علم- ليرى بعد مدّة أنّه وسط حديقة غنّاء مليئة بالأوراد و الزهور بروائحها العطرة، فهل مثل هذه الأمور التى

تمثل نتائج عمله تتنافى و العدل، و الحال ليست هناك من مساواة بين كمية العمل ونتيجته، و نستنتج ممّا سبق: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۷ حين يكون الثواب و العقاب نتيجة و أثر لنفس عمل الإنسان لا يعد هنالك من مجال لطرح مسألة المساواة من حيث الكمية و الكيفية، فربّما كان العمل بظاهره صغيراً و أثره عمراً من الحرمان و العذاب و الألم، و لعله يكون صغيراً و يكون مصدراً للخير و البركة طيلة العمر. (طبعاً مرادنا من العمل الصغير من حيث المدّة الزمانية و إلّافالأعمال والذنوب التى تؤدّى إلى العذاب الأبدى سوف لن تكون قطعاً صغيرة من حيث الكيفية و الأهميّة). و عليه فإن أحاط الذنب و الكفر بجميع كيان الإنسان و تمام وجوده حتى يؤدّى به فى نار كفره و نفاقه فلم التعجب من حرمانه من النعم الواسعة فى ذلك العالم وخلوده فى العذاب و الألم؟! ألم يأته النذير و يحذر من هذا الخطر العظيم؟ بلى ... فقد أنذره الأنبياء من جانب و حذره العقل من جانب آخر. هل وقع فى ذلك دون إرادة و إختيار فابتلى بذلك المصير؟ كلا، لقد بلغه عن علم و إختيار. فهل صنع هذا المصير سواه و عمله؟ فكل ما هنالك من آثار عمله و نتائجه، و عليه فليس هنالك من مجال للشكوى و لا إشكال على أحد و لا من منافاة مع عدل الحق سبحانه. بقيت قضية واحدة نختتم بها البحث، فقد قال الصادق عليه السلام: «انَّما خُلِّدَ اهْلُ النَّارِ فى النَّارِ لأَنَّ نِيّاتِهِمْ كَانَتْ فى الدُّنيَا انْ لَوْ خُلِّدُوا فِيهَا انْ يَعْصُوا اللَّهَ ابَداً وَ انَّما خُلِّدَ اهْلُ الْجَنَّةِ فِى الْجَنَّةِ لأَنَّ نِيّاتِهِمْ كَانَتْ فى الدُّنْيا انْ لَوْ بَقُوا فِيهَا انْ يُطيعُوا اللَّهَ ابداً، فَبِالنِّيّاتِ خُلِّدَ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ» «۱». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۸ فلو نظرنا لهذا الحديث لبدت لنا فى البداية بعض الأسئلة التى لا يسهل الردّ عليها، لأنّ عقد العزم على الذنب لايكفى لكل ذلك العقاب بالاضافة إلى ما ورد فى الروايات بشأن نيّة الذنب لوحدها ليست ذنباً فضلًا عن عقوبته الخالدة، إلّاأنّه يمكن القول بعد التمعن أنّ هذا الحديث إشارة لطيفة إلى الأبحاث السابقة، لأنّ نيّة الذنب الأبدى فقط لُاولئك الذين طبع وجودهم بالذنب و قد أغلقوا على أنفسهم كافة سبل النجاة و إحترقوا بمعاصيهم. و بعبارة أوضح: إنّ هذه النيّة لا تؤثر بمفردها، بل «الخلود» خاصية تلك الروح الملوثة و الطائشة المصممة على الذنب الدائم، و من يبتلى بمثل هذه الحالة إثر الذنب فإنّه يبتعد عن اللَّه بحيث لا يبقى له من سبيل إلى العودة و هذا من آثار أعماله.

أين النار و الجنّة؟

هل النار و الجنّة موجودتان الآن؟ ... أم فى طريقهما إلى الإيجاد؟ ... و إن كانتا موجودتين فأين؟ و على فرض عدم وجودهما الآن و سيوجدان فأين سيكون موضعهما؟ من جانب آخر فإننا نقرأ فى بعض الآيات القرآنية أنّ الجنّة عرضها السموات و الأرض، فاذا كان كذلك فهل سيبقى من مكان لجهنم؟! هذه هى الأسئلة التى تعترض هذا البحث، لكن قبل الإجابة عليها لابدّ من الإلتفات إلى نقطة و هى أنّ للنار و الجنّة ثلاثة معانى مختلفة وردت فى الآيات القرآنية و الروايات الإسلامية: ۱- جنّة الدنيا. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۹ ۲- جنّة البرزخ. ۳- جنّة المأوى فى العالم الآخر. جنّة الدنيا ظاهراً هى هذه البساتين النضرة لهذا العالم، فمثلًا ورد فى القرآن الكريم بشأن قوم سبأ- اولئك القوم المتحضرون الذى عاشوا فى أرض اليمن ومازال علماء الاثار يهتمون بآثار مدنيتهم- قوله: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شَمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌ غَفُور» «۱». و لا تقتصر مفردة «الجنّة» على حدائق الدنيا المخضرة بهذا المورد، فقد ورد هذا التعبير فى مواضع أخرى من القرآن، و الاحتمال القوى أنّ جنّة آدم كانت إحدى حدائق الأرض الخضراء، و هبوط آدم عليه السلام من الجنّة إلى الأرض هو نوع من الهبوط المقامى «۲»، لأنّ آدم عليه السلام انتخب منذ البداية خليفة للَّهفى الأرض، هذا من الناحية المادية؛ و من الناحية المعنوية فقد سميت مجالس العلم بستان من بساتين الجنّة.*** الجنّة و النار البرزخية، مركز للنعمة و العذاب للمحسنين و المسيئين فى «عالم البرزخ» يعنى العالم الكائن بين الدنيا و الآخرة، كما ورد بشأن الشهداء فى سبيل اللَّه: «... بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رِبِّهِمْ يُرزَقُونَ» «۳» . أو أنّ الشهيد حين يقع على الأرض يسقط فى أحضان أهل الجنّة «۴». أو سائر العبارات من هذا القبيل التى تفيد دخول بعض الأفراد الجنّة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۰ حين موتهم «۱»، كل هذا يتعلق بالجنّة البرزخية. كذلك العقاب الذى ورد فى الآيات القرآنية و الروايات الإسلامية بشأن الظلمة و الطغاة

إنّما يرتبط بالنار البرزخيـة. و الجنّـة و النار البرزخية التى يعبر عنها أحياناً بجنّة المأوى أو جنّات عدن وأحياناً أخرى ناراً خالداً فيها هى مركز للرحمـة أو العـذاب الأليم فى عالم القيامة الذى يفوق هذا العالم سعة، لكن أحياناً يحصل خلط فى هذه المعانى الثلاث للجنة و النار والـذى أدى إلى نتائـج خاطئـة بهـذا الشأن.*** و نعود الآن إلى أصل البحث: كان السؤال الأول هل للجنّة و النار الآن من وجود خارجى؟ و الحال أنّ عدداً من علماء الإسـلام المعروفين- من الفريقين- مثل علم الهدى السـيد المرتضـى و السـيد الرضـى و كذلك عبـد الجبـار و أبو هـاشم و همـا من علماء العقائـد يرون عـدم وجود الجنّـة و النار الآن و سـتجدان فيما بعـد، بينما يؤمن أغلب العلماء بوجودهما الآن، و هنالك العديـد من القرائن والشواهـد على هـذا الموضوع و منها: ۱- «وَ لَقَـدْ رَآهُ نَزْلَةً اخرى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهى* عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى» «۲». فالآيات تتحدث عن معراج النبى صـلى الله عليه و آله و تفيد وجود الجنّة. ۲- «وَ انَّ جَهَنَّمَ لُمحيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» «۳» فـالتعبير فى الآـيتين يفيـد الإحاطـة الفعليـة للنـار بالكـافرين حيث تطلق المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۱ جهنم عـادة على النـار. ۳- «اعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» و «اعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» التى وردت فى مختلف الآيات القرآنية هى شاهد آخر على الموضوع «۱». هذا من جانب. ولكن من جـانب آخر يسـتفاد من بعض آيـات القرآن أنّ عرض الجنّـة السـماوات و الأرض: «وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُـهَا السَّمواتُ وَ الأَرْضُ اعِدَّتْ لِلْمُتَقِينَ» «۲» فقـد عبرت الآيـة عن عرض الجنّـة بعرض السـموات و الأرض، بينما عبرت آية أخرى بعرض السـماء و الأـرض، و الفـارق بيـن التعـبيرين واضـح. فقـد ورد فى آيـة: «سَـابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُـهَا كَعَرضِ السَّمـاءِ وَ الأَرْض» «۳». (من الواضح أنّ العرض فى الآية لايراد به العرض الهندسى الذى يقابل الطول بل المراد به العرض اللغوى بمعنى السعة). و هنا يطرح هـذا السؤال: فمن جانب يَقول ظاهر الآيات القرآنية أنّ الجنّة والنار موجودان الآن، و من جانب آخر فإنّ سـعة الجنّة بقدر سعـة السـماء والأرض، فأين سـيكون هـذا المكان؟ أضف إلى ذلك ففى هذه الحالة سوف لن يكون هناك من موضع لجهنم؟ و هنا يساورنـا هـذا الفكر أنّ كلاهمـا فى باطن هـذا العالم، و لا نرى اليوم هـذا البطن، إلّاأنّها يظهران ذلك اليوم بمقتضـى: «فَكَشَـفْنا عَنْكَ غِطائَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَديدٍ» «۴» و كل إنسان يحصل على نصـيبه بقدر إسـتعداده! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۲ يمكن أن يخطر هذا الكلام العجيب إلى أذهاننا، إلّاأنّنا نستطيع تقريب ذلك إلى الذهن بمثال: نعلم إنّنا لا نسمع الأمواج الصوتية لهذا العالم و ليس لنا سوى سـماع بعض الأصوات التى لها ذبـدبات معينـة و لا نسـمع غيرها بأى شـكل من الأشـكال. من جانب آخر نعلم أيضاً أنّ محطات إرسال الدنيا تبث أمواج خاصة مسـتمرة ليل نهار لا نتمكن من سماعها دون أجهزة لاقطة. و لنفرض أنّ مرسلتين قويتين تقوّى أمواجها فضائيات كبيرة و تغطى جميع أنحاء الكرة الأرضـية واحـدة فى الشـرق و الأخرى فى الغرب، تبث أحـدهما آيات قرآنيـة بصوت مليح يداعب روح الإنسان و يجعله يعيش الجذبات الإلهية. بينما يبث من المرسـلة الثانية صوت مزعج و مؤذى يسـبب تعب الروح وإرهاقها إلى جـانب الأـذن و بالتالى تسـتبطن العـذاب الأليم! و هاتين المجموعتين من الأمواج تسير مع سائر الأمواج الصوتيـة فى الفضاء و قد ملأـت كل مكان، ولكنها ليست قابلـة للإحساس فى الحالـة العاديـة، فإن كانت لنا مسـتقبلة ذات موجـة واحـدة تلتقط مركزاً واحـداً و ذلك مركز إرسال الصوت اللطيف و المليح، فمن الطبيعى إنّنا نفتحه كل لحظة لنغرق فى هالة من السـرور و اللذة و المعنوية، و الويل لنا لو إقتصـرت مسـتقبلتنا على سـحب أمواج المرسـلة الثانيـة و نجبر أيضاً على رؤيتها، و لَكَم أن تتصوروا مدى الألم و الإنزعاج الذى نعـانى منه ليـل نهـار. طبعـاً لم نرد سوى بيـان مثال من أجل تقريب المطلب إلى الـذهن، و الآن عليك بالتمعن و التأمل: ألا يمكن أن تكون الجنّـة و النـار موجودة فى أبعاد أخرى من هـذا العالم لا نشعر بها، أى فى عمق وجوف هـذا العالم، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۳ بحيث يسـعنا إدراكه لو كـان لنا إدراك و رؤيـة أخرى ! ألا تنسـجم الآيـة المـذكورة بشأن النار و التى قالت و إنّ جهنم لمحيطة بالكافرين و هـذا التفسـير؟ ألا تتضح أكثر على هذا الأساس الآيات التى صـرحت بأنّ سـعة الجنّة كسـعة السـماء و الأرض (بالنظر إلى عدم وجود شىء خارج السماء و الأرض). ألا تعنى الآية: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الارْضُ غَيْرَ الأَرْضَ و السَّموَاتُ وَ بَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهّارِ» أنّ هذه الأرض و المساء يوم القيامـة تحطم أبعادها الفعليـة وتظهر أبعاد القيامـة الكامنـة اليوم فى العالم. فتصور هـذه المسألـة- كسائر المسائل المتعلقـة بالحياة بعد الموت و المعاد- لا تخلو من تعقيد، لكن بالإلتفات إلى المقدمات المذكورة، فلعل ذلك احتمال قوى بخصوص

التفسير الفعلى لوجود الجنّة و النار، جدير بالذكر أنّ ماذكرناه آنفا واحد من الاحتمالات بشأن مكان الجنّة و النار و هنالك احتمالات أخرى نعرض عن الخوض فيها إبتعاداً عن الإطالة. ***

علامات القيامة

اشارة

نزلت أغلب السور القرآنية فى مكّة و التى صرّحت بالتذكير بالمعاد والحياة بعد الموت إلى جانب ذكرها للعلامات التى تسبق القيامة. و كان لابدّ لذلك الإنسان الوادع و البعيد عن المسؤولية و المجانب لمسيرة الهدف النهائى للخلقة و التائه فى صحراء الحياة، أن يتحرك و لاسيما فى ذلك الوسط الجاهلى الملوث، و عليه ينبغى أن تكون هناك صرخة عالية توقظه من سباته، و ليس هنالك أفضل من إلفات الإنتباه إلى الحوادث المرعبة فى الحياة الآخرة يمكنه أن يقوم بهذا الدور. و الآيات المتعددة التى نزلت بشأن علامات القيامة تدل بأجمعها على انّ القيامة لا تقم بهذه البساطة و الهدوء، بل يتزامن معاد الإنسان و قيامته مع قيامة عالم الخلق و التى تقترن بتغييرات عظيمة تجتاح كافة أنحاء نظام الكائنات. طبعاً يقول العقل و المنطق أنّ النظام الجديد للحياة لابدّ أن يقم على عالم جديد، لاعلى أنقاض العالم السابق، و يحصل هذا التقدم و التجدد كسائر التطورات و التجددات المهمّة التى تكتنف العالم على أساس قفزات عظيمة تشمل أنحاء عالم الوجود. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۶ و الآن نسلّط الضوء على الآيات الواردة بهذا الشأن.

۱- الزلزلة العظيمة

«يَا ايُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ انَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىءٌ عَظِيم* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلّ مُرضِعَةٍ عَمَّا ارضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلُهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» «۱». قطعاً تقع هذه الزلزلة قبل القيامة و على أعتابها، لا فى يوم القيامة، وذلك لأنّه لايوجدها فى ذلك اليوم و لامرضع، على كل حال فإنّ تلك الزلزلة العظيمة بداية تغيير واسع و شامل فى عالم الوجود، أى هو بداية الأمر و من ثم- كما سنرى- يستمر حتى نهاية الكرات السماوية، و أخيراً إنبثاق عالم الآخرة.

۲- إنطفاء جذوة الشمس و القمر

«إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَ إذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ* وَ إذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَ إذَا الْعِشَارُ عُطِلَتْ* وَ إذَا الْوُحُوشُ حُشِّرَتْ* وَ إذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ* وَ إذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* وَ إذَا الْمَوءُدَةُ سُئِلَتْ* بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ* وَ إذَا الصُّحُفُ نُشِّرَتْ* وَ إذَا السَّماءُ كُشِطَتْ* وَ إذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَ إذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ» «۲». فالواقع هو أن هذه التغييرات العامة تشمل الناس و الحيوانات و الجبال والبحار و الأرض و السماء و كلها تحضر القيامة. لابدّ من الإلتفات إلى أنّ هذه الآيات تعرضت إلى علامت القيامة و كذلك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۷ جانب من حوادث يوم القيامة بحيث مزجهما معاً باسلوب رائع.

۳- اليوم الذى يحطم فيه كل شيىء!

«الْقَارِعَةُ* مَاالْقَارِعَةُ* وَ مَا ادريكَ مَاالْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَراشِ الْمَبثُوث* وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالِعِهْنِ الْمَنفُوش» «۱». فالحقيقة هى أنّ الزلزلة آنذاك شديدة إلى درجة بحيث تدك كل شىء وتقام القيامة! و قد أشير هنا إلى أوضاع الناس الحيارى الذين يخبطون خبط عشواء حين تلوح بوادر القيامة، يعتقد البعض و خلافاً للتصور المشهور و الشاعرى السائد فى الأذهان بشأن الفراشة و الشمع، حيث أنشدوا الأشعار و سردوا القصص التى تتحدث عن عشقها و تضحيتها من أجل معشوقها القاسى، ويبدو أنّ الفراشة لا

تضحى أبداً من أجل عشق الشمع، و هى ضحية نسيانها فقط، لأنّ حافظتها ضعيفة و عاجزة بحيث تنسحب فور إقترابها من شعلة الشمع و شعورها بالحرارة، إلّاأنّها تنسى بعد برهة فتعود ثانية إلى الشعلة وتكرر هذا العمل مراراً حتى تخاطر بحياتها إثر هذا النسيان. و لعل تشبيه الناس فى الآيات المذكورة بالفراش المبثوث حين بروز أولى العلامات المخيفة للقيامة من أجل بيان عظيمة الحادثة التى تخطف العقول وتزيل الحافظة بالمرة.*** كان ذلك جانب من علامات القيامة و التى تفيد بأجمعها مدى التفاوت المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۸ الهائل بين ذلك العالم و هذا العالم الذى نعيش فيه، و الذى سيقام على أنقاض هذا العالم. و بهذا نختتم بحثنا بشأن المعاد و العالم الذى يعقب الموت، و إن كانت هنا و هناك بعض المسائل التى تتخلل هذا البحث و تحتاج إلى الدرس والبحث، إلّاإنّنا إبتعدنا عن ذلك خشية الإطالة. أضف إلى ذلك فإن عالم البرزخ و هو العالم الفاصل بين عالم الدنيا والآخرة هو الآخر من المواضيع التى كثرت فيها الأبحاث و الذى يتطلب دراسة مستقلة. *** اللّهم وفقنا لأن نهذب أنفسنا إستعداداً لتلك الحياة. اللّهم وفقنا لحياة أبدية إلى جوار رحمتك. اللّهم خذ بأيدينا لخدمه دينك و عبادك بما توفقنا به لرضاك و ترزقنا الشهادة فى سبيلك و الإستقرار فى مسكن رحمتك.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و

اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹